الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

المتلمس

Pênûsa nû

دورية
أدبية
ثقافية
فكرية
مستقلة

رئيس هيئة التحرير: خورشيد شوزي
نائب رئيس التحرير: د.محمود عباس

تأسست في 22 نيسان 2012

السنة السابعة - العدد (71) // نيسان / ابريل - 2018م

كلمة العدد

خورشيد شوزي

(1) الكرد في مطابخ محتليهم

القوى العظمى وعلى مر التاريخ تفتش عن المشاكل الموجودة في المناطق الداخلة في استراتيجية مصالحها، وتعمل بكل الطرق على استفحالها بالقدر الذي تريده وبما يحقق مصالحها، ومن أمثلة هذه المشاكل وبعد الحرب الكونية الأولى: ترسيم الحدود وخلق دول وطمس أخرى في مناطق الاستعمار العثماني.. تقسيم بعض الدول الكبرى جغرافياً في مناطق من الشرق الأدنى على أساس طائفي ديني بعد الحرب الكونية الثانية.. تأجيج العداء والتناحر بين الشيعة والسنة والذي عمره أكثر من 1400 عام في نهايات القرن الماضي، وتعميق روح الحقد والكراهية بين الاثنيات العرقية والتي هي موجودة منذ فجر التاريخ، ودعم التيارات المتعصبة ذات الأحلام الامبراطورية كما في إيران وتركيا والعراق... خلق تيارات دينية متشددة تستخدم في مناطق تنازع النفوذ لتحجيم نفوذ قوى كبرى أخرى مناوئة لها كما في أعوام السبعينات، حيث استفادت أمريكا كثيراً من ردود فعل المسلمين ضد الاحتلال السوفييتي لأفغانستان، وبالتعاون مع حليفتيها السعودية وباكستان، استثمروا الكثير من العناصر الشابة المسلمة الثائرة لمكافحة الوجود السوفييتي الشيوعي، وشرعوا في تأسيس حركات سلفية إسلامية وعلى رأسها الطالبان والقاعدة.

هذه بعض النقاط التي تعتبر من أهم وأخطر الأهداف في استرتيجية القوى الكبرى لبسط هيمنتها ونفوذها على المناطق الاستراتيجية الواقعة ضمن مطامح مصالحها، بغية إضعاف القوى التي لاتبدي استجابة لسياساتها، وإنهاكها وتغذية روح الضغينة والحروب بين شعوبها.. فمثلاً التيار القوموي العربي، لعب دوراً كبيراً في تأسيس وبث ثقافة الحقد القومي المتعصب ضد الترك والإيرانيين، وفرضوا ثقافة العزل والتغريب للجماعات القومية غير العربية التي تتعايش معهم في ذات أوطانهم، مثل الكرد والتركمان والآشوريين والأمازيغ وغيرهم. وبنفس الوتيرة لعب التياران الفارسي والطوراني نفس اللعبة مع العرب وباقي الاثنيات المتعايشة معهم في أوطانهم.

حاضر الكرد امتداد لماض متخم بالقمع والاضطهاد وسلب إرادتهم وجعلهم فئة دونية مهمتها خدمة مستعمريهم، ونتيجة للسياسات التي مورست معهم تعرض الكثيرين منهم - خاصة الذين هاجروا وانتشروا في مختلف بقاع الأرض - للضياع حتى ان الكثيرين منهم نسوا لغتهم وأصلهم. والكرد، رغم كل تجاربهم وكوارثهم المستمرة، لم يدركوا حتى الآن أنهم الخاسر الوحيد، وأنهم بكل حماس يقدمون أنفسهم كوقود للمحارق القومية التي تطبخ عليها مشاريع محتليهم.

علينا أن نقتنع بغياب العدالة في عالمنا، فليست كل الحقائق في التاريخ تتجلى في النهاية، وكثيراً ما يعدم الحق أمام الباطل، ويطغى استبداد الأنظمة على غايات ومنطق الشعوب، والشعوب تنتصر عندما ينبثق الرواد ويعدموا الرهبة، ويدركوا أبعاد الثقافة السادية من المجتمع. أجيال الكرد ماضياً صارعوا، وانتفضوا، الأجيال اللاحقة لم يصلوا إلى أعماق التحليل لاستخراج الأصوب، فاستمرت مسيرة الأخطاء، واستمر معها غياب الوطن بجغرافية ما. وفي عمق هذا الغياب تاهت الذات الكردية، وتاهت الحقيقة، وزاود الكل على الكل في ظل الحق والعدالة المعدومين ؟!. .... ص (2) ....

بساطتنا الكردية وأخطاء المحتل

د. محمود عباس

كفانا صراعاً، استخفافاً بالآخر، كفانا ابتذالاً، وبغضاً، كفانا تشتتاً، فنحن في ضياع، وقد حان لنا أن ندرك أن الاختلاف هي المنهجية، ولا تعني العداوة، والنقد لا يقلل من سوية الإنسان الواعي، ففي الأولى نوع من التكامل، ويقول فيها العلامة ابن قيم الجوزية: "وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم"، وعلى أسس الثانية يتم تعديل وتطوير الإيديولوجيات، وتتقدم الدول، لكن السلطات المحتلة لكردستان شوهوا المنهجين بين الكرد ورسخوا الخلاف والتهجم، فأصبح الكردي يكره الآخر بمجرد الاختلاف في الرأي، متناسياً العدو، فمن الطبيعي أن يتجلى هذا في إدارتنا الذاتية، فصعّدت حملة الاعتقالات على أثر خسارة عفرين، كونها لم تنج من الانتقادات، فيتبدى وكأن المنتب هو الكردي المنتقد وليس المحتل الفاشي، ولا شك لدى المقابل يتم حراك لا يحمد عقباه، فجعلا التخوين من المسلمات، والحالة هذه فمن الطبيعي أن تكون صبغة الخيانة سائدة بيننا! وفي المحصلة أن نتناسى ويتناسوا أن الاختلاف أدب لابد من تثبيته، والخلاف في واقعنا يجب إلا يؤدي إلى الكراهية.

لقد حان لنا أن نعي تاريخنا، من أجل حاضرنا ومستقبلنا، وأن نتجنب أساليب المحتل في فبركته، بما تقتضي مصلحته، وإنما علينا أن نسرده كما هو، فلقد كنا على أمل بعد موجة التغيرات السياسية، والثورة الكردية، أن ننفذ بعضنا من مستنقع الأعداء، ونتقبل الآخر رغم الاختلافات، لكن وإذا بنا ننحدر كشريحة واسعة من السياسيين والمثقفين إلى هاوية الحروب الكلامية، واجتر بعضنا فيما كتبه عنا المحتل بإعادة كتابة تاريخنا، فأضافوا عليها سذاجتهم، لتظهر أكثر ابتذالاً من منهجية العدو، وقزموا فيها سوية الأمة والشعب وحصروها في تاريخ حزب، وأفراد صنعوا من العدم، مستندين على المواد التي هيئتها لنا القوى الإقليمية، وعتموا بها على ما ابتذله المحتل على مدى العقود الماضية، ... ص (2) ...

الحرب على وجودنا القومي تدخل مرحلة خطيرة

جان كورد

لم تقدّم أي منطقةٍ من مناطق كوردستان من التضحيات الإنسانية والمادية أكثر مما قدمته منطقة عفرين في سبيل أن يقف الإخوة في شمال كوردستان على أقدامهم في وجه الطغيان الهادف لإنهاء وجودهم القومي،

وتجلّى هذا في الإعلان يوماً بعد يوم عن أسراب المقاتلين الأشاوس، من الفتيان والفتيات، من طلاب المدارس والجامعات، الذين سقطوا في ساحات القتال في شتى أنحاء كوردستان، أو اغتيلوا غدراً بأوامر قادة (قنديل)، حسب ما جرى فعلاً، منذ الإعلان عن الكفاح المسلّح في عام 1984.

هذا الكفاح الذي لم يتمّ التحضير له بشكلٍ جيد، وإنما كان خدمةً طوعية من حزب العمال الكوردستاني لنظام حافظ الأسد الذي طمح من خلال سوق الكورد لقتال الحكومة التركية في انتزاع المزيد من حصة بلاده من مياه نهر الفرات، في الظروف السيئة التي نجمت في كوردستان وتركيا عن انقلاب الجنرال كنعان ايفرين الدموي في عام 1980، إلاّ أن قادة هذا الحزب الذين كانوا يتهمون كل الحراك السياسي – الثقافي الكوردستاني بالتخاذل، ويهددون في قنوات تلفزيوناتهم ب"حرق بغداد" إن دخل الجيش العراقي مدينة كركوك، ومن بعد ذلك بحرق "أنقره" في حال دخول الجيش التركي إلى مدينة عفرين،... ... ص(3)...

دلجار سيدا: قيادة القطب الثالث في العالم*

في الغياب الصاعق للشاعروالكاتب والمترجم محمد زكي محمد

إبراهيم اليوسف

ينتمي دلجار سيدا- محمد زكي سيد أمين 1972-2018- إلى ذلك الجيل من شبابنا الجديد الذي جمع بين قيم الأصالة والحداثة، في فكره، ورؤاه، في هذا الزمن الذي انقلبت فيه المعايير والموازين، وباتت الهشاشة، تتخر، بل تغزو المنظومة القيمية العامة، على نطاق واسع، حيث نجد سقوط وتهافت أوساط واسعة وراء ما هو استهلاكي عابر، ما جعل أمثال دلجار يمثلون أنموذجاً مائزاً بيننا، واقعاً وافتراضاً، ولعل هذا الأنموذج الأكثر حماساً للقضايا العامة، في الوقت الذي يهرول فيه مجايلوه وأنداده وسواهم، نحو ما هو فردي، من الحلول، كما تقتضي ذلك طبيعة مرحلة الكوكبة التي نعيش تفاصيلها، بل نذوب في هذه التفاصيل، إذ إن توسع دائرة التفاعل، بعد كسر الحدود، والحواجز، بات يقود كثيرين إلى الغرق في الذات، بدلاً عن الارتفاع على درجات سلم الشأن العام، اجتماعياً، أو وطنياً، أو إنسانياً.

لن تفي هذه المقدمة ما هو مرهون بها، في ما لو لم أقارب بعض جوانب شخصية دلجار، وكما عرفتها، معتمداً على منجزه الثقافي والأخلاقي والنضالي- من جهة- وعلى محيطه الاجتماعي الذي أعرفه، من جهة أخرى، وكانا بعض دواعي معرفتي به، عن بعد، وعن قرب، لأرى فيه إنساناً مائزاً، يمتلك كل تلك المقومات التي تجعله يستحق التقدير، والاحتفاء، والاهتمام، لاسيما إذا وضعنا أمام أعيننا المشهد العام الذي آلينا إليه، وجعلنا نتفاجأ يومياً، بل نفجع، بوجوه كثيرة علاقتها بالقيم الحياتية والنضالية، وحتى الثقافية، ليست إلا سياحية، عابرة، بالرغم من هالات الزّيف التي يحيط بها بعضهم ذواتهم، بما يجعلنا نندم على الوقت الذي أولياناه، أو نوليه لنماذج من هؤلاء، وهم إذا كانوا يمثلون الوجه السيء في مجتمعنا- ولابد من أن نعترف أن بين ظهرانينا سيئين أيضاً ولسنا مجتمع ملائكة- إلا أن بيننا أمثال دلجار، ... ص (2)...

الإبادة الجماعية "حلبجة - شنكال - كوباني - عفرين"

زهرة أحمد

التاريخ الإنساني مليء بالمجازر التي ارتكبت من قبل الدول ضد شعوبها أو ضد شعوب أخرى أدت إلى إبادتها بجميع ملامحها الإنسانية، ومن شدة هول المأساة والدمار اللذين خلفتهما تلك المجازر ارتفعت أصوات على مستوى دولي لتصنيفها ضمن جرائم دولية معاقب عليها وذلك للتخفيف من تلك الجرائم التي دمرت حتى القيم الإنسانية وذاقت مرارتها الأجيال المتعاقبة، ولما له تأثير على الأمن والسلم الدوليين التي أكدت عليها الأمم المتحدة ضمن أهدافها وفي ميثاقها. ومن بين تلك الجرائم الدولية:

جريمة الإبادة الجماعية:

أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في اجتماعها المنعقد بباريس في 9 كانون الأول 1948م اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية.

وهي تعريفاً: كل عمل يرمي إلى إفناء شامل أو جزئي لإحدى المجموعات القومية أو الدينية، والإبادة هي كل فعل يهدف من ورائه الجاني إلى القضاء على جماعة بشرية أو دينية أو عرقية... ص (3)...

تتمـــة:

كلمة العدد

من الطبيعي أن يطرح الكثيرين منا السؤال التالي:

إذاً، ما العمل، أمام الواقع الذي نعيشه ونعاني منه منذ دهور طويلة. هل هو قدر محتوم علينا الخضوع له؟، أم أننا غير جديرين بأن يكون لنا دولتنا كما محتلينا، أم ماذا؟

ألم يحن الوقت أن نتعظ من تاريخنا وحاضرنا ونحن نباع ونشترى من قبل الغرب والشرق ومحتلينا معاً!!.. ألم يحن الوقت لنخبنا السياسية والثقافية ترك عادات التخوين والتشرذم وتبديلها بالتكاتف والتعاضد ورفع شعار الكرد وكوردستان أولاً وأخيراً!!!.

أقولها صراحة، إن مانعانيه ليس قدراً محتوماً، ولا تتعلق بجدارتنا في إدارة شؤوننا بأنفسنا، بل هي بكل بساطة لعبة لا إنسانية يقوم بها بشر مثلنا، لهم مصالحهم وعقيدتهم ونقاط قوتهم وضعفهم، ونستطيع نحن الضحايا أن نجد خلاصنا إذا اعتمدنا إستراتيجية مضادة لما نحن فيه، وذلك بالتخلص من السذاجة والثقة الخنوعية التي مارسناها منذ أمد بعيد باسم الأخوة والدين والانسانية مع الأنظمة والأحزاب الشوفينية التي تحكمنا، مع العلم أن غالبية الذين نعتبرهم أخوتنا لا يعترفون بها، لا بل يقيمون المجازر بحقنا إن قلنا نحن إخوتكم، فكم نحن ساذجون وسطحيون في تفكيرنا وممارساتنا. اننا لن نصل إلى مانبتغيه إلا بتآزرنا وتوحيد جهودنا، وترك كل موروث خاطئ ساهم في تفرقنا، ووضَع جهودنا في خدمة أعدائنا.

(2)
بينوسا نو وشمعتها السابعة

الإعلام وسيلة تعبير ومرآة انعكاس لواقع معاش حالي الذي هو امتداد للماضي، وهو محفز لرسم تصورات مستقبلية من خلال التفاعل مع استحضار الماضي، والبحث في قضاياه بحجمها الطبيعي، وبما ان الماضي له عوامله الذاتية والموضوعية، والحاضر امتداد للماضي بسلبياته الكثيرة وايجابياته القليلة، فعلينا قلب المعادلة ومواجهة المفاهيم والتطورات الفكرية بجرأة، وطرح مفاهيم التغيير والتعبير الصادق دون مواربة، أو انتهازية.

الإعلام الكردي الحاضر يخيم عليه الغياب والنقد والتقييم والتحليل، ويطغى عليه اعتبارات فردية ضحلة، مادة، وخبرة، وذلك مرده غياب الكفاءات التي تخلق مؤسسات إعلامية متكاملة لتحصل على دعم مادي، يجعلها مؤسسة مربحة مقابل العطاء الثقافي. والمؤسف حقاً غياب دعم الحراك الكردي السياسي لأغلبية الإعلام الذي لا ينجرف إلى الالتزام بسياساته.

لقد برزت جريدة بينوسا نو – بنسختيها الكردية والعربية، وبطريقة الإعلام المعاصر، لنشر المفاهيم الإنسانية الحضارية بين المجتمع الكردي، مستمداً قوتها الروحية من الماضي النقي التي خلقتها الجريدة الكردية الأولى المغتربة "كردستان" التي انبثقت عند عتبة الظلام الفكري والأمية الطاغية لدى الأغلبية الكردية، على يد مفكر سياسي قومي من "آل بدرخان"، لكنها لم تحتل حضوراً و وزناً و انتشاراً إلا بين النخبة الضئيلة.

الهدف الثقافي بأبعاده المتشعبة، والغاية القومية والوطنية الكردية الشاردة في الأبعاد التاريخية - السياسية. كانا الغاية من إنشاء بينوسا نو من قبل الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا، ورغم تلكؤ عوامل البقاء أمام الجريدة، كالاقتصاد، والعمل المؤسساتي، فإن الإيمان بمسيرة الصراع في إبراز الحق، والمواجهة، كانت عوامل استمراريتها للآن.

وعليه فولادة "بينوسا نو - PÈNÛSA NÛ" في الثاني والعشرين من شهر نيسان 2012، بنسختيها الكردية والعربية على الساحة الثقافية، وبإمكانات مادية معدومة، كمعظم الإعلام الكردي، هي خطوة نوعية، تدخل في مجال إغناء الساحة الثقافية الكردية.

والآن وبعد مرور سنوات ست على إصدارها، ورغم حداثة الولادة، إلا أن ما نقرأه بين صفحاتها ثروة فكرية، يخطها للقراء كتاب قدراتهم الفكرية والثقافية وبراعة يراعهم تتخطى الساحة الكردية، بل وحتى ساحات الإعلام العربي عامة، هناك من يرصدون أقلامهم دولياً، وهذا فخر جريدة بينوسا –نو.

تتمـــة:

بساطتنا الكردية وأخطاء المحتل

وبها مهدوا الظروف لديمومة الماضي الموبوء.

أحزاب تتيه في خدعها للمجتمع إلى درجة المهاترات وتسخر طاقاتها في توافه الأمور، وتجتر ما خططه الأعداء لنا، ومجموعة من الكتاب والإعلاميين يزيدون من فبركة التاريخ الكردي المفبرك أصلاً، وينقلونه من التشويه إلى الضحالة، فيصبح صيداً ثميناً لمتصيدي التاريخ الكردي، وعلى أثرها تكاد أن تخسر شريحة من الحركة الثقافية مصداقيتها، وهي تنشر من الكتب والدراسات والفيديوهات التاريخية ما لا تحمد عقباه مستقبلاً، وبإسنادات مفبركة أصلاً، منها ما أرفقت بكليب غريب رخيص، لا يمت إلى الواقع، مستنسخ من أفلام هوليوود، تحت حجج ومسوغات واهية، على رأسها المصلحة الوطنية، أو إعادة كتابة التاريخ، متغاضين عما يفعلونه بتاريخ الأمة من الدمار لأجل نزعة فردية بخسة.

ومن المؤسف له أن الشريحة المثقفة التنويرية والمأمولة فيها لا تعير أهمية لخلفيات هذا الوباء، إلا ما ندر، وكثيراً ما تلتهي بتوافه الأمور، كشريط الفيديو المفبرك والمبثوث إلى الساحة من قبل قوى لا تريد إلا الشر للمجتمع الكردي، وهنا لا يهمنا شخصية المطعون فيه، ولا مصداقية الشريط، ولا من يقف وراءها، فجميعها تصب، أولاً، في خانة الاستهزاء بالشعب الكردي والتلاعب بسذاجة سياسي ومثقفي حراكه، وثانياً، لإلهاء الشارع الكردي والتلاعب ببساطته، وتعمية بصيرته، ومن ثم التغطية على الأمور المصيرية الجارية في كردستاننا.

معظمنا نتفق على أن المحتل لا يتوانى على خلق كل الموبقات لتوسيع هوة الخلافات الحزبية بين الكرد، والترويج لمثل هذا الفيديو، بشكل أو آخر يؤدي إلى توجيه أصابع الاتهام إلى رؤساء الإدارة الذاتية والذين هم في عداوة مع حزب اليكيتي والمجلس الوطني الكردي الذابل أصلاً، رغم أن البعض من قادتها متهمون بالتعامل مع الإدارة الذاتية والـ ب ي د، لهذا ولغيرها من الأسباب كان على الإدارة الذاتية وحزب الـ ب ي د التعتيم عليها لا ترويجها، خاصة ولهم في هذا العمل تاريخ، فعلوها بناشط إعلامي ومغني وسياسي، كما والأسلوب بحد ذاته أصبح من أرخص وأقذر الأساليب في عالم الحروب السياسية، ثم ما الخطأ في أن يعبر السياسي كأي فرد من المجتمع كالأديب أو الشاعر عن عواطفه، ومشاعره، فلا إنسان في الكون مجرد من الأحاسيس، ومتى كانت المجاملة والتغزل بمن يريدها ويطلبها جريمة في العالم الحضاري، والفتاة التي نشرت (فيما لو افترضنا أنها غير مفبركة) تتحدث من منطق المجتمع اللامبالي أو المتشرب من الثقافة الأوروبية.

لقد حان لنا أن نستيقظ، فالأمة في ضياع، والأمثلة المذكورة تفضحنا، فهي قتات من مجموعة الأوبئة التي لا تزال السلطات المحتلة تنميها بين حين وآخر دون رادع من حركتنا الثقافية، الملتهية أغلبيتها بالصراعات الحزبية، وقضايا التخوين والخلافات الساذجة، فتسيل بيننا ويتلقف العدو ثمارها، علماً أن كل ما نحتاج إليه شريحة من المنورين الصادقين مع قضية أمتهم، مجموعة قادرة على إنكار الذات وتفضيل مصالح الشعب على مصالح العائلة أو الحزب، أو العلاقات الشخصية، أو المصالح الذاتية، وتعمل على خلق يقظة قومية بين المتحزبين، وتنمي فيهم الوعي القومي مكان الوعي الحزبي، وتضع في ذهنهم تحقيق السيادة القومية مكان السيادة الحزبية.

لا نشك لحظة أنه في كردستان شريحة منهم، الذين لا يقلون وعياً إن لم تكن معرفة، عن الذين أمل فيهم فولتير خيراً بتعديل المسيحية، ولا يقلون تراكماً معرفياً عن الذين غيروا مجرى تاريخ شعوبهم، وأنقذوا أممهم وحركاتهم السياسية من التيه، ونحن هنا لا نتحدث عن الفلاسفة العظماء، والذين غيروا القيم والمفاهيم في الأدب والفكر والفلسفة، بل الذين أناروا دروب شعوبهم في مراحل النضال، فقط نحتاج إلى المصداقية، وقليل من الجرأة، والحوار، وتقبل الاختلافات كأدب، هذا ما كان يتسم به الفلاسفة الإنكليز رواد مفاهيم حق تقرير المصير القومي، والمفكرون الفرنسيون قادة نظرية القومية الواعية، أمثال فولتير، وجان جاك روسو وغيرهم الذين غيروا مسيرة الأمة الفرنسية، وكذلك الفلاسفة الألمان أصحاب ترسيخ نظرية القومية اللاواعية، أمثال ديكارت وفيما بعد سبينوزا وكانط، رواد محرري القومية من ربق الدين.

كثيراً ما تباهينا أننا استفدنا من أخطاء المستعمرين، ولم نقل أن الله وأمريكا وروسيا وهبنا النعمة، وساعدونا للحصول على بعض المكتسبات، وتوقعنا أن مطباتهم ستجلب لنا المزيد، أو على الأقل سنتمكن من الاحتفاظ على ما كان بيدنا في الفترة الأخيرة، لكن تبين أنهم أدهى من توقعاتنا، وسبقونا بتجاوز أخطائهم قبل أن نعرف حتى في كيفية قراءتها، وتمكنوا من تسخير بساطتنا لمصالحهم، فكانت مخططاتهم للمستقبل شبه متكاملة، وعملية التمهيد الدولي المشترك، الأردوغاني -الفارسي قبل احتلال كركوك وعفرين، واستغلالهم لصفاء نياتنا في الدبلوماسية خير مثال، كما وتبينت بعد الاحتلال، من خلال إلهائنا كحركة ثقافية-سياسية ومؤسساتنا الإعلامية بتوافه الأمور أنهم يتقدموننا عقوداً من الوعي والإدراك لقادمهم وقادمنا، لذلك ليس فقط لم يسقطوا في المطب، بل تمكنوا من انتزاع الكثير منا، وإدراجنا إلى دوامة لا قدرة لنا على تداركها، ولا حتى على تجنبها، ولم يكتفوا بهذا بل عزلونا دولياً، فأصبح من النادر البحث في قضية الشعب الكردي، لا في الإعلام العالمي ولا ضمن أروقتهم الدبلوماسية، وأزاحوا قضيتنا من معظم المحافل الدولية، وأرسلوها إلى الزوايا المهملة، أو عتموا عليها إلى حين الحاجة، فقد أصبحت أمريكا تسأل من في الواقع يمثل الشعب الكردي سياسياً في جنوب غربي كردستان، ولقد كنا شهوداً على ضحالة طروحات الوفود التي استدعيت إلى واشنطن، فلم تتجاوز مسائلهم المعروضة على الطاولة المطالب الحزبية والتي كانت بعيدة عن مصالح الأمة.

لا شك العدو يخطأ ككل المؤسسات الدكتاتورية، لكنها تصبح بلا فائدة، عندما نكون في ضحالة من الوعي وقلة الإدراك، وبقوى مشتتة وشبه مشلولة وأدوات بيد الأخرين، يحركوننا حينما وحيثما يريدون وبأبسط الأساليب، ولهم القدرة على إلهائنا عن قضيتنا عند الضرورة، وفي الواقع وبعد مراجعة معظم الحراك الدبلوماسي الكردي تتبين أن الشخصية الكردستانية تكاد تكون في حكم المنتهي في الوقت الحاضر أمام الدول العالمية، ولكن الشعب الكردي رغم كل المطبات والمآسي والمساوئ التي تضطر الأحزاب خلقها، تنامت فيه مقومات القومية، ولا ينقصه الروح، فقط يحتاج من ينفخ فيه، والتي هي من مهمات الشريحة التنويرية الثقافية، فعليها أن تكثف من جهودها لإيقاظ هذه الأمة، لا أن تلتهي بثانويات الأمور، وتشعرها بوجودها، كشعب قادر على خلق كيانه السياسي المستقل.

تتمـــة:

الحرب على وجودنا القومي تدخل مرحلة خطيرة

لم يفعلوا شيئاً من أجل منع الجيش العراقي عن اقتحام كركوك أو لصد الجيش التركي عن الاستيلاء على عفرين، واكتفوا بصبّ اتهامات "الخيانة" و"الهروب" من المعركة على البيشمركة، والتحدث المستمر عن "عمالة" المجلس الوطني الكوردي في سوريا، وآثروا السكوت طوال هجمات الجيش التركي على قرى منطقة عفرين، وإلى أن احتل الأتراك المنطقة ومعهم مرتزقة سوريون، جاؤوا إلى عفرين ليس من أجل مبادئ الثورة السورية وإنما لنهب ممتلكات الكورد وتهجير شعب المنطقة وتغيير تركيبتها الديموغرافية ولإذلال شعبنا في وضح النهار أمام أعين المجتمع الدولي، ووصل بهم حقدهم وغيرتهم الإسلامية الكاذبة إلى درجة انتزاع ذهب النساء من أيديهن وأجهزة الخلوي من المواطنين، بعد أن سرقوا أبواب وشبابيك المنازل وتراكتورات الفلاحين، بل ومواشيهم ودجاجاتهم بسفالة لامثيل لها وهم يصيحون "الله أكبر" أو "تكبيبير".

والآن، بعد أن نزح أكثر من مائة ألف مواطن كوردي إلى خارج المنطقة ليتعرضوا هناك إلى ابتزاز نقاط السيطرة الحكومية، فيدفع كل مواطن مئات الألوف من الليرات السورية، حتى يجتاز منطقة الموت وينجو بعائلته من المذلة والقتل، وبعد أن تم رفع العلم التركي الكبير ومن ورائه علم المعارضة السورية في حجمٍ أصغر على شرفة سراي الحكومة في عفرين "العربية حتى العظم!"، يتساءل المرء عما يجب القيام به من أجل ألا يتم التغيير الديموغرافي الكبير في هذه المنطقة الكوردية، فأقول:

1- حيث أن الجيش التركي لن يتوقف عند "عفرين" فقط، بل شرع في القيام بعمليات مماثلة، بما تحمله معها من نتائج وخيمة على المواطنين الكورد، فإن على الحراك السياسي – الثقافي الكوردستاني بمجمله الانتقال إلى استراتيجية جديدة تضمن لشعبنا أمنه واستقراره وخلاصه من العدوان والإرهاب والهجمات الخارجية، وهذا يتطلب عقد اجتماع موسّع لقادة وزعماء الحركات والتنظيمات الفعّالة في عموم كوردستان والاستفادة من خبرات ونصائح الحلفاء للحيلولة دون حدوث هكذا هجمات تركية مدعومة بقوات المرتزقة بأسمائها المختلفة.

2- بالنسبة لغرب كوردستان، يتحتّم على الحركة السياسية الكوردية أن تبني لذاتها منصة وطنية مشتركة وأن تصغي لنداءات الشعب الكوردي الذي يرزح تحت الضربات المختلفة، قبل أن يتحول هذا الجزء من الوطن إلى شيءٍ آخر غير ما كان عليه سابقاً. إن الخطر داهم ولا تكفي موجة التصريحات الباهتة لبعض القياديين لصد الهجمات المشتركة بين الأعداء ومرتزقتهم من سراق الدجاج

3- من أجل الحفاظ على الديموغرافيا الأصيلة لغرب كوردستان، يجب عودة اللاجئين إلى ديارهم، وعدم تركها للقادمين أو المجلوبين من خارج المنطقة بهدف تغيير هذه الديموغرافيا، والعمل من جديد لبناء وإعمار القرى المنكوبة والمدن المدمرة مثل كوباني وعفرين، وهذا العمل يحتاج إلى تعاونٍ بين كل المواطنين وكأن كل واحدٍ منهم يبني بيته الخاص، إذ من دون تعاون يصعب إصلاح ما جرى من تدمير وسلبٍ ونهب قام به أعداء الإنسانية تحت راياتٍ مختلفة، لم تشهد المنطقة الكورية مثيلاً له منذ زمن الغزوات المنغولية والتترية والصليبية.

4- في الحقيقة، يصعب إعادة أو اقناع المواطنين بالعودة إلى ديارهم، مالم يتأكد الناس من أن العمليات القتالية قد توقفت تماماً، فالمواطنون يخافون على ما تبقى من أولادهم وكرامتهم وأموالهم، ولا عودة في ظل استمرار عدم سيادة الأمن والاستقرار.

5- الشروع في إعادة البناء يجب أن يكون بمنأى عن الشعارات الايديولوجية البراقة ومن دون اسكات أفواه الطابور الخامس وقبل التخلّص من سيطرة الذين أوصلوا شعبنا إلى هذه المآزق الخطيرة بفلسفاتهم الخيالية، وهذا يعني أن تتفرّغ المنطقة الكوردية إلى بناء ذاتها كلياً وأن تتحوّل إلى ورشات عمل اقتصادي واسعة، بعيداً عن ضوضاء السياسات الفارغة وعن فلسفة "القائد يعلم" و" في ظله نتقدّم" و لا "حياة من دون الرئيس!" والتوصّل مع سائر الأطراف المعنية، الدولية والإقليمية، عبر مجالس شعبية محلية تدير المناطق بعلم وإشراف دولي للخروج من عنق الزجاجة في المرحلة التي أمامنا.

6- ضرورة القيام عبر لجانٍ مختصة بتوثيق كافة المعلومات بصدد الجرائم ضد الإنسانية، وحول حملات السرقة والنهب والسلب التي قام بها المهاجمون في ظل الجيش التركي في منطقة عفرين على وجه الخصوص، إضافةً إلى المناطق الأخرى التي تعرّض فيها المواطنون إلى اعتداءات المجرمين في ظل رايات الجيش السوري الحر أو جيش النظام، والتوثيق ضروري وهام لتقديم شكوى عامة إلى المحاكم الدولية، وهذا يعني توثيق أسماء العائلات التي تعرّضت للسلب والنهب، وقيمة ممتلكاتها المهدمة والمنهوبة، وزمن النهب والمكان، وغير ذلك من ضروريات البحث والتحقيق في هكذا قضايا حقوقية قانونية.

ومن البديهي أن هذا العمل الواسع الكبير يقع كمسؤولية إنسانية وقومية ووطنية على عاتق الجميع، منظّمين ومستقلين، وفي كل أنحاء الوطن، فلقد جاء وقت التعاون الفعلي عوضاً عن بث الأحقاد وتسعير نار الخلافات، إلاّ أن المسؤولين عن هزيمة "عفرين" يجب أن يتحمّلوا ما يقع عليهم من مسؤولية، وهذا لا يختلف عليه اثنان بالتأكيد. كما يجب ألا ننسى تضحيات كل من دافع بإخلاصٍ ووفاء عن هذا الشعب المظلوم وعن حقه في الحرية والحياة الكريمة.

قضاءً كلياً أو جزئياً بشكل مباشر أو غير مباشر أو بالتحريض على قتل أعضاء الجماعة المشار إليها في المادة الثالثة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي تنص: "لكل فرد الحق في الحياة والحرية والسلامة الشخصية".

وحسب نص الفقرة الثانية من المادة الثانية من الاتفاقية الدولية يعتبر الجرم إبادة جماعية ضد أي مجموعة إذا كانت قد اتخذت إحدى الأفعال التالية:

1ـ الإبادة الجسدية بهدف إفناء مجموعة بشرية.

2ـ إلحاق أضرار جسدية ونفسية بالغة بأعضاء هذه الجماعة.

3ـ فرض ظروف على الجماعة تؤدي إلى منع الولادة والتكاثر ضمن الجماعة.

4ـ نقل أطفال جماعة بشرية لجماعة أخرى قسراً.

ظهور مصطلح الإبادة الجماعية "genocide" رسمياً لأول مرة كان في التوصية رقم 1/96 الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1946/12/11م حيث أدانت الجمعية العامة هذه الجريمة بعد أن وصفتها بأنها من جرائم القانون الدولي وبأنها محل إدانة العالم المتمدن.

مصطلح الإبادة الجماعية مشتق من الكلمة اللاتينية Genus ومعناها الجماعة ومن كلمة Cedere ومعناه: يقتل، ومصطلح الإبادة الجماعية يشير إلى تدمير أمة أو جماعة عرقية ولا يعني بالضرورة التدمير الفوري لهذه الأمة أو الأثنية بل يعني في الغالب وجود خطة منظمة للقيام بأفعال مختلفة تهدف إلى القضاء على الأسس والركائز الحيوية التي تقوم عليها حياة الجماعة القومية والإثنية وتؤدي في النهاية إلى تدمير الجماعة ذاتها، فالغرض من هذه الخطة هو إقصاء أو إفناء المؤسسات والبنى السياسية والاجتماعية للجماعة وكذلك الأمر بالنسبة للغتها وديانتها وثقافتها ووجودها الاقتصادي كما تهدف الخطة أيضاً إلى الاعتداء على السلامة البدنية والشخصية للأفراد المنتمين للجماعة محل الإبادة.

فالإبادة الجماعية ترتكب ضد الجماعة القومية أو الاثنية بصفتها كائناً مستقلاً له ذاتية خاصة به.

أركان جريمة الإبادة الجماعية:

1ـ الجماعات المشمولة بجريمة الإبادة الجماعية.

2ـ صور السلوك الجرمي المكون للركن المادي للجريمة.

3ـ طبيعة القصد الجنائي الواجب توافره لقيام الجريمة.

أولاً: الجماعات المشمولة بجريمة الإبادة الجماعية:

إن السلوك الجرمي في جريمة الإبادة الجماعية يتسم بصفة تمييزية لجهة محل الجريمة فالهوية القومية أو العرقية أو الدينية للضحية تمثل ركناً أساسياً من أركان جريمة الإبادة الجماعية ففي التوصية رقم 1/96 الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1946/12/11م .

أعلنت الجمعية العامة أن الإبادة الجماعية تمثل إنكاراً لحق الجماعات الإنسانية في العيش والوجود شأنها شأن القتل العمد الذي يتضمن إنكاراً لحق الكائن الإنساني في الحياة .

فعضوية الفرد الموجه ضده الفعل الجرمي لها أهمية كبيرة جداً في تحديد الضحايا المباشرين لمرتكب جريمة الإبادة الجماعية وهي أهم بكثير من الضحية نفسه.

ثانياً: الركن المادي لجريمة الإبادة الجماعية:

يتمثل الركن المادي لجريمة الإبادة الجماعية في إتيان أحد الأفعال المكونة للسلوك أو أكثر وهذه الأفعال محددة على سبيل الحصر في تعريف جريمة الإبادة الجماعية في الصكوك الدولية المختلفة المتعلقة بهذه الجريمة ولا يشترط لقيام هذه الجريمة أن يؤدي الفعل المرتكب إلى التدمير الكلي أو الجزئي للجماعة فعلاً فيكفي أن تتوافر النية الجرمية عند مرتكب الفعل للحصول على هذه النتيجة ومن السمات المميزة للسلوك الجرمي في جريمة الإبادة الجماعية اتساع نطاقه والانتشار الواسع للانتهاكات المترتبة على إتيانه.

أهم صور السلوك الجرمي المكون للركن المادي للجريمة:

1ـ الإبادة الجماعية بالقتل أي أن الفعل في هذه الجريمة يجب أن يكون مقصوداً ومقترناً بقصد الإبادة للجماعة.

2ـ الإبادة بالحاق أذى بدني أو عقلي جسيم: أي الأذى الذي يسبب أضراراً جسيمة بالصحة أو بأعضاء الأنسان الداخلية أو الخارجية أو الحواس وتشمل أيضاً التعذيب والمعاملة الغير إنسانية، أما الاغتصاب والعنف الجنسي يعد من أسوء الأفعال الجرمية المسببة لأذى جسيم بدني ومعنوي في آن معاً ويشكل سلوكاً جرمياً في جريمة الإبادة الجماعية عندما تتوافر شروط وظروف معينة وذلك عندما ترتكب بقصد التدمير الكلي أو الجزئي للجماعة التي ينتمي إليها ضحايا الاغتصاب أو العنف الجنسي.

3ـ الإبادة الجماعية بفرض أحوال معيشة يقصد بها التسبب عمداً في تدمير الجماعة مادياً: ومن أمثلتها الإبعاد المنظم للأشخاص المنتمين للجماعة عن مساكنهم ومواطنهم وحرمانهم من المعونات والخدمات الطبية لمدة طويلة.

4ـ الإبادة الجماعية بفرض تدابير تستهدف منع الإنجاب داخل الجماعة.

5ـ الإبادة الجماعية بنقل الأطفال عنوة إلى جماعة أخرى.

ثالثاً: الركن المعنوي للجريمة:

يتمثل الركن المعنوي في جريمة الإبادة الجماعية باتجاه إرادة الفاعل لارتكاب أحد الأفعال المكونة للسلوك الجرمي في الجريمة مع علمه بأن هذا الفعل محظور ومعاقب عليه وذلك بغية تدمير جماعة قومية أو اثنية أوعرقية أو دينية تدميراً كلياً أوجزئياً فلا يكتفي في جريمة الإبادة الجماعية بالقصد العام بل لا بد من قصد خاص يتمثل في نية الإبادة أو في نية التدمير الكلي أو الجزئي للجماعة.

أما بالنسبة للشعب الكردي:

فقد كان أكثر شعوب العالم تعرضاً للظلم والاستبداد على أيدي الأنظمة الدكتاتورية في الأجزاء الأربعة لكردستان، تلك الأنظمة التي سلبت منه حريته وجردته من حقوقه الطبيعية بالرغم من دساتير تلك الدول التي تؤكد على حقوق الإنسان وحرياته، والمواثيق الدولية الخاصة بحقوق الإنسان وتوقيعها عليه، إلا أن العقل الفاشي والسياسة الشوفينية تعدت كل الخطوط الحمراء إلى مرحلة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية. فأزالت قرى بسكانها، غيرت ديمغرافية أجزاء واسعة من كردستان، هجرت قسراً أبناءها وأجبرتهم على تغيير قوميتهم، حاولت جاهداً طمس معالم الثقافة الكردية وغيرها الكثير من الأعمال اللاإنسانية بحق الكرد.

وقد توجت تلك السياسات الشوفينية بالإبادة الجماعية في حلبجة وبارزان وحملات الأنفال وما المقابر الجماعية إلا دليل على الظلم الذي لحق بالشعب الكردي، وما حصل في شنكال وكوباني ويحصل الآن في عفرين إلا استمرار لتلك السياسات الشوفينية السابقة وإن اختلفت أدواتها.

الأنفـــال:

إحدى عمليات الإبادة الجماعية التي قام بها النظام العراقي السابق عام 1988م ضد الشعب الكردي في إقليم كردستان حيث قامت الحكومة العراقية بتدمير ما يقارب 2000 قرية وقتل الألاف من المواطنين الأبرياء وإجبار قرابة نصف مليون مواطن كردي على الإقامة في قرى أقامتها الحكومة العراقية آنذاك كي يسهل السيطرة عليهم، وجرى إلقاء القبض على أكثر من 82000 مواطن كردي جرى تصفيتهم ودفنهم في قبور جماعية في مناطق نائية من العراق.

وتكونت مراحل حملات الأنفال من:

- **الأنفال الأولى:** منطقة السليمانية، محاصرة منطقة (سركه لو) في 23 شباط لغاية 19 آذار/1988.

- **الأنفال الثانية:** منطقة قرداغ، بازيان ودربنديخان في 22 أذار لغاية 1 نيسان.

- **الأنفال الثالثة:** منطقة كرميان، كلار، باونور، كفري، دووز، سنكاو، قادر كرم، في 20 نيسان من نفس العام.

- **الأنفال الرابعة:** في حدود سهل (زيي بجوك) أي بمعنى منطقة كويه وطق طق وآغجلر وناوشوان، من 3 الى 8 أيار

- **الأنفال الخامسة والسادسة والسابعة:** محيط شقلاوة وراوندز في 15 أيار ولغاية 26 آب.

- **الأنفال الثامنة:** المرحلة الأخيرة، منطقة بادينان، آميدي، آكري، زاخو، شيخان، دهوك، في 25 آب ولغاية 6 ايلول من نفس العام.

تتمـــة: الإبادة الجماعية: "حلبجة، شنكال، كوباني،عفرين"

وحسب تقرير المنظمات الدولية لمراقبة حقوق الانسان تمت الإشارة الى أن الأنفال ووفق المقاييس الدولية تدخل في اطار جريمة الابادة الجماعية، وتم تحرك ملف الأنفال في المحكمة الجنائية العراقية العليا، وفي يوم 2006/8/21 القيت أول مرافعة عن الأنفال في بغداد، وقد اصدرت المحكمة قراراها الحاسم حول ملف الأنفال، وتم وفقاً لذلك تعريف جرائم الأنفال بجرائم الإبادة الجماعية (الجينوسايد).

استناداً إلى أركان جريمة الإبادة الجماعية في القانون الدولي فإن عمليات الأنفال هي جريمة الإبادة الجماعية.

حيث أقر البرلمان السويدي في "5" كانون الأول عام 2012م بأن هذه العمليات جريمة إبادة جماعية بحق الشعب الكردي في العراق.

حلبجة: "مدينة الشهادة و الشهداء":

تعرضت للإبادة الجماعية على أيدي النظام الفاشي في بغداد، فالمجازر التي ارتكبها النظام تجاوزت حدود الخيال الإنساني وتصوراته، مدينة بأكملها تحولت إلى رماد نتيجة قصفها بالسلاح الكيماوي في 16ـ17 مارس 1988م قتل من السكان فوراً 3200ـ5000 وأصيب منهم 7000ـ10000 وفي السنة التالية مات الآلاف من سكان حلبجة نتيجة المضاعفات الصحية والأمراض والعيوب الخلقية.

كل معاني المأساة تجلت في صورة الشهيد عمر خاور وهو يحمي طفله واقعاً على الأرض أمام عتبة داره ليصبح رمزاً لكارثة حلبجة.

بالرغم من أن العراق قد انضمت إلى الاتفاقية عام 1959م إلا إن النظام الفاشي البعثي لم يلتزم بالاتفاقية الدولية ومارس إبادة جماعية ضد الكرد في حلبجة، ففي 23 ديسمبر 2005م حكمت المحكمة الهولندية أن صدام ارتكب جريمة الإبادة الجماعية ضد الشعب الكردي في حلبجة، وكانت هذه المرة الأولى التي تصف فيها محكمة هجوم حلبجة كفعل من أفعل الإبادة الجماعية، كما اتهمت المحكمة العراقية الخاصة صدام حسين وعلى الكيماوي بجرائم ضد الإنسانية بالأحداث التي وقعت في حلبجة.

وبالتالي فما تعرض له الشعب الكردي في حلبجة كان بقصد الإبادة والتدمير وهو يتفق مع وصف الإبادة الجماعية في القانون الدولي بكل المعايير .

شنـــكال:

شنكال المدينة الجميلة بطبيعتها وأصالتها الكردية، الطاهرة برسائل الحب والحكمة، وترانيم نيسان للسلام، المدينة الآمنة في أحضان جبال شنكال، حافظت على هويتها وفلكلورها وطقوس معتقداتها، بالرغم من تلك حملات المحو والإبادة والتعريب والفرمانات التتريكية.

تعرضت شنكال مرات عديدة لجرائم الإبادة الجماعية عبر التاريخ، وكان آخرها على يد تنظيم "داعش" في 3 آب 2014، والتي كانت ضحيتها الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ.

حيث ارتكبت مجازر بحق الكرد الإيزيديين في شنكال على غرار عمليات الأنفال السيئة الصيت، من قبل التنظيم الإرهابي الذي قتل الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ، قطع الرؤوس في الشوارع والطرقات، أعدم الأبرياء، دمر وفجر المباني والمزارات الدينية، مارس القتل بأبشع صوره مشوها بذلك عمق الرسالة الإسلامية التي نادوا بها. كل ذلك دفع بأبناء المنطقة لترك بيوتهم باتجاه جبال شنكال الوعرة خوفاً من الإبادة الجماعية التي بدأ الإرهابيون بممارستها ضد الكرد في شنكال، فعانى الآلاف منهم في جبال شنكال المحاصرة ظروف معيشية صعبة جداً ينتظرون الموت البطيء، لتحضن الجبال من جديد أجساد أبنائها الأبرياء، ناهيك عن حالات الأسر والمعاملة القاسية وبيع الفتيات والنسوة الإيزيديات في أسواق النخاسة في الموصل والرقة.

أتبع داعش كل الوسائل الإرهابية للقضاء على الكرد الإيزيديين من خلال القتل والنبح الوحشي أمام عائلاتهم، والاستعباد والتعنيب والمعاملة المهينة واللاأخلاقية، عمد إلى الترحيل القسري للإيزيديين والذي تسبب بأضرار نفسية وبدنية ومعيشية مميتة، وإجبار البالغين منهم على تغيير دينهم ومعتقداتهم، والفصل ما بين النساء والرجال، وإبعاد الأطفال عن عائلاتهم ووضعهم مع مسلحي داعش وفي أحضان الحياة الإرهابية وبالتالي فصلهم عن عالمهم الطفولي .

هذه الجرائم البشعة ضد الكرد الإيزيديين كانت وفق خطة مبرمجة القصد منها إبادة شعب بدينه وقوميته. فلا تزال الفتيات الإيزيديات في براثن إرهاب داعش، تغتصب وتهان وتباع في الأسواق كالعبيد، القتل على الهوية والمعتقد الديني كان السلاح المتبع في شنكال، والسياسة الإبادية التي انتهجتها أصحاب الرايات السود ضد شعب آمن في شنكال انتهكت كل القيم الإنسانية، أما الأطفال فكان نصيبهم القسم الأكثر قساوة من جرائمهم المنافية لكل الأعراف والمواثيق الدولية، حيث تمت عسكرة الأطفال الايزيديين الأسرى لديهم وتجنيدهم في تنظيمهم لإستخدامهم في عمليات انتخارية بعد دعشنة عقولهم وأفئدتهم . وبالتالي تنطبق على كل هذه الجرائم أركان الإبادة الجماعية وفق القانون الدولي.

إن الإبادة الجماعية حدثت في شنكال وما زالت مستمرة، لقد عرّضت داعش كل امرأة وطفل ورجل إيزيديين من الذين اختطفتهم إلى أبشع الانتهاكات وصلت الى مستوى الإبادة الجماعية .

كوبـــاني:

تلك المدينة الكردية الجميلة بجمال طبيعتها والصامدة بصمود شعبها تتعرض لاعتداءات وحشية من قبل داعش الذي قصف المدينة بالمدفعية والدبابات واستخدم الأسلحة المحرمة دولياً ضد المدنيين العزل بغية تفريغها من سكانها مسيطرة بذلك على أغلب قرى كوباني لترتكب فيها جرائم لاإنسانية من قتل وإعدامات عشوائية وقطع للرؤوس وتمثيل بالجثث وخطف النساء والأطفال ونهب الممتلكات وتدميرها،ما اضطر أهالي كوباني لترك مساكنهم وقراهم، فنزح حوالي 90% منهم إلى مناطق أخرى والعيش في ظروف معيشية قاسية جداً وذلك لحماية أنفسهم من التعرض لإبادة جماعية كتلك المرتكبة في شنكال من قبل التنظيم الإرهابي ذاته الذي يحاول القضاء على طموحات الشعب الكردي في الحرية والديمقراطية بجرائم تصنف ضمن جريمة الإبادة الجماعية .

فكانت ليلة الغدر في كوباني بتاريخ 25/6/2015 بكل تفاصيلها الإجرامية التي نسجتها خيوط الإرهاب هي جريمة الإبادة الجماعية للشعب الكردي، حيث تم ذبح وقتل أكثر من 500 مدني بين الساعة الثالثة صباحاً وحتى الثامنة، وفق مخطط إرهابي كبير شارك فيه ما لا يقل عن 100 مسلح إرهابي من «داعش» مستهدفاً المدنيين الكرد، ليكون معظم الضحايا من الأطفال والنساء والشيوخ وبشكل منافي لكل القيم والأعراف الإنسانية، مجازر لا مثيل لها في تاريخ البشرية ارتكبت ضد المدنيين الكرد في كوباني بصفتهم القومية، مع اتساع رقعة القرى والبلدات التي شهدت تلك المجازر، حيث لم يخل شارع أو قرية أو حي من تلك الجرائم، مع ارتفاع عدد ضحايا المدنيين، عائلات بأكملها ذبحت في بيوتها، تناثرت الأشلاء والجثث على الطرقات، استخدم داعش أبشع أساليب العنف والاجرام في كوباني، من عمليات الذبح والقتل والتمثيل بالجثث والإعدامات الميدانية والعمليات الانتحارية، كل ذلك وفق خطط مبرمجة ومعدة مسبقا مع الإصرار في تنفيذها ضد جماعة بصفتها القومية ليجعلها تندرج ضمن تصنيف جريمة الإبادة الجماعية بكل معاييرها.

عفرين "جياي كورمنج":

مدينة الشموخ، عروس كردستان الجميلة، شامخة بجبالها وزيتونها ونضال أهلها، طبعت جغرافيتها بطابع من شموخها الأزلي، عقود الاستبداد لم تنل من هويتها القومية، حافظت على كبرياء حضارتها وأصالة فلكلورها من تلوث الاستبداد ومؤامرات العقول البعثية الشوفينية.

عفرين الآن تئن تحت الاحتلال التركي الذي لم يتوانَ في جعل حياة الأبرياء قرابين سياساته الطورانية وتوسعاته مصدرا فشله السياسي ومشاكله الى المناطق الكردية، احتلال تركيا لعفرين لم يكن وليد المصادفة، بدأت بشكلها الممنهج وبمشروعها العدواني من قطع أشجار الزيتون وبناء الجدار التركي الإسمنتي الى حشد قواتها العسكرية وتهديدها بين الحين والآخر باجتياح عسكري كلما أرادت بذلك أن تحقق مآربها.

وفي السبت 20-1-2018 أعلن الرئيس التركي بدء الأعمال العسكرية ضد مدينة عفرين باستخدام كافة صنوف الأسلحة بما فيها الطائرات المقاتلة، والتي بدأت بقصف طيراني وحشي هدمت البيوت وقتلت المدنيين فتبعثرت الأشلاء في

وحشي هدمت البيوت وقتلت المدنيين فتبعثرت الأشلاء في كل بلدة وقرية في عفرين، مما اضطر أهالي عفرين إلى ترك قراهم وبيوتهم والنزوح إلى أماكن أخرى خوفا من تعرضهم لإبادة جماعية كتلك التي حصلت في كوباني، فاتخذوا من الجبال ملجأ لهم، افترشوا العراء وعانوا ظروفا معيشية صعبة جداً كانت السبب في موت الكثير من الأطفال والشيوخ.

وفي 24 من شهر آذار/مارس، أعلن الجيش التركي احتلاله لمدينة عفرين الكُردستانية بعد عمليات عسكرية شملت استخدام كافة صنوف الأسلحة وبمشاركة فصائل مسلحة تابعة للجيش الحر وبمباركة الائتلاف السوري المعارض.

بعد الاحتلال التركي لعفرين الكردية بدأت عمليات الإجرام من قبل القوات التركية وفصائل الائتلاف من النهب والسلب واللصوصية للمحلات التجارية والمؤسسات والمنازل، وسرقة الآلات الزراعية والسيارات وكل ممتلكات الأهالي، وقتل وتعذيب وتشريد المدنيين.

بعد احتلال عفرين ارتكبت فيه جرائم لاإنسانية وانتهاكات صارخة للقوانين والأعراف الدولية من قبل الجيش التركي والفصائل المسلحة التابعة لما يسمى بالجيش الحر استهدفت أغلبها الوجود التاريخي والقومي للشعب الكردي في عفرين وهويته وثقافته ورموزه المقدسة وفق منهج وخطط معدة مسبقا منها: عشرات المجازر ارتكبتها طيران العدوان التركي من خلال الغارات الجوية التركية والقصف المدفعي والتي استهدفت المدنيين راح ضحيتها المئات من القتلى والجرحى، وما رافق ذلك من تدمير للبنى التحتية والمرافق العامة، وتهجير وتشريد الأهالي. إلحاق تدمير واسع النطاق بالمواقع الأثرية وأماكن العبادة من معابد وجوامع وكنائس. استهداف المواقع الأثرية في عفرين انتهاك لاتفاقية جنيف الدولية الرابعة لعام 1949 التي تدعو الى حماية المواقع والأوابد الأثرية "تدمير معبد عين دارا الأثري"و"قصف جامع صلاح الدين في جنديرس".

تدمير المراكز التعليمية والمستشفيات، ورفع العلم التركي وصورة الرئيس التركي على المدارس في عفرين محاولات ممنهجة لتتريك التعليم في عفرين.

إهانة الرموز الكردية المقدسة من قبل الفصائل المسلحة التابعة للائتلاف فعل جرمي نابع من تراكمات الاستبداد والكراهية المتجذرة في عقولهم البعثية الشوفينية ضد القومية الكردية. "تحطيم تمثال كاوا الحداد وحرق العلم الكردستاني".

منع الجيش التركي والفصائل المسلحة التابعة بما يسمى بالحيش الحر، نازحي مدينة عفرين من العودة إلى قراهم وبيوتهم، مع استمرار عمليات التوطين لمهجري الغوطة الشرقية ومدن سورية أخرى في عفرين وفق خطط معدة مسبقا عبر عنها الرئيس التركي صراحة، وذلك من أجل التغيير الديمغرافي في عفرين، حيث بدأت بالتطبيق الفعلي من خلال توطين عائلات الفصائل المسلحة للجيش الحر، ومنع عودة النازحين من أهالي عفرين بالقوة وقتل واعتقال كل من يطالب ببيته وممتلكاته.

"تم توطين 60 عائلة عربية في راجو بمنازل الكُرد النازحين إلى مناطق أخرى، كما تم توطين 45 عائلة عربية غالبيتها من أهالي مدينة حمص السورية، في ناحية شرا التابعة لعفرين"

منعت فصائل المعارضة السورية نازحي مدينة عفرين من العودة إلى المدينة وريفها في حاجز كيمار بقوة السلاح، وإرغامهم على العودة إلى منطقتي نبل والزهراء الواقعة تحت سيطرة النظام السوري .

تعذيب المواطن فرح الدين محمد عثمان من أهالي ناحية جنديرس، لمطالبته بإعادة ممتلكاته المسروقة، وخروج المسلحين من منزله" .

حملة اعتقالات لأهالي عفرين وتعذيبهم وأهانتهم طالت الصحفيين والناشطين والأكاديميين، وإعدامات للفلاحين في مزارعهم، والتمثيل بالجثث بوحشية داعشية لا مثيل لها.

حرب عبثية مستمرة وجرائم حرب وتغيير ديمغرافي ممنهج تحدث في عفرين الآن، ضد إرادة شعب أصيل أراد أن يعيش بسلام.

كل تلك الجرائم كان تزامنا مع صمت المجتمع الدولي وتناسيه لأهم مواثيقه وعهوده المتعلقة بحقوق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، إذ رضخت قوانين السلم والأمن الدوليين التي تتباهى بها لمصالح الدول التي تقتسم كوردستان بموجب اتفاقيات جيوسياسية ومؤامرات دولية، تناست لواجبها الدولي والاخلاقي في حماية الشعوب المضطهدة، لتؤيد الأنظمة الاستبدادية وتخترق مواثيقها الدولية، لتفسح المجال أمام جرائم إبادة جماعية ضد الشعب الكردي كلما نادى بحقوقه المشروعة كشعب أصيل يعيش على أرضه التاريخية.

إذاً استناداً لتلك المواثيق والاتفاقيات الدولية لمنع جريمة الإبادة وبالرغم من انضمام كافة الدول لتلك الاتفاقيات إلا إن جريمة الإبادة الجماعية قد مورست من قبل الأنظمة الدكتاتورية الحاكمة والتنظيمات الإرهابية ضد الشعب الكردي ، فجميع أركان الجريمة من نية القتل والإبادة والتدمير الجزئي أو الكلي وذلك وفق خطة ممنهجة ووعي وتصميم سابق متوفرة في جريمة الإبادة ضد الشعب الكردي في كل تلك المدن الكردية.

لذلك لا بد من محاكمة جميع المجرمين وكل من كان مسؤولاً عن ارتكاب تلك الجرائم ومعاقبتهم، واتخاذ اجراءات على مستوى دولي أكثر حسماً للحيلولة دون ارتكاب جرائم الإبادة ضد الشعب الكردي، والعمل الجاد لحل القضية الكردية حلاً عادلاً وفق العهود والمواثيق الدولية .

بعد كل هذه المجازر الفظيعة بحق الشعب الكردي !!

بعد الأنفال والإبادة الجماعية !!

ألا يستحق الشعب الكردي أن يقرر مصيره بنفسه !!!!!؟

تتمـــة: دلجار سيدا: قيادة القطب الثالث في العالم*

ومن يشبهونه في الكثير من الخصال السامية، وهوما يجعلنا نتفاءل بأن ما يبدو من فقاعات في حياتنا إنما هو نتيجة قراءاتنا لمرئيات وسلوكيات دورة الزمن، في إحدى محطاتها العابرة.

وإذا كنت قد لجأت إلى هذه المقدمة وأنا أكتب عن أنموذج الإنسان النقي الذي لم يتأثر بهذا التلوث العام الذي يكتسحنا، في فترة ما بعد الحرب، فلكي أبين أن هناك من يظل وفياً للقيم الأصيلة، لاسيما عندما يكون ابن بيئة تحضُّ على الأخلاق الرفيعة، من دون أن يتأثر بكل هذا الطفح والفقاعات العابرة التي تقدم لنا نفسها، بألوانها الطيفية المختلفة، كنتاج ثقافة تكاد تهيمن على مشهدنا العام، انطلاقاً من طبيعتها التي تكتنز دواعي العيش في هكذا بيئة مستنقعية، وهوما علينا الإقرار به، وكيف لا؟، إذ لطالما نتفاجأ بقوافل اللصوص، والفاسدين، ومن يمتلكون القدرة على إلغاء الآخر، واجتثاثه، نتيجة عقدة نقص، أو بسبب وقوفه حجرة عثرة أمام طريق تحقيقه لنزواته العابرة.

أمام مشهد ممتلىء بالتناقضات، يمكنني استقراء وتقديم شخصية دلجار، وهو الشخص غير العادي الذي طالما آلمه أنه لم يتابع دراسته، وصار يعوض عن ذلك بعصاميته العالية ليكون من عداد المثقفين الذين يكتبون بلغة كردية تحقق سويتها العالية، وليكون معلماً لها ضمن دائرة مكانه، ومدوناً بها، وناشراً لها، محافظاً على معادلته الاجتماعية، في علاقته بالمحيط الذي راح يوسعه- لاسيما في الزمن الافتراضي- وليكون فوق كل هذا صاحب موقف، مستوعب لمن حوله في اختلاف رؤاه أو رؤاهم، في مواجهة كل السدود الموضوعة، والتي باتت تتفاقم، وفي هذا ما ينم عن مدى شساعة روحه المستوعبة للآخرين، بما يدعوني للجزم، بأنه لم يكن ليحقد حتى على عدوه، على النحو الثأري، المتفشي، وفي هذا أعلى مراتب الحلم، والحكمة، والحنو الذي استشففته في شخصيته، بالرغم من تواصلنا المتقطع- وهنا فإنني لألومني على هذا التقصير- فقد قال لي في إحدى رسائله الأخيرة إلي: أأذت زعلان مني عمو؟، وأرسل إلي قصيدة له مكتوبة باللغة العربية، مستدركاً: لقد كتبتها، مع أني لا أكتب إلا بالكردية، وأعترف أنني كنت مقصراً أمام فيض وداده ووده، نتيجة مشاغلي- وأية مشاغل؟- وواصل قائلاً، في هذه الرسالة الأخيرة: إني أقدر مشاغلك، وهو ما أحزنني أكثر، لأنني لم أخصص له وقتاً أكثر، كما كنت أفعل من قبل؟!

فاجأني دلجار أكثر من مرة، بترجمة قصائد لي، ومن بينها قصيدة "شنكالنامة" ونشر بعض هذه الترجمات في موقع "ولاتي مه"، على ما أذكر، كما أنه اتفق مع الصديق صبحي دقوري على ترجمة كتابي السيروي"ممحاة المسافة"، إلا أن ذلك لم يستكمل- للأسف- لأسباب لا مجال لذكرها هنا، ولم يكن هو السبب في ذلك، كما تبين رسائلنا المتبادلة، إلا أن هذه الترجمة كانت أحد مشاريعه المستقبلية.

ثمة جوانب كثيرة في حياة دلجار، قد لا أعرف عنها إلا مجرد رؤوس أقلام، من خلال من حوله، لأنه- على سبيل المثال- قلما تطرق إلى- حزبيته- إلا في إطار طلب تقويم موقف إشكالي، متقبلاً الرأي الآخر، بيد أنه شرح لي بعض معاناته: الظروف الاقتصادية القاهرة- البطالة- واشتغاله كعامل عادي- الأب المريض- الأم- الأطفال الثلاثة- الزوجة ومتطلبات تأمين سبل العيش، بعرق جبينه، في وسط هذا الأرخبيل، بالإضافة إلى أنه كان جد فاعل اجتماعياً، وسياسياً، يواصل الكتابة، والعمل الصحفي في أكثر من منبر يديره أو ينتمي إلى أسرة تحريره.

لم أرد أن أفصل في الحديث عن هذه المعاناة، لدواع كثيرة، إلا أنني عرجت عليها، لأبين أن هناك من يقرأ، ويكتب، ويمارس نشاطه العام: معلماً للغة، وكاتباً، وشاعراً، وصحفياً، وحزبياً، وعاملاً عادياً يعاني من وطأة البطالة، إلا أنه لم يتوقف عن الإنتاج وهو لا يتمكن من إيجاد مكان أو طقس للكتابة والقراءة، إلا أنه لم ينحن، أمام كل هذه الظروف القاهرة وفي هذا ما يؤكد سمو روحه، وشموخه، ونبله.

معنيون جميعاً بشأن والديه: أطفاله وأسرته، مخطوطاته، تفاصيل مدونة سيرته، ومواقفه، وهوما ألقيه- أكثر- على عاتق محيطه- ولي ثقة بهذا المحيط- لأنه أعطانا جميعاً، بلا حدود، بلا مقابل، وبلا طلب منه، وبأعظم ما يمكن أن يعطيه امرؤ في سنه، كرس حياته لخدمة رسالته. إن تخليد ذكرى دلجار، كمثقف عصامي، مناضل، ورجل وطني، مبدئي، شهم، نبيل، لابدَّ من أن تكون على رأس قائمة اهتماماتنا، منذ الآن، ومن هنا فإنني لأدعو إلى تخصيص- ملفات- عن عطائه الثقافي، بل وتوثيق هذه الجوانب من قبل المعنيين من حوله، وتخصيص جائزة باسمه تعطى في مجالات العناية باللغة أو الترجمة، وغيرهما...

واثق أن نتاج الشاعر، والكاتب، والمترجم، دلجار كانت ستملأ المكتبة، لو توافرت له الظروف المناسبة، فهو لم يهاجر لأسباب عدة: ارتباطه بمكانه، وبأبويه، وفي هذا ما جعلنا نخسر الكثير الذي كان منتظراً منه أن يقدمه لنا، بالرغم من أن ما قدمه- وهو عناوين- ليدل على شخصية هذا المناضل القدير، والنبيل، والأصيل.

* ثمة دعابات كثيرة في رسائل دلجار إليَّ، ومنها حديثه عن- القطب العائلي الثالث في العالم- ولهذا الحديث حكايته، أتمنى أن أتمكن يوماً ما، من الكتابة في ذلك، وغيره، وغيرهما، لتبيان مدى جمال روحه، وفرادته، وعلو قامته.

** محمد زكي أبو أفين حزين عليك.. حزين "لقد شل ذبأ رحيلك قواي" كما حدث مع غياب الشيخ عبدالقادر.....

صرخة مكتومة من أجل مكتومي القيد في سوريا عامة و بين الكرد خاصة

سيامند ميرزو

كيف السبيل إلى الخلاص، وأعداد «مكتومي القيد» في سوريا عامة وبين الكرد خاصة تزداد: الآلاف من الأسر من بينهم الأطفال والنساء والشباب محرمون من حقوقهم المدنية.

من هؤلاء.. بعض أفراد عائلتي، أولاد عائلة المرحوم عمي صديق ميرزو وعائلة أخي آزاد وأخي عادل نموذجا، بين بطش «النظام» و«وعدم امكانية الإدارة الذاتية ايجاد الحل» أصبح التسجيل أو الحصول على أوراق وثبوتيات من دائرة أشبه بالـ«كابوس».

معاناة الكرد من مكتومي القيد في سوري واحدة من أعقد المشاكل تواجه الإدارة الذاتية والضمير العام الإقليمي والعالمي بل بدأت تزداد وتتسع في أيام الحرب، ومع ازدياد أعداد المواليد غير المسجلين في المناطق الكردية، وفي مراكز إيواء النازحين، إلى مناطق سيطرة النظام وفي مخيمات اللجوء.. في الشتات، وحتى المتمتعون بحقوق المواطنة لم يتمكنوا من تسجيل أولادهم في دوائر النفوس، والكثيرون بعد ثماني سنوات من الحرب تزوجوا بعقد مايسمى «برّاني»، كما وهناك الذين نزحوا.. كثيرون منهم ضاعت أوراقهم وثبوتياتهم، وبقيت أغلب الولادات في هذه المرحلة من دون تسجيل ولا يمكنهم دخول المدارس أو إثبات نسبهم، ولا يحصلون على أي شيء.

ومشكلة عائلة عمي صديق ميرزو وأولاد أخي عادل وآزاد تكمن في مشكلة إدراج أولادهم في خانة مكتومي القيد، وبصعوبة بالغة يسجلون ولاداتهم، ولا توجد أرقام إحصائية لتقدير عدد حالات مكتومي القيد في المناطق الكردية، وتوجد حالات كثيرة من بينها: عدم وجود وثائق رسمية لإثبات الزواج، ولا تتبين أعداد الأطفال مكتومي القيد، وهي المشكلة التي كانت حتى عام 2011 ويعاني منها أبناء شعبنا الكردي وخاصة من أبناء الكرد في الجزيرة، الذين جردوا من الجنسية السورية عام 1962، بموجب الإحصاء العام الذي قسم الكرد في سوريا إلى كرد يتمتعون بالجنسية السورية، وكرد مجردين من الجنسية ومسجلين في القيود الرسمية على أنهم أجانب. وبعض الكرد غير مقيدين في سجلات الأحوال المدنية الرسمية، وأطلق عليهم وصف «مكتومي القيد»، وهو مصطلح إداري سوري يشير إلى عدم وجود الشخص المعني في السجلات الرسمية. وبعد كل سنوات الحرب والفوضى والتشريد والتهجير والتدمير، توسعت مشكلة مكتومي القيد وراحت تشمل الآلاف من الأطفال السوريين الذين تحول ظروف الحرب دون تسجيلهم.

وتفيد مصادر إعلامية بوجود مئات الأطفال في مناطق سورية مختلفة من مكتومي القيد وغير مسجلين في السجلات المدنية، ما يعني أن مئات الأطفال هناك مهددون بفقدان النسب والحرمان من الحقوق المدنية وحق التعليم، فجميع الأطفال حديثي الولادة في المدن أو أريافها التي سيطرت عليها الدواعش وبعض الفصائل المسلحة أصبحوا الآن مكتومي القيد، لا سيما في المناطق التي يسيطر عليها تنظيم داعش والتي تمنع المؤسسات الرسمية المدنية السورية من العمل، ناهيك عن أن المهاجرين من أعضاء التنظيم يتزوجون من سوريات في تلك المناطق بعقود زواج ينظمها القاضي الشرعي للتنظيم، وتغفل تلك العقود الاسم الحقيقي للزوج، إذ تكتفي باسم الشهرة المستعار. فلا يعلم له نسب ولا اسم. وقد يقتل هؤلاء أو يهاجرون ليتركوا خلفهم أولاداً مجهولي الهوية مكتومي القيد. يواجهون مع أمهاتهم إذا لم يقتلن مصيراً مجهولاً.

هناك في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام والمحاصرة من قبل تنظيم داعش، ولما كانت العودة مستحيلة استغل بعض ضعاف النفوس مشكلاتهم، إذ بلغت تكلفة تسجيل طفل مبلغ 400 ألف ليرة سورية، والفقراء يزدادون فقراً ويزداد أبناء مكتوم القيد، كحال أبناء مئات الآلاف من النازحين داخل سوريا واللاجئين إلى الجوار كتركيا والأردن ولبنان، الذين يعانون من مشقة إثبات عقود الزواج الشرعي وتسجيل حديثي الولادة. ووفق أرقام المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، هناك 32 في المائة فقط من 70 بالمئة ولادة سورية لعائلات مسجلة بالمفوضية تم تسجيلها رسمياً في مخيمات الدول المجاورة لسوريا، في حين يقدر عدد الولادات الحديثة لدى عائلات غير مسجلة بأكثر من 30 بالمئة من الولادات خلال السنوات السبع الماضية، سيكون من الصعب عودتهم إلى بلادهم من دون إثبات نسب، والذي يتطلب سلسلة إجراءات كثيرة صعبة ومعقدة ومكلفة، وعاجلاً وليس آجلاً سيكون هناك جيل كامل من الأطفال السوريين عامة ضائعين ومن الكرد خاصة بلا إثبات نسب عائلي، وبلا حقوق مدنية، وبلا تعليم، وبلا هجرة، وبلا وطن..

بيار روباري

الكرد ومفهوم النقد السياسي ومبدأ المحاسبة

بداية دعونا نمر سريعاً على مفهوم النقد بشكل عام، ومن ثم النقد السياسي بوجه خاص، كخلفية للموضوع الذي نحن بصدده. بالمختصر المفيد، النقد هو محاولة للتميز بين ما هو جيد وصالح، وما هو سلبي وسيئ. وللقيام بذلك يحتاج المرء قدراً من الوعي والمعرفة بالموضوع، الذي يتم النقاش حوله، كي يكون لنقده أساساً منطقياً وذو فحوى. والنقد السياسي، هو عملية تقييم لأداء مسؤول يشغل منصباً عاماً، أو تقييم عمل حكومة أو وزارة، أو حزب أو مؤسسة بعينها كالبرلمان وغير ذلك. وثانياً، تقييم سياسات تلك الجهات والمؤسسات.

وهناك جهات معينة تقوم بهذه المهام وتطرحها على الجهات الرسمية والرأي العام، ومن تلك الجهات الصحافة الإخبارية والإستقصائية، التلفزة، الكتاب، المعاهد المختصة، وغيرها. ويمكن تقسيم النقد السياسي إلى نوعين: **الأول جاد ورصين**، ويطرح بدائل عما هو معمول به من قبل جهة معينة. **الثاني ساخر ولاذع**، ومهمته لفت إنتباه المسؤولين الى قضية محددة، يعاني منها المجتمع، أو مؤسسة بعينها، وأحياناً تتناول تقصير ما لدى جهة أو مؤسسة عامة أو خاصة.

ويمارس هذا النوع من النقد جهات عدة، كالصحافة اليومية والأسبوعي، الكاريكاتيريست، وآخرين مثل أصحاب العواميد الثابتة في جريدة من الجرائد. كلا النوعين من النقد، مهمين ونحن بحاجة إليهما، ويجب أن يكونا مستقلين تماماً عن السلطة التنفيذية، ومحميين بالدستور والقانون. وليس بالضرورة أن يكون كل تقييم سلبياً، هذا غير صحيح وغير واقعي. عندها على الجهة المقيمة لعمل جهة ما، الإشادة به علناً، وتدعوا الجهات الأخرى الإقتداء به.

الكرد في هذا المجال متخلفون عن العالم الحر المتحضر بآلاف الأميال، وممارسة النقد الأدبي والفني والسياسي في مجتمعنا، قد يؤدي بصاحبه إلى التهلكة. والكرد في الحقيقة يعانون من معضلة نفسية حقيقة إسمها: تقبل النقد بأنواعه وأشكاله. فما بالكم لو كان النقد سياسي وساخر ولاذع، ويتناول القيادات السياسية والحزبية، وما أكثرهم لدينا، وإلى جوار ذلك رجال الدين، أو تناول مواضيع "حساسة" كالدين والجنس والذات الإلهية، والوجود، ونفض التراث القديم. هذا إضافة إلى غياب تام لشيئ إسمه **الرقابة والمحاسبة**، ولم يدخل هذا المفهوم أساساً القاموس السياسي الكردي بعد، وهذا يشمل كافة الأطر، الحزبية منها والحكومية والمؤسسية، والفردية.

والسبب في ذلك برأيي يعود لعدة عوامل منها:

1- تخلف المجتمع الكردي عن ركب الحضارة، بسبب الإحتلال المتعدد الجنسية الطويل لكردستان، وسياسة الإفقار والتجهيل المتقصدة التي إعتمدها المستعمرين، ويتبعونها إلى الآن بحق الكرد.

2- العامل الديني والإسلامي على وجه الخصوص، الذي يحد من تحرر الناس والمجتمع من بعض القيم البالية، التي تحكمه إلى الآن. والدور السيئ والخبيث، الذي لعبه ويلعبه رجال الدين من كل شكل وتلوين.

3- الدور السلبي الذي لعبته العشيرة، وخاصة في جنوب كردستان وشرقها.

4- بُعد الكرد عن الحياة المدنية العصرية، بسبب حصارهم من قبل الأعداء، وغياب الإنتاج الصناعي والطبقة البرجوازية، والتجارية القوية التي لها علاقات مع الخارج.

5- غياب أحزاب عصرية بكل معنى الكلمة. فالأحزاب الكردية تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: عائلي وراثي، مطعم بمسحة دينية ومشيخية معينة، وهذه التنظيمات تحكم بطريقة أبوية، والزعيم العائلي أو شيخ الطريقة، يملك سلطة مطلقة، ولا أحد له الحق أن يناقش زعيم العائلة، وشيخ الطريقة، أو ينتقص من هيبته ويقلل من قدراته الفكرية، ومواهبه الخارقة.

النوع الثاني: أحزاب شمولية على الطريقة الستالينية وإن شئت البعثية، وعبادة القائد فيها واجب مقدس، وشرط من شروط منح العضوية للمنتسب لهكذا "حزب". وإن تجرأت ذات يوم، وانتقدت القائد قدّس سرّه، حكمت على نفسك بعقوبة الموت بكل تأكيد.

النوع الثالث: أحزاب شخصية، عادةً ما تكون مرتبطة بشخص معين، ومع إختفاء الشخص لسببٍ ما، يختفي الحزب معه.

جميع سياسات هذه الأحزاب تتمحور حول قضية واحدة لا غير، ألا وهي تلميع صورة الزعيم الملهم، العبقري، ووضعه في مرتبة الإله، أي تقديسه والمقدس ممنوع الإقتراب منه عندنا. وفي سبيل الحفاظ على الصورة الزائفة هذا القائد الفذ والزعيم الخرافي، مستعد لأن يرتكب الفواحش بحق الشعب والوطن، من أجل ترسيخ هذه الصورة في أذهان مريديه، والبقاء في كرسيه مدى الحياة، والحكم من قبره كما فعل أتاتورك. ومحرم على أي واحد مناقشة الزعيم الملهم في أفكاره كأخونا زعيم كوريا الشمالية والمجرم بشار الأسد.

وإلا كيف يمكن فهم، بقاء جميع مسؤولي اقليم جنوب كردستان في مناصبهم الحزبية والرسمية، رغم كل الأخطاء التي ارتكبوها بحق الشعب الكردي والإقليم؟؟ فمن سرقة المليارات من أموال الشعب، وبيع مدينة كركوك ومعها أكثر من نصف مساحة الإقليم. أليس هذا أمرٌ عجيب، ويدعوا للتساؤل والسخرية في نفس الوقت ؟؟؟

وفي الجهة المقابلة، "العم" اوجلان فك الله أسره، كان يتهم كل كردي بالخيانة العظمى ما لم يطالب بكردستان الكبرى، واليوم يتهم كل كردي بالخيانة العظمى، ما لم يتبنى نظرية "الأمة الديمقراطية"، التي إبتدعها جنابه، فقط من أجل أن يرضى عنه أحفاد أتاتورك، ويطلقون سراحه

وبعد خسارة مقاطعة عفرين، والمأساة التي حلت بأهلها، هل سمعتم عن مسؤولاً في تنظيم "ب ي د"،استقال من منصبه، وأعلن عن مسؤوليته؟

أبداً. المسؤولين الكرد لا يخطئون، ولا يليق بمقامهم السامي، أن يقدموا إعتذاراً لشعبهم. من هو الشعب؟ أتتذكرون عندما خاطب المعتوه القذافي الليبيين قائلاً: **من أنتم؟..** نفس الشيئ كان يفعل صدام مع العراقيين، ويفعل بشار الأسد اليوم مع السوريين، رغم أنهما مسؤولين عن دمار بلدين كاملين!!!

في ظل سيطرة هذه العقليات، سيبقى يعاني الشعب الكردي طويلاً، ومعه تلك الفئة النيرة التي تسعى إلى فتح ثقب في هذا الجدار السميك، ومع الوقت توسيعه ليصبح طاقة، ثم هدم الجدار عن بكرة أبيه، كما فعل الألمان مع جدار برلين. وهذا اليوم ليس ببعيد حسب قناعتي.

الضربة الأمريكية ضد بشار وما بعدها

لقد نفذت الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا تهديداتها، وشنوا سوياً هجوماً صاروخياً مشتركاً على مواقع داخل دمشق وخارجها. مستخدمين فيه صواريخ متنوعة، وعلى رأسها صواريخ توماهوك وكروز. واستهدفت تلك الصورايخ بعض المواقع العسكرية والعلمية التابع لقوات النظام السوري في دمشق ومحيطها. ومن أهم الأهداف التي تم قصفها: مركز البحوث العلمية في منطقة البرزة، ومقر الفرقة الرابعة في نفس الحي، وموقع الحرس الجمهوري في جبل قاسيون، ومركز البحوث في منطقة جمرايا.

وفي إعلان بثه التليفزيون، قال الرئيس الأمريكي دونالد ترامب: إنه أصدر أوامره بشن ضربات دقيقة على أهداف سورية مرتبطة ببرنامج الأسلحة الكيماوية، وذلك بالتنسيق مع بريطانيا وفرنسا.

وجاء توجيه الضربات رداً على الهجوم الكيماوي، الذي أقدم النظام في نهاية الأسبوع الماضي على بلدة دوما، الواقعة في ضواحي العاصمة دمشق. وفي نفس السياق قال: أنه يرغب في **إقامة رادع مهم**، ضد أي استخدام للأسلحة الكيماوية، وأشار أيضاً إلى أن الولايات المتحدة وحلفائها على استعداد، **"لمواصلة الضربات الجوية ضد النظام السوري حتى يتوقف عن استخدام غاز الأعصاب المحظور دولياً"**.

وتابع ترامب قائلاً: "لدي رسالة الليلة، للحكومتين الروسية والإيرانية، المسؤولتين عن دعم وتجهيز وتمويل نظام الأسد المجرم متسائلاً: ما نوع هذه الأمة، التي تريد أن ترتبط بالقتل الجماعي للرجال والنساء والأطفال الأبرياء؟".

من جانبه، قال الجنرال جوزيف دانفورد، رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية، في واشنطن للصحفيين، إن الضربات التي نفذت في سورية استهدفت ثلاث منشآت مرتبطة ببرنامج الأسلحة الكيماوية الحكومي.. وتابع: إن الهدف الأول كان مركز أبحاث علمية خارج دمشق. الثاني هو منشأة لتخزين الأسلحة الكيماوية خارج مدينة حمص. وأوضح إن الهدف الثالث يقع بالقرب من الهدف الثاني، وكان منشأة لتخزين الاسلحة الكيماوية ومركز قيادة مهم. وأضاف دانفورد قائلاً: أن الموجة الحالية من الغارات الجوية، التي ستؤدي الى "تدهور طويل الأمد" في قدرة سورية على البحث وإنتاج أسلحة كيماوية، انتهت الآن.

وفي لندن، قالت رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي في مؤتمر صحفي: "إنه لا يوجد بديل عملي لاستخدام القوة" لمنع استخدام الأسلحة الكيماوية من قبل الحكومة السورية.

وقالت ماي: هذه الضربات لا تعني التدخل في حرب أهلية. ولم يكن الهدف منها تغييرالنظام السوري ووصفت الرد العسكري بأنه **ضربة محدودة وموجهة** كما أكدت أن الضربة إشارة واضحة إلى أي شخص آخر يعتقد أن باستطاعته إستخدام السلاح الكيماوي مع الإفلات من العقاب.

وأضافت ماي: لا يمكننا السماح باستخدام الأسلحة الكيماوية لتصبح أمراً عادياً داخل سورية، أو في شوارع المملكة المتحدة، أو في أي مكان آخر في عالمنا.

وفي باريس، قال الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إن **الخط الأحمر** الذي حددته فرنسا في أيار 2017 قد تم تجاوزه، وذلك لدى إعلانه عن انضمام بلده فرنسا إلى الولايات المتحدة وبريطانيا في شن هجمات على سورية. وأكد في بيان "لا يمكننا تحمل التساهل في استخدام الأسلحة الكيماوية التي تمثل خطراً مباشراً على الشعب السوري وعلى أمننا الجماعي".

وتابع قائلاً: تم توجيه الضربات رداً على هجوم الأسبوع الماضي على دوما، حيث قتل العشرات بالأسلحة الكيماوية، في انتهاك كامل للقانون الدولي، وقرارات مجلس الأمن الدولي. وتابع قائلاً: لا توجد شكوك حول الحقائق ومسؤولية النظام السوري.

هذا ما حدث حسب القائمين على الضربة، ولكن ماذا عن الخطوة التالية؟

لأن أي عمل عسكري، لا يتبعه عمل سياسي ذات أهداف واضحة المعالم فهو فاشل بكل المقاييس ولا جدوى منه.

وقبل الدخول في الإجابة على هذا التساؤل المشروع، لا بد لنا من التوقف عند حجم الضربة، ومدتها، وإعلام الروس وذلك يعني النظام، والأتراك والإسرائيليين بالضربة مسبقاً.

من بديهات أي عمل عسكري جاد ضد طرف آخر يعتبر خصم وعدو، هو عنصر المفاجأة، أن الممثل دونالد ترامب كشف عن نيته بضرب قوات النظام السوري، قبل عشرة أيام من تنفيذها.

الذي فعله ترامب يمكن التعبير عنه بالتالي: في إحدى المدن الكبرى تحدى أحد الأفراد القوانين، وأخذ يقتل الناس فرادى وجماعات كل يوم. ولم تلاحقه الشرطة لإلقاء القبض عليه ومحاكمته ووضعه في السجن، وبدلاً من ذلك، قامت الشرطة بتحذيره والطلب منه الإلتزام بالقانون، وعدم إستخدام الأسلحة الأوتوماتكية والرشاشة، في قتله للمواطنين ضمن المدينة.

وعندما تمادى القاتل في إجرامه، قامت بتوجيه عدة لكمات له، وتركوه في حال سبيله وسط سخط الناس وإحتجاجهم وإستغرابهم، من طريقة تصرف الشرطة مع هذا القاتل المحترف، الذي يعيش على الدماء.

ثم إن حجم الضربة الغربية فعلاً مسار للسخرية، فهل يعقل أن تلك الضربة ستردع المجرم بشار الأسد من التوقف عن استخدام الأسلحة الكيماوية، والثقيلة والصواريخ والطيران ضد المدنيين السوريين.

لو كان الغرب حقاً يريد إزاحة بشار الأسد من الحكم، لفعلوا ذلك منذ زمن، ولما أعطوا المجال لأن يلعبوا أي دور عسكري وأمني تخريبي وإجرامي في سوريا. الضربة كان من المفترض أن تشمل جميع مقرات القيادة السياسية، العسكرية الأمنية، قيادة الأركان، شبكات الإتصال، وزارة الدفاع، وقيادة الفرقة الرابعة، الحرس الجمهوري، وشبكات الإعلام، والقضاء عليهم بشكل تام.

كل هذا لم يحدث لثلاثة أسباب:

السبب الأول، إن أمريكا ومنذ بداية الثورة لم تكن متحمساً لرحيل نظام الأسد المدعوم من اسرائيل. وتخوف الغرب من وصول الأصوليين للسلطة، وهذا أمر مخيف بالنسبة للغرب والإسرائيليين على حدٍ سواء.

السبب الثاني، كميات البترول والثروات الطبيعية الأخرى كالغاز والذهب واليورانيوم في سوريا قليلة مقارنة بدول أخرى.

السبب الثالث، تجنب التورط في أي نزاع مسلح مع القوات الروسية، لما له من مخاطر جدية على العالم بأجمعه.

برأيي الضربة الغربية، كانت موجهة للروس أكثر منها لنظام الأسد، وأكدت الضربة رغم محدوديتها، بأن روسيا دولة محدودة الإمكانيات، وليس بإستطاعتها الوقوف بوجه الغرب الأمريكي، صاحب القوة الأقوى في التاريخ البشري على الإطلاق. ولا يمكن للروسي رد الصفعة التي تلقاها من العم سام فجر اليوم. وأدت الضربة الأمريكية أيضاً بأن الروس ليس بإستطاعتهم حماية النظام السوري، وهذه الرسالة وصلت الى الطاغية بشار الأسد، وملالي قم وبشكل لا لبس فيه.

أنا واثق بأن بشار وزبانيته سعداء للغاية اليوم، كون الأمريكان لم يقتربوا من قصره المنيف، وأعلنوا صراحة، أنهم لم يهدفوا إلى زعزعة وتغيير نظامه، ولا الميليشيات الشيعية الطائفية الناشطة على الأراضي السورية.

التساؤل الأخير:

هل كان بإستطاعة أمريكا فعل أكثر من ما فعلت، دون تداعيات خطرة على السلم العالمي؟ وماذا لو أقدمت أمريكا على زعزعة النظام السوري وإسقاطه، فمَن يضمن عدم وصول حلفاء المجرم اردوغان وقطر من إرهابي جبهة النصرة وتنظيم داعش للحكم في دمشق؟

الحل في رأيي يكمن في فرض حل سياسي على الفرقاء السوريين، على أن يشمل النقاط التالية:

1- أن تكون سوريا المستقبل دولة فدرالية تتألف من ثلاثة أقاليم هي: الإقليم الكردي، الإقليم السني، الإقليم العلوي. ولا ضير تسمية تلك الأقاليم بمسميات أخرى. (إقليم غرب كردستان، إقليم الوسط، إقليم الساحل).

2- الإعتراف بالشعب الكردي كقومية ثانية في البلاد، وتثبيت ذلك في الدستور السوري القادم. ورفع آثار الحزام العربي، وإعادة عرب الغمر إلى ديارهم من حيث أتوا، وإعادة الأراضي للكرد، الذين تم تهجيرهم من مناطقهم بالقوة من ستينات القرن الماضي.

3- تبني الجمهورية السورية، كإسم للدولة القادمة، والإتفاق على علم لدولة الوحدة، يرمز للعرب والكرد.

4- تبني النظام البرلماني، المؤلف من غرفتين: غرفة الشعوب، وتكون مناصفة بين الكرد والعرب. غرفة للتمثيل الشعبي.

5- إنهاء حكم عائلة الأسد، وتقديم المسؤولين عن أعمال القتل الجماعي، والتهجير الطائفي لمحكمة عادلة.

6- إخراج كافة المليشيات المسلحة، والقوات الأجنبية المتعددة من سوريا.

7- جمع السلاح من جميع الفرقاء السوريين، وبناء جيش وطني يمثل جميع السوريين، ونفس الشيئ ينطبق على الأجهزة الأمنية.

وهذا بحاجة إلى توافق روسي- أمريكي في البداية، ثم جمع السوريين تحت خيمة واحدة وفرض ذلك عليهم.

خورشيد شوزي

الكرد في أسواق النخاسة

التهميش الممنهج والمدروس من قبل الدولتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا والدول التي وزعت جغرافية كردستان عليها بعد اتفاقية "سايكس - بيكو" تعاونوا بشكلٍ منافٍ للأخلاق على قمع أية حركة كردية طالبت بالحقوق المشروعة للشعب الكردي أسوة بباقي الشعوب، ونتيجة لذلك عانى الشعب الكردي طوال تاريخه الحديث وحتى القديم ابتداء من سقوط دولته الميدية من تهميش وقمع وطمس متواصل لحقوقه المشروعة في العيش بكرامة. طبعاً لم تكن لدى الشعوب في الدول التي ابتلعت أجزاء من كوردستان بنية وأيديولوجية قادرة على تقبل الآخر مطلقاً، ولذلك فإن الإنكار والوجود الطارئ هما أفضل وسيلة لتحقيق غاياتها، وحتى الدراسات المستقلة التي قام بها مؤرخون باحثون في تاريخ المنطقة لم تكن أكثر إنصافاً، فترى التناقضات والأخطاء في دراساتهم- إلاّ ما ندر، كونها أصلاً لا تبحث عن الحقيقة بقدر ما هي تشبع غرور عرقي واحتقار الآخر.

ومنذ انحسار دور الاستعمارين البريطاني والفرنسي منذ نهاية الخمسينات من القرن الماضي، حملت الولايات المتحدة لواء الاستعمار الجديد، وذلك عن طريق التدخل في شؤون الدول التي تركتها الدول الأوربية، بغية السيطرة العالمية والفصل في قضايا العالم من أجل مصالحها المادية فقط. وبالنسبة لواضعي السياسات الخارجية الأمريكية فإن مفهوم الحلفاء هو سذاجة ورومانسية مضحكة، وتعطي نتائج عكسية على المصالح الأمريكية، وإن المبادئ الأمريكية نفسها عبارة عن شعارات مكتوبة ليس لها وجود في الواقع العملي، ومن وجهة نظرهم فإنها لاتمثل القيم الأمريكية الحقيقية. والشعارات والمبادئ التي أعلنها بعض رؤسائهم، مثل مبدأ ويلسون في "حق تقرير المصير" ومبادئ كنيدي في "دعم أي صديق كان" وشعار "الديمقراطية". قد أطلقت في وقت كانت الولايات المتحدة بحاجة لها، وقد عبر عن ذلك بوضوح تام هنري كيسنجر (وزير خارجية الولايات المتحدة في عهد نيكسون) عراب اتفاقية الجزائر 1975 بين صدام والشاه: "ليس لدى أمريكا أصدقاء أو أعداء، ولكن فقط لديها مصالح".

في السادس عشر من تشرين الأول/اكتوبر 2017 دخل خليط من الجيش العراقي والحشد الشعبي الطائفي إلى كركوك تزامناً مع انسحاب القوات الكردية منها بناء على أوامر من إيران وأمريكا، عندها تساءل الكثيرين من الكرد كيف من الممكن، بعد سنوات من القتال كتفاً لكتف مع الأمريكيين والكثير من القوى الغربية الأخرى، أن تتبخر صداقة الولايات المتحدة لهم بهذه السرعة، وتركهم تحت رحمة سلطة بغداد الشيعية الشوفينية الموالية لطهران المتلهفة في إضعاف حكومة إقليم كردستان على نحو مستمر؟. كيف لأمريكا أن تتغاضى عن تشجيع حل سلمي للصراع، لا بل رؤية القوات الغازية المدربة أمريكياً في استخدام أسلحة ومدرعات وعربات أمريكية في محاربة حليفهم الذي ضحى بالكثير من أبنائه في محاربة داعش طيلة ثلاثة أعوام؟ وماذا عن الحلفاء الغربيين من الأوربيين واسرائيل الذين كانوا يدعمون توجهات إقليم كوردستان في مساعيه المشروعة؟!.

طبعاً أمريكا والأوربيين لم يرسلوا دبلوماسيين رفيعي المستوى لحل الأزمة وتشجيع حل سلمي للصراع، والذي كان ممكناً، وبدلاً من ذلك قام واضعوا السياسة الأمريكية وعلى رأسهم وزير خارجيتها "تيلرسون" بزيارات مكوكية إلى بعض العواصم ومنها بغداد، وإعطاء الضوء الأخضر للعبادي باجتياح كركوك ومناطق آبار النفط، وإجراءات أخرى لتطويق وإضعاف سلطات الإقليم وشل اقتصاده.

وكان حجة الأمريكان وسياستهم مبنية على إنشاء حكومة عراقية قوية في بغداد ذات سيادة برئاسة شخص كـ العبادي يتصرف بشكل مستقل ومؤهل للوقوف بحزم في وجه التدخلات الإيرانية، فقد استثمرت الولايات المتحدة في حكومته مليارات الدولارات، لضمان إقناعه بعدم الوقوف مع طهران، بل بالبقاء قريباً من الرياض بعد إقناعه بزيارتها، وقد عملت الولايات المتحدة كثيراً على تلك العلاقة.

ومن وجهة نظر واضعي السياسات في واشنطن، فإن العراق هو المفصل الذي يتركز عليه الشرق الأوسط برمته. ولا أدري هل يعلم واضعوا هذه السياسة بأن العبادي لايحيد قيد أنملة عن توجيهات وإملاءات أيات إيران؟!، حيث يبدو شيئاً غريباً أن نرى بعد ثلاث سنوات من القتال ضد داعش من قبل الكرد أن الولايات المتحدة تبقى ببساطة صامتة وهي ترى القوات العراقية التي تقودها ميليشيات شيعية، وهي تهاجم القوات الكردية بأسلحتها وعتادها الأمريكي. والأغرب من ذلك، ما تظهره الولايات المتحدة رسمياً من معارضتها التدخل الإيراني في المنطقة من جهة، وأنها تدعم بكل قوة السياسة العراقية المؤتمرة بأوامر وتوجيهات قاسم سليماني قائد قوات القدس في الحرس الثوري الإيراني من جهة أخرى. فهل ما يطفو على السطح من العداء بين طهران وواشنطن غير ماهو تحت السطح؟!.

تفضل الولايات المتحدة التعامل مع الأنظمة الدكتاتورية أكثر من التعامل مع الدول الديمقراطية، لأنها تُعامَل بشكل أفضل من قبل الديكتاتوريين. وسياستهم الخارجية ثابتة وجديرة بالثقة لا تتغير مع مرور الوقت حيث لا يطلبون إنناً من برلماناتهم لإقامة قواعد للقوات الأمريكية، ولا صحفيون يسألون أسئلة، ولا استفتاءات مزعجة. أما الديمقراطيات فإنها تتصف بالوقاحة، حيث على الدبلوماسيين إيجاد طرق شاقة للتعامل مع الاحتجاجات والمجتمع المنفتح. وفي الحرب على الإرهاب غالباً ما تكون الأنظمة التي دعمت الإرهاب المتطرف هي التي تكون حليفة للولايات المتحدة دون أي منطق من أنها هي وحدها تستطيع أن تسيطر على التطرف الذي ساعدوا في إيجاده. والأمثلة كثيرة مثل تركيا وإيران وقطر وباكستان وغيرها من الدول.

عندما تعاملت الولايات المتحدة مع جماعات ساعية إلى الحرية سابقاً فإنها عملت مع ما يمكن اعتباره الوجه الأفضل من معادلة الحرية ضد الاستبداد. ولكن هذه العلاقات كانت قصيرة الأمد، وظهرت فقط عندما تشابكت مصالح هذه الجماعات مع مصالح الولايات المتحدة. والعلاقة الكردية الأمريكية أفضل نموذج لهذه العلاقة، فقد استغلت الولايات المتحدة الكرد أبشع استغلال، فبعد دعمهم عن طريق إيران الشاه ضد عراق صدام. باعتهم بأبخس الأثمان عندما لعبوا دور العراب في اتفاقية الجزائر في عام1975. وتكرر الأمر نفسه ثانية مع الكرد بعد الاستفتاء على الاستقلال في إقليم كوردستان، وتكرر الأمر ثالثة مع الكرد في غربي كوردستان في منطقة عفرين بالتعاون مع روسيا التي يتزعمها القيصر بوتين، والتي بيعت للسلطان العثماني أردوغان.

ألا يتعظ الكرد من تاريخهم وحاضرهم وهم يُباعون ويُشترون بأبخس الأثمان في أسواق النخاسة من قبل الغرب والشرق معاً.. على الشعب الكردي عموماً ونخبه السياسية والثقافية التعاضد وترك عادات التخوين والتشرذم، والابتعاد عن تنفيذ خطط محتليهم، ورفع شعار الكرد وكوردستان أولاً وأخيراً.

جان كورد

للاستفادة من هزيمة عفرين!

لا ينكر أي منصفٍ في العالم أن الجيش التركي الذي هو ثاني جيوش حلف الناتو قد احتاج لمدة 58 يوماً حتى تمكن من الدخول إلى مدينة عفرين ويتقدمه ألوف المقاتلين المجربين من السوريين الذين أطلقوا على أنفسهم اسم "الجيش السوري الحر"، وثبت في الحرب على عفرين أن قسماً من أفراد وقادة هذا الجيش قد جاؤوا للانتقام من الشعب الكوردي ولممارسة أفظع وأشنع أعمال النهب والسلب والإذلال والإهانة على المواطنين العزّل، الذين اضطروا لترك منازلهم أو أرغموا من قبل المهاجمين على الذروح عنها، لتبدو القرى والمدن الكوردية مقفرةً خاويةً بشكلٍ مريع، بعد أن كانت ملاذاً آمناً لمئات الألوف من مختلف المكونات السورية، طوال سنوات الحرب.

كما لا ينكر أحد أن مسؤولية النهب والسلب والتقتيل والتهجير تقع بدايةً على عاتق الحكومة التركية التي قادت هذه الحرب في داخل دولةٍ مجاورة لم تطلب منها هذا التدخل العسكري وجنّدت قوى إسلامية متطرّفة لتلعب دور الجنود المشاة أمام وخلف دباباتها، ومهما حاول الرئيس التركي تبرئة جيشه من الاتهامات بصدد عدم حماية المواطنين العزّل، فإن الجرائم ضد الإنسانية قد حدثت في ظل العلم الوطني التركي، بشهادة العديد من المنظمات الدولية والإعلاميين، وهذا سيفتح على تركيا باباً واسعاً من المساءلة (إن شاء المجتمع الدولي أخذ الموضوع بجدية ومسؤولية) بصدد ما جرى ولا يزال يجري في منطقة جبل الكورد (عفرين) على الرغم من توقف العمليات القتالية وانسحاب مقاتلي (قسد) من مركز المنطقة دون مقاومة.

وإذا كنا منصفين حقاً، فإن التسمية الأقرب إلى الدقة للحالة في عفرين هو "هزيمة" فلسفة وإيدولوجية وسياسة حزب العمال الكوردستاني برمته، فإن قيادته مسؤولة مسؤوليةٍ أساسية عن هذه الهزيمة النكراء ولا تستطيع المقاومة البطولية للفتيان والفتيات االكورد المستعدين للتضحية بحياتهم دائماً من أجل قضية أمتهم إخفاء حقيقة أن شعب المنطقة يدفع ثمناً باهظاً اليوم في ظل الرايات العديدة لهذه الحركة التي أينما حلّت في كوردستان، فالخراب والدمار والهزائم العسكرية تحل فيها. وسلسلة المدن التي دمرّت من قبل الجيش التركي طويلة بذريعة أن هذا الحزب "إرهابي!" ولربما لا تكون مدينة عفرين الفقرة الأخيرة منها.

والغريب أن حزب الاتحاد الديموقراطي رغم علاء نجمه كفصيلٍ مشهور في الحرب على الإرهاب، سواءً من قبل الروس والإيرانيين والسوريين أو من قبل الولايات المتحدة وأتباعها الأوربيين، قد وجد نفسه وحيداً معزولاً في معمعة القتال، بين المعارضة السورية ونظام الأسد، وبين القوى الدولية المتناحرة فيما بينها على الساحة السورية. فهل الدخول في ورطةٍ أو مأزقٍ رغم التنبيهات المتكررة من قبل المعارضة السورية عامةً والحراك السياسي – الثقافي الكوردي خاصةً "هزيمة" أم "انتصار" لهذا الحزب؟ ولماذا لا يتجرأ أحد زعمائه ومن لحق بهم من فصائل سياسية كوردية تابعة لهم على القول بأنهم أخطأوا في حساباتهم، منذ إعلانهم عن البقاء على "خطٍ ثالثٍ" وهمي بين فصائل الثورة الشعبية السورية ونظام الأسد؟

بل لماذا لا يعلنون عن هزيمتهم الماحقة في عفرين؟

إن البدء بشتم المجلس الوطني الكوردي والسعي لضربه وشق صفوفه ليس الطريق الصحيح لمعالجة نتائج الفشل التام في السياسة التي أدت إلى مأساة عفرين، والشعب الكوردي عامةً وفي منطقة عفرين خاصةً كان ولا يزال ينتظر من هذه القيادة التي فشلت في حمايته وتركته كلقمةٍ سائغة في أفواه الحاقدين والإرهابيين والسالبين الناهبين أن تعترف بهزيمتها السياسية والعسكرية وألا تترك الأمر لتفسيرات وتأويلات وتبريرات عجائز كهوف جبل قنديل الذين وعدوا بدعم عفرين وهددوا تركيا بشن حملاتٍ واسعة إن هاجم جيشها عفرين، ثم ظهروا كوزير الإعلام العراقي (الصحاف) فصاروا موضع سخرية واشمئزاز أمام شعب كوردستان.

كيف يمكن لزعماء حزب الاتحاد الديموقراطي وحلفائهم من تنظيمات كوردية أن يبرروا سياسياً وأخلاقياً خيانة النظام والروس والإيرانيين والأمريكان لهم في الوقت ذاته، رغم اختلاف العقائد السياسية لهم وتعارض مصالحهم ومواقفهم حيال سوريا؟ وهل يحق لهذا الحزب أن يقود الشعب الذي قدّم له فلذات أكباده وقوداً للقتال، فزج بفتيان الكورد وفتياتهم في معارك خارج المنطقة الكوردية في شمال البلاد، ليظهر بها الكورد كمحتلين وغاصبين رغم أنهم ليسوا كذلك؟ وهل يعلم هؤلاء أن اللاجئين من عفرين يتعرّضون اليوم إلى معاملة لا أخلاقية ولا إنسانية على أيدي سكان القرى والمدن التي حماها مقاتلو حزب الخط الثالث لأكثر من سنتين من هجمات الإرهابيين. فأين هو تطبيق "الأمة الديموقراطية!!!" العملي على أرض الواقع السوري؟ هل فشلت هذه الفلسفة أم أنها لاتزال حيةً ويانعةً في أدمغة بعض هؤلاء الزعماء فقط؟

الدرس الذي نتعلّمه من "هزيمة عفرين" متعدد الوجوه والفصول، وهذا يستدعي الجلوس في هدوء إلى بعضنا بعضاً، بروح الوفاء والإخلاص للشعب الذي لم يبخل على حركته السياسية بالتضحيات الجسام، ولنبدأ حواراً أو مناقشةً جادة نوضّح فيها كإخوة ما جرى في غرب كوردستان منذ بداية الثورة السورية ونحدد المسؤوليات والمسؤولين عنها ونضع الخطة الضرورية للخروج من عنق الزجاجة في أقصر وقتٍ ممكن ونتقدّم لوضع برامج عمل جديدة للمستقبل، مثلما يفعل المهندسون الذين يرتكبون خطأً يؤدي إلى هدم جانبٍ من عمارةٍ شاهقةٍ لهم، فيقومون بكل ما هو ضروري لتفادي الخطأ الحاصل ثانيةً وللبدء في تصحيح خططهم وأعمالهم. ولا يمكن أن يكون أسلوب إلقاء اللوم على الآخرين للتهرّب من تبعات المسؤولية طريقاً صحيحاً لإعادة ما تهدّم وانهار على أيدي من اعتبروا أنفسهم أعظم المعماريين، وظهر أنهم فاشلون تماماً.

المجلس الوطني الكوردي في سوريا له بالتأكيد مسؤولية ويجب محاسبته على ضوء مصالح الشعب الكوردي، ولكن لا يحق لأحد اتهام المجلس بأنه السبب في "هزيمة عفرين" التي يتحمّل وزرها فلاسفة "الأمة الديموقراطية" ومشروع "كنتنة الكفاح القومي للأمة الكوردية" وثمة فارقٍ كبير في المحاسبة على أخطاء سياسية والمحاسبة على "هزيمة سياسية – عسكرية". فلا تظنوا أن الشعب الكوردي جاهل يا سادة!

د. مهدي كاكه يي

الإختلافات بين الديانة الأيزيدية والزردشتية

أهم إختلاف بين الديانة الأيزيدية والزردشتية هو أنه في الديانة الأيزيدية هناك إله واحد وهو إله خيّر وليس هناك إله للشر، بينما في الزردشتية هناك إلهان (قوتان) أحدهما خيّر والآخر شرّير وهذا إختلاف جوهري وهام بين فلسفة الدينَين.

الأيزيدية تفرض الصيام على معتنقيها مثل الصوم عن الطعام أو الصوم عن الكلام أو الصوم عن أكل نبات معين أو الصوم عن معاشرة النساء ليلة الأربعاء أو الإمتناع عن أكل لحم معيّن، بينما تُحرّم الزردشتية الصيام.

مظاهر عبادة النار تطغى على الطقوس الزردشتية، بينما الأيزيدية تقوم بتقديس الشمس وبقية الظواهر الطبيعية باعتبارها من دلالات الوجـود الإلهي. كما تختلف الأيزيدية عن الزردشتية بإعتقادهم بطاووس ملك وهو رئيس الملائكة وفي الثنائية المتجسدة في وحدة الله الواحد الأحد إضافة إلى وجود تمثال لهذا الطاووس يتبركون به.

أركّز هنا على الإختلاف الجوهري الموجود بين الديانتَين وهو وجود إله (قوة) خيّر فقط في الأزيدية ووجود قوة الخير والشرّ المتمثّلين بـ "أهورامزدا و أهريمن" على التوالي في الزردشتية. يمكن إعتبار أهورامزدا و أهريمن كإلهَين لأنّ كلاهما معاً يتحكمان بمصير البشر، أحدهما يدفع الإنسان لِعمل الخير والآخر يدفعه لِعمل الشر وأهريمن يُمثّل الشيطان في الأديان الكتابية المُسماة السماوية.

بعيداً عن المفهوم الكلاسيكي للإله، فإنّ زردشت إختلق قوتَين متضادتَين وهما في صراع مستمر، أحدهما يمثل الخير والثاني يمثل الشر. بهذه الصورة يُلغي زردشت إرادة الإله في القيام بالتحكّم بالكون والبشر ويمنح هذه الإرادة لِقوتَين مُعاديتَين ومتضادتين هما أهورامزدا و أهريمن، بينما في الديانة الأيزيدية تتمثل الوحدانية في خالق الكون "يزدان". وفي الديانة الأيزيدية، لا توجد تسمية خاصة للشر و لا يوجد إله خاص بالشرّ.

في فلسفة العقيدة الأيزيدية، يزدان/الإله هو نور وخير مطلق، ولا يمكن أن ينبثق الظلام من النور، ولا يمكن للإله الخيّر أن يُنتج كائناً شرّيراً، يسلّطه على مخلوقاته، فالخير والشر في العقيدة الأيزيدية هما من عمل الإنسان، ولذلك فإنّ الإنسان هو صانع أفعاله وأقواله، ولا وجود لِكائن شرّير بإسم (أهريمن أو شيطان) لتحميله وزر أفعال وأقوال البشر. كما أنّ وجود الشر في الدين الأيزيدي يتناقض مع مفهوم الخالق الذي هو خير مطلق.

وهبَ الإله/يزدان الإنسان العقل، ولذلك فإنّ الإنسان مُخيّر بين القيام بأعمال خيّرة أو سيئة، وهذا يعني بأن الإنسان مُخيّرٌ في التفكير والقيام بالأعمال، سواء كانت أعمالاً صائبة أو خاطئة، جيدة أو سيئة، وأنه يتحمل مسئولية قيامه بالأعمال التي يقوم بها، وهو بنفسه يتحمل مسئولية إرتكابه الأخطاء أو الجرائم ولا يُسببها (أهريمن).

طقوس دينية أيزيدية

خلقُ زردشت لِأهريمن، يسلب إرادة الإنسان، حيث أنه لو أنّ كل ما يقوم به الإنسان هو من إرادة الإله بسبب (أهريمن)، هذا يعني بأن الإله يدفع الإنسان الى إرتكاب الجرائم والأعمال الشرّيرة الأخرى وأنه مصدر الشرّ.

هذا يعني أيضاً أنه في هذه الحالة فإنّ الإنسان المُجرم بريء من جرائمه لأنه فاقد الإرادة وأنه مجرد آلة يستخدمها الإله (يدفعه أهريمن) في إرتكاب الجرائم، وأنّ الإله هو المجرم الحقيقي والعقل المدبّر لكافة جرائم وشرور الإنسان.

زردشت

رمز الإله (آهورامزدا)

معبد لالش الأيزيدي

الفلسفة التي تتميّز بها الديانة الأيزيدية عن الديانة الزردشتية والديانات الكتابية (المُسمّاة السماوية)، هي أنه في الديانة الأيزيدية، الإنسان هو منبع الخير والشر وليس الإله، حيث ليست هناك قوة شرّيرة (لا وجود لِأهريمن). هكذا فإن الفلسفة الأيزيدية تقول أنّ أعمال البشر لا يُحددها الإله، بل أنّ الإنسان بنفسه يُحدّد الأعمال التي يقوم بها، وبذلك يمنح الدين الأيزيدي للإنسان حرية الفكر والإبداع والإبتكار والإختراع والإستقلالية والإعتماد على النفس والثقة بالنفس والعمل على خدمة الإنسانية وبناء الحضارة البشرية، بعكس الأديان المذكورة التي تجعل معتنقيها يخضعون للأقدار ويعتمدون على الإله ويخضعون لِمكائد وشرور (أهريمن أو الشيطان) وبذلك يتم تغييب عقل الإنسان وإلغاء إرادته.

دعـــوة

منظمة شباب الوحدة في اوروبا
الاتحاد العام للكتاب و الصحفيين الكرد في سوريا

تدعوانكم

لحضور حفل توقيع كتاب للأساتذة

خورشيد شوزي
الأدب عبر التاريخ

علي كولو
الثورة الموؤودة

و ذلك في مقر جمعية هيلين في مدينة ايسن الألمانية

التوقيت
يوم الأحد 13.05.2018
الساعة الثالثة ظهرا 15:00

العنوان
Werderstraße 13
45138 Essen

زوشينكو .. الساخر الحزين

- الجزء الثاني -

جودت هوشيار

رسائل الى الكاتب

ورداً على هذه المزاعم نشر زوشينكو في عام 1929 كتاباً فريداً في بابه أطلق عليه اسم "رسائل إلى الكاتب". كان الكاتب يتلقى يومياً عشرات الرسائل من القراء. وقد اختار من بينها حوالي خمسين رسالة لنشرها في هذا الكتاب مع تعليقاته عليها. وكانت هذه الرسائل - بصرف النظر عن تباين أصحابها من حيث الموقع الأجتماعي والمهنة، مكتوبة باللغة التي يكتب بها زوشينكو، والتي اعتبرها النقاد البلاشفة لغة غريبة عن الانسان السوفيتي الجديد. وكتب زوشينكو في هذا الصدد يقول: "انهم يفكرون في العادة – يقصد النقاد البلاشفة - أنني أشوه اللغة الروسية الجميلة لجعل الجمهور المحترم يضحك. إنني أكتب باللغة التي يتحدث ويفكر بها رجل الشارع".

الساخر الحزين

في عام 1926 جاء مريض شاحب الوجه، منهك القوى، الى عيادة طبيب نفسي مشهور. كان المريض يشكو من كرب لا يعرف سببه، ومن اللامبالاة، ويعاني من الأرق وفقدان الشهية للاكل. بعد فحصه، نصحه الطبيب بقراءة القصص الفكاهية، وخاصة قصص زوشينكو، لأنها أفضل علاج لحالته. وأضاف الطبيب يقول: "ربما سيبدو لك كاتباً بروليتارياً بسيطاً لكنه كاتب فكاهي كبير. تنهد المريض بحزن وقال: "دكتور - أنا زوشينكو".

قال الشاعر والكاتب الروسي كورني تشوكوفسكي (1969-1882) لزوشينكو: "ميشا - أنت أسعد رجل في الإتحاد السوفيتي. لديك الشباب، والشهرة، والموهبة، والمال. وعلى 150 مليون شخص هم سكان البلاد أن يشعروا بالحسد منك". كان زوشينكو محل إعجاب النساء بوسامته وأناقته ومجده الأدبي، ولم يكن بوسعهن مقاومة سحره الجذّاب، وسلوكه المهذب كجنتلمان من طراز رفيع. ولكن الرجل الساخر الذي أسعد ملايين القراء لم يكن سعيداً في حياته قط، وعانى من الاكتئاب المزمن بعد أن فشل في التأقلم مع الواقع السوفيتي المرير.

ثمة بين مؤرخي الأدب الروسي من أرجع كآبة زوشينكو إلى حرمانه من العطف والحنان بعد وفاة والده وهو ما يزال صبياً يافعاً، وحياة الفاقة التي عاشها مع والدته، وثمة من يرى ان سبب كآبته هو تسممه بالغاز السام حين تعرض الوحدة العسكرية التي كان يقودها الى هجوم ألماني بالغاز السام خلال إحدى معارك الحرب العالمية الأولى. تصرف زوشينكو خلال هذا الهجوم يدل على حرصه على سلامة جنود وحدته أكثر من اهتمامه بسلامته الشخصية حيث نبه الضابط الشاب جنوده بضرورة ارتداء الواقيات في حين أنه نسى نفسه، وترك الغاز السام أثراً بالغاً على صحته، وأعفي على اثرها من الخدمة العسكرية في الجيش القيصري. ولكننا نرى أن كآبته ناجمة عن بؤس الواقع السوفيتي الذي لا مكان فيه لمثقف يفكر، ولا لكاتب يكشف عن زيف البروباغاندا السوفيتية عن الحياة السعيدة في دولة العمال والفلاحين. وقد جاهد زوشينكو للتغلب على كآبته وكتب يقول: "حاولت تغيير المدن والمهن. أردت الهروب من هذا الكرب الرهيب. شعرت أنه سوف يدمر حياتي".

قال الشاعر العظيم اوسيب ماندلشتام - الذي عرف بالنقد اللاذع لزملائه الأدباء، ولم يسمع منه أحد مديحاً لكاتب أو شاعر، ولم يستثن من نقده الجارح حتى الشاعرة الكبيرة آنّا أخماتوفا، قال ماندلشتام عن زوشينكو: "لدينا الكتاب المقدّس عن العمل والشغيلة (يقصد أدب زوشينكو) ولكننا لا نقدره، وندوس على مؤلف الكتاب باقدامنا في الوحل. إنني أطالب بإقامة تمثال لزوشينكو في كل مدينة، وفي كل بلدة، أو في الأقل تشييد نصب تذكاري له في الحديقة الصيفية، كالنصب الذي أقمناه لجدنا كريلوف.

كان يبحث باستمرار عن طرق للعلاج من الحزن الثقيل الذي كان جاثماً على صدره. والحياة التي عاشها "سبد الضحك" لم تكن سعيدة قط، بل مأساة إنسانية مؤلمة. لم تكن الكآبة تفارق زوشينكو إلا عندما يندمج بكل جوارحه في أجواء القصة التي يكتبها. كان الضحك سلاحه لمواجهة الحزن والكرب ومقاومة الوسط المحيط به. وصف زوشينكو في يومياته كيف غرق في ضحك شديد عندما شرع ذات ليلةٍ بكتابة قصة "الحمّام العمومي" وكتب يقول:

"منذ السطور الأولى غرقت في نوبة ضحك شديدة، وأخذت أضحك بصوت أعلى فأعلى، إلى أن وقع القلم والدفتر من يدي. وشعرت بألم في بطني من شدة الضحك. جاري أخذ يدق الحائط الفاصل بيننا. إنه موظف حسابات وعليه أن يستيقظ في وقت مبكر غداً. ويبدو أنني أيقظته من النوم. صرختُ معتذراً: عفواً بيوتر الكسيفيتش!. مرة أخري تناولت القلم والدفتر وواصلت الكتابة. وضحكتُ مرة أخرى وأنا أدفن وجهي في المخدة. وبعد عشرين دقيقة كنت قد أنهيت كتابة القصة. وأنا آسف لأنني كتبتها بهذه السرعة. أجلس وراء طاولة الكتابة لأعيد كتابتها بخط جميل، وأنا لا أزال أضحك. وغداً عندما أقرأ القصة في مكتب تحرير المجلة، لن أضحك. بل سأكون كئيباً ومتجهماً".

البحث عن علاج للكآبة

في عام 1927 تمت مصادرة احد اعداد مجلة "بيغيموت" بسبب نشرها قصة زوشينكو المعنونة "حكاية مزعجة" التي تتحدث عن الرعب الذي ساد جو حفلة عائلية، بعد أن اتصل أحد أصدقاء العائلة من تلفون عمومي مدعياً أنه يتحدث من الكرملين. كانت تلك مزحة ثقيلة، أفسدت جو الحفلة، وأخذ المدعوون، يغادرون الحفلة خفية الواحد بعد الآخر، تاركين صاحبة الشقة نهباً للقلق والخوف، ولم يعد أحد منهم يسأل عنها أبداً خوفاً من الشبهة.

مع اشتداد الرقابة الأيديولوجية الصارمة على المطبوعات تم االإغلاق التدريجي لمعظم المجلات الفكاهية، التي كان الكاتب ينشر فيها، ولكنه لم ييأس، بل واصل العمل بهمة ونشاط. في هذا الوقت كان قد أصبح كاتباً معروفاً في الغرب. ولكن كان لذلك جانبه السلبي أيضاً، فالسلطة السوفيتية كانت تنظر بعين الريبة الى كل كاتب أو شاعر ينشرُ له نتاج ما في الغرب الرأسمالي، رغم أن كتب زوشينكو المترجمة إلى الألمانية دخلت في القائمة الهتلرية السوداء، وأحرقت ضمن الكتب الأخرى في القائمة.

في عام 1933 نشرت مجلة "اكتوبر" النصف الأول من روايته المعنونة "الشباب المستعاد" وهي قصة عالم روسي من علماء الفلك لم يظهر عاطفة نحو الاشتراكية القائمة بالبلاد دون أن يدري سبباً لذلك. كان هذا العالم يرنو الى شبابه، ويريد أن يستعيد صحته وحيويته ونشاطه في سن الشباب. وبذل جهوداً كبيرة في هذا السبيل، وأخيراً وفق في ذلك كله بفضل قوة إرادته.

في هذه الرواية وضع زوشينكو أمامه مهمة التغلب عل كآبته وتعليم الآخرين كيف يفعلون ذلك. وقد أثارت الرواية جدلاً واسعاً في الأوساط الثقافية، أسهم فيه بعض كبار العلماء الروس.

طريقة للتحرر من الخوف والعبودية

"قبيل شروق الشمس" من أجمل وأعمق مؤلفات زوشينكو، وتعد نقطة تحول في إبداعه الأدبي، تخلى فيها عن أسلوبه التهكمي الساخر، وأخذ يكتب بأسلوب جاد ومختلف عن كل نتاجاته السابقة. وكان الكاتب نفسه يعد هذه الرواية أهم ما كتبه خلال حياته الإبداعية، وحاز على إعجاب كل من اطلع عليها من أصدقائه المقربين قبل نشرها. كتبت الرواية في خضم الحرب العالمية الثانية عندما كان الإتحاد السوفيتي يخوض الحرب ضد ألمانيا الهتلرية، ولكن هذه الرواية ليست عن الحرب، بل كيفية إنقاذ البشر من الخوف والعبودية، واستبعاد إحتمال نشوب حروب جديدة. نشرت الفصول الأولى من الرواية في مجلة "اكتوبر" عام 1943، وتم منع نشر فصولها اللاحقة، ولم تنشر الرواية كاملة الا في عام 1972.

"قبيل شروق الشمس" هي قصة أراد فيها المؤلف فهم بواعث الخوف والقلق والكآبة التي يصاب بها الإنسان عندما يكون غريباً في الوسط المحيط به، وفي حالة مقاومة مستمرة له. الأنظمة الشمولية تستعبد الأنسان، ولكن الشخص الذي يقرأ كتابه، سيتحرر من الخوف ولا يمكن أن يكون عبداً، بل سيكون حراً، وقادرا على السيطرة على نفسه، والتحكم في لاوعيه وغير قابل للتضليل الدعائي. الجزء الأكبر والأفضل من الكتاب فصول صغيرة عن سيرة حياة المؤلف. قصص الهزائم المأساوية التي تعرض لها، هزائم الحب، والفشل المهني، وطائفة من القصص المذهلة عن الحرب العالمية الأولى حيث كان ضابطاً برتبة ملازم أول. نصوص رائعة تكشف عن سبب مخاوفه اليوم. وهذا ما أغضب السلطة، لأن زوشينكو ينخرط في تحليل معاناته في وقت تخوض فيه بلاده حرباً ضارية ضد المانيا الهتلرية. ولكن الكاتب يرى ان الأنسان الحر هو الذي بوسعه إلحاق الهزيمة بالعدو، وليس العبد الخائف. حقاً كانت هناك هوة شاسعة بين نثر زوشينكو العبقري وبين ما كان ينشر خلال سنوات الحرب من أعمال أدبية هزيلة ذات طابع دعائي.

تم منع نشر الجزء الثاني من الرواية بأمر من ستالين شخصياً. وشنت الصحف المركزية حملة شعواء ضد الكاتب اتهمته بالجبن والتهرب من الحرب. رغم أنه تطوع في الجيش السوفيتي منذ اليوم الأول للعدوان النازي على بلاده، ولكن طلبه رفض، لعدم لياقته للخدمة العسكرية. ولم يتهرب من الحرب قط طوال حياته، فقد سبق وأن حصل على أربعة أوسمة حربية لشجاعته الفائقة خلال الحرب العالمية الأولى، ولم يشفع له حتى إنضمامه الى الجيش الأحمر خلال الحرب الأهلية (1920-1918). كما أنه كتب عشرات المقالات المناهضة للهتلرية خلال الحرب العالمية الثانية. وكان من ضمن الأدباء والفنانين الذين أجلتهم السلطة من لينينغراد المحاصرة الى مدينة (ألما – آتا) في عام 1941، وهي المدينة التي قصفتها الطائرات الألمانية ووقعت قنبلة على البناية التي كان يسكنها ونجا من الموت بأعجوبة.

المقاتل السوفيتي الذي خرج من الحرب منتصراً، خيل إليه أنه قد تحرر من الخوف، ولكن مثل هذا الشخص الحر لم يكن مرغوباً فيه على الإطلاق من قبل النظام الشمولي.

القراء الأذكياء الذين يقدرون الأدب الرفيع يقولون أن رواية "قبيل شروق الشمس" أفضل ما أنتجه زوشينكو، حيث سبق زمنه بمائة عام، كما هو الحال دائماً مع الأعمال الأدبية العبقرية.

حكاية القرد الذي اغضب ستالين

في عام 1946 أعادت مجلة "زفيزدا" الأدبية نشر قصة زوشينكو المكتوبة للأطفال "مغامرات قرد" بدون موافقة المؤلف. وكانت القصة قد نشرت قبل ذلك بعام في مجلة فكاهية للاطفال بموافقة الرقابة، ودون أن تثير الانتباه أو النقد. ولكن إعادة نشر القصة، أثارت هذه المرة موجة عارمة من المقالات التحريضية ضد الكاتب في كبريات الصحف والمجلات المركزية. مقالات أشبه بتقارير المخبرين السريين. فما الذي حدث؟

الشعب الروسي المستاء من الإجراءات القمعية الستالينية، لم يجد أمامه سلاحاً سوى التذكير بماضي "القائد العظيم، أبو الشعوب". وأطلق الروس على ستالين لقب "ماسح الأحذية" فقد كان ستالين في يفاعته يمارس هذه المهنة – وليس في ذلك غضاضة – ولكن أن يكون "ماسح الاحذية" زعيماً مطلقاً للأمبراطورية السوفيتية، فهذا أمر يثير السخرية. وكان كل من ينعت ستالين ب"ماسح الاحذية" يعاقب بالسجن لمدة تتراوح بين خمس الى عشر سنوات.

قصة "مغامرات قرد" تسرد حكاية قرد هرب من حديقة للحيوانات، عندما قصفت الطائرات الألمانية تلك الحديقة ودمرت القفص الذي كان يحتجز فيه قرد صغير، فهرب القرد ليقع بين أيدي البشر، الذين أذاقوه من العذاب والألم ما جعله يتمنى العودة الى القفص. وقد وردت في القصة فقرة أثارت غضب ستالين: "هذا هو الكلب جالس، صغير الحجم، بني اللون على غرار ماسح الأحذية". وليس من الواضح إن كان الكاتب قد فعل هذا عن قصد أو بدون قصد، ولكنه تطابق مصادفة مع ما هو شائع بين الناس". وعلى أية حال فقد كانت تداعيات ذلك مدمرة لزوشينكو. حيث تم حظر نشر أي نتاج جديد له، وفصل من اتحاد الكتاب السوفيت، ومر الكاتب بفترة عصيبة من حياته، لأن منعه من النشر لم يكن مجرد قطع مورد رزقه، بل الحكم عليه بالموت ككاتب. واعتزل الحياة في منزله في ضواحي لينينغراد، ثم استبدله بشقة صغيرة ليعيش من فرق السعر ولو إلى حين.

كانت معاقبة زوشينكو وسيلة لترهيب كل من تسول له نفسه نقد النظام، أو حتى التفكير في ذلك. وجمع ستالين أبرز الأدباء في اجتماع حاشد، انتقد فيها ما سماه بالأنحراف عن الخط الأيديولوجي للحزب والدولة في مجال الآداب والفنون، واستشهد بنتاجات زوشينكو كأبرز دليل على هذا الإنحراف وقال: "لا ينبغي على المجتمع أن يعيد بناء نفسه وفقاً لزوشينكو، بل على زوشينكو أن يكيّف نفسه وفقاً للمجتمع، وإن لم يفعل ذلك، ليذهب الى الجحيم.!". ثم صدر في اغسطس 1946 قرار من الحزب - أعده سيء الصيت جدانوف، مسؤول القسم الأيديولوجي في الحزب - بتشديد الرقابة على المطبوعات، وتضمن القرار وصفاً مهيناً وجارحاً لزوشينكو، أدى إلى تردي حالته النفسية وتحطيمه معنوياً. وربما يتساءل البعض، لماذا لم يقم ستالين بتصفية زوشينكو، كما فعل مع بيلنياك وكولتسوف وبابل وماندلشتام وعشرات غيرهم من كبار الكتاب والشعراء؟. أغلب الظن أن شعبية زوشينكو كانت كاسحة، وإعدامه كان سيقابل باستنكار واسع في الداخل والخارج. لذا قضّل ستالين تصفيته بالتجويع وتحطيمه معنوياً، وقد وفق في ذلك الى حد كبير.

زوشينكو والطلاب الأنجليز

بعد وفاة ستالين تم قبوله مجدداً في عضوية اتحاد الكتاب السوفيت في 23 حزيران 1953 وكان يمكن أن يسترجع حياته المهنية، ولكن وقع حادث عابر لم يكن بالحسبان، قلب حياته رأساً على عقب. كانت الرقابة الأيديولوجية المتزمتة شديدة كالسابق. ففي 5 مايو 1954 تم دعوة زوشينكو والشاعرة آنّا أخماتوفا الى لقاء مع عدد من الطلبة الأنجليز في مقر فرع اتحاد الكتاب في لينينغراد. سأله أحد الطلبة عن رأيه في الاتهامات الموجهة إليه، وإلى الشاعرة "آنّا أخماتوفا" في قرار الحزب لعام 1946، فأبدى زوشينكو عدم موافقته على الإتهامات الموجهة اليه. وأجابت آنا أخماتوفا أنها تؤيد هذا القرار، وكانت مضطرة إلى ذلك لأن ابنها الوحيد كان معتقلاً في سيبيريا. ..... ص 10.....

تتمـــة: زوشينكو

وبدأت مرحلة جديدة من اضطهاد زوشينكو وتضيق الخناق عليه، ففي 28 مايو 1954 نشرت صحيفة، "لينينغراد سكايا برافدا" تقريراً عن اجتماع عقده فرع الحزب في لينينغراد جرى فيه توجيه نقد لاذع الى زوشينكو لمعارضته العلنية لقرار حزبي. وفي 15 يونيو عقد في مقر اتحاد الكتاب اجتماع لمحاسبة زوشينكو، وطلبوا منه الأعلان عن ندمه على ما صرح به للطلبة الإنجليز، وطلب العفو من الحزب واتحاد الكتاب، ولكن الكاتب المعتز بنفسه وكرامته ألقى كلمة، دافع فيها عن نفسه وفند الأتهامات الموجهة اليه بشجاعة، وقال أنه على استعداد لتحمل عواقب اعتراضه على ما جاء من وصف مهين لشخصه وأعماله في قرار الحزب لعام 1946. وكان لكلمته تأثير بالغ في نفوس معظم الحضور ما عدا قادة إتحاد الكتاب الذين تربعوا على منصة ادارة الجلسة – المحاكمة. وساد الصمت في القاعة للحظات، وكان من الواضح أن زوشينكو قلب الطاولة على من أرادوا إذلاله، وان معظم الحضور يتعاطف معه. وهنا قطع رئيس الجلسة "قسطنطين سيمونوف" الصمت وقال: "يبدو أن زوشينكو يستدر العطف" ولم يحقق الاجتماع الغرض الذي انعقد من أجله.

وكان نتيجة ذلك، اشتداد الحملة الصحفية الرسمية ضد زوشينكو ومنعه من النشر وحرمانه من راتبه التقاعدي. ولم تقتصر الحملة الجديدة غل الصحف والمجلات بل ساهمت فيها أيضاً الأذاعة السوفيتية. وهي الأذاعة الوحيدة التي كانت متاحة للمواطنين السوفيت بعد مصادرة أجهزة الراديو من السكان مع بدء الحرب الروسية الألمانية في منتصف غام 1941. وبطبيعة الحال كانت هذه ضربة عنيفة وجهت الى زوشينكو. ثم اختفى اسم الكاتب تماماً. ولكن أصدقاؤه القدامى من الكتاب (تشوكوفسكي، تيخونوف، ايفانوف، كافيرين) دافعوا عنه، وتمكن زوشينكو بشق الأنفس من نشر كتاب واحد يضم مختارات من أعماله في ديسمبر1957. وقد تعمدت دار النشر الحكومية التي نشرت الكتاب استبعاد روائع زوشينكو واختيار أعماله الأقل جودة، لأعطاء فكرة خاطئة عنه للجيل الجديد.

قضى زوشينكو السنوات الأخيرة من حياته مريضاً ومحطماً نفسياً وفي فقر مدقع بعد حرمانه من راتبه التقاعدي، وبطاقته التموينية، وكان معظم أصدقائه القدامى يخشون من زيارته مخافة الشبهة، ولولا صديقه الوفي كورني تشوكوفسكي لمات جوعاً. ونظراً لمنع كتاباته اضطر إلى ترجمة روايات أجنبية عديدة على أمل الحصول على ما يسد رمقه، ولكن دور النشر اشترطت عليه أن لا يذكر اسمه كمترجم على اغلفة تلك الروايات. واضطر الى ممارسة مهنة صنع الأحذية التي تعلمها في شبابه. وعندما توفى في تموز 1958 رفضت السلطات في لينيتغراد دفنه في مقبرة الكتّاب، فتم دفنه في مقبرة الضاحية التي سكنها في سنواته الأخيرة.

زوشينكو اليوم

كان الظن ان أعمال زوشينكو، التي رسمت صوراً ساخرة عن مناحي الحياة اليومية السوفيتية، ستذهب مع انهيار الإتحاد السوفيتي، فالحياة في روسيا اليوم تغيرت تماماً منذ ذلك الحين. ولكن هذا لم يحدث. وما زال زوشينكو أحب الكتّاب الى الجمهور، ويقبل الناس على قراءة رواياته وقصصه إقبالاً لا يجده كاتب آخر من الكتّاب المعاصرين، وتصدر بين حين وآخر طبعات جديدة من أعماله الكاملة، متضمنة يومياته ورسائله المتبادلة مع الكتّاب الروس ومع أصدقائه وأقاربه، كما تصدر عشرات الكتب الجديدة، التي تتحدث عن ذكريات الأشخاص الذين التقوا به في مراحل حياته المختلفة. اضافة الى أطروحات دكتوراه عديدة عن الخصائص الفنية لإبداعه. وقد ترجمت أعماله الى أهم لغات العالم، واجتازت إمتحان الزمن، وهذا شأن كل أدب عظيم، فهو جديد أبداً.

صقر الجبال والوديان

عبدالباقي حسيني

قبل أن ينهي زانو دراسته الجامعية طُلِب منه أن يكتب رسالة التخرج في البكالوريوس، فقام بإعدادها وأحبّ أن يهدي هذا العمل لوالده، كونه كان يقدر حجم التضحيات الذي قدمها والده لأجله، ولأجل أسرته كلها..!

كان يتذكر والده وتاريخه المليء بالمشقات، وكيف أنه كان يتجول بين الجبال والوديان، بين القرى والمدن، لكي يعمل ويؤمن لقمة العيش لأولاده وعائلته. لقد عمل هذا الوالد طويلاً في جميع أنواع المهن، فلم يهدأ له بال حتى الممات.

كتب زانو على الصفحة الأولى من رسالته الجامعية؛ إهداء إلى "صقر الجبال و الوديان" (أبي). هذه العبارة كانت تراوده منذ الصغر، عندما قرأها للمرة الأولى في لقاء صحفي جرى بين الكاتب المصري محمد حسنين هيكل و القائد الخالد ملا مصطفى البارزاني في عام 1975 ونشرت على الصحف العربية بعنوان "مقابلة مع صقر الجبال".

كان زانو يرى شخصية القائد البارزاني في شخص والده، إذ يتخيل والده كأنه صورة طبق الأصل عن هذا القائد. هذا الأب الفقير والدرويش، المنحدر من مرتفعات طوروس في كردستان الشمالية (سه ر خت) باتجاه سهول الجزيرة في كردستان الغربية (بن خت)، لم يكن يتقن أية لغة سوى الكردية، اللهجة الكورمانجية، ولم يكن يحمل أي فكر معين في رأسه سوى فكرة (المحمودكية و العثمانكية) الانتقامية. لكنه وبإرادة عالية استطاع خلال فترة قصيرة أن يندمج مع عصرنة المدينة ويتخلى رويداً رويداً من أفكاره البالية.

نزل أول مرة إلى مدينة عامودا، وبدأ يعمل في مجال الأعمال الحرة، كأحد صغار الكسبة، ثم تطور بعدها بشكل ملحوظ، وانتقل إلى المدن الكبيرة، فسافر إلى بغداد للعمل ومن ثم عاد إلى الموصل. كان الأب يسرد لزانو وأخوته عن مغامراته عندما كان حارساً ليلياً في مدينة الموصل. بعدها انتقل إلى بيروت ومكث فيها فترة زمنية لابأس بها، إلى أن جمع لنفسه بعضاً من المال يمكنه من فتح محل تجاري في مدينة قامشلو. ليصبح تاجراً معروفا هناك، بل ليصبح مشهوراً لدى جميع الأرامل في المدينة، كونه كان يتمتع بالحسن والجمال وطيبة القلب والمعاملة الرقيقة. كان بائعاً للقماش، وكانت النساء الجميلات تترددن عليه ويشترين منه حصراً، وكن يغازلنه و يطلقن عليه تحبباً اسم "بائع السراويل النسائية".

عمل صقر الجبال والوديان لسنوات طويلة في هذه المهنة وحاول أن يعلم أولاده مهنة التجارة، كان مليئاً بالعنفوان، لم يهدأ له بال، كان يكد ليلاً ونهاراً من أجل مستقبل أولاده، ليدفعهم نحو الأفضل ويؤمن لهم مستقبلاً عظيماً، فكان يعول على ابنه زانو و كان زانو بدوره يحاول أن يرد الجميل إلى أبيه الكادح والمضحي.

أولاد صقر الجبال والوديان لم يكونوا على قدر كبير من المسؤولية، فبعضهم خيبوا آمال والدهم وبعضهم الآخر كانوا مجتهدين، و زانو كان واحد منهم.

كان الأب يردد دائماً مقولة شعبية لأولاده، هي: المرء لا يريد لأحد ان يكون أفضل منه سوى أولاده، ويدعم كلامه بحكمة كردية؛" إذا كان الولد مثل أبيه، فلا بأس به. وإذا كان الولد أكثر من أبيه شأناً، فعليه الورد. أما إذا كان الولد أقل شأناً، فعليه الروث. ويقول في داخله: لا أمل في هؤلاء الأولاد، أعتقد ان الروث سيكون من نصيبهم.

كان لصقر الجبال والوديان أولاد كثر، من زوجتين، من كل زوجة عدة أولاد وبنات، أولاد الزوجة الجديدة وكونها كانت من المدنية، كانوا أكثر ذكاءا من أولاد "الزوجة القديمة". كان الأب فخوراً بأولاد زوجته الجديدة وكان زانو أحدهم، مع أن هذه الزوجة لم تعمر طويلاً عند الأب، رحلت وهي مازالت في عز شبابها.

في إحدى المرات زار أحد الأصدقاء صقر الجبال والوديان وسأله: كيف أولادك؟، هل أنت راض عنهم؟ رد الصقر على صديقه سيامند قائلاً: كل قسم منهم يشبه أخوالهم في طبائعه وسلوكه وشطارته.

كانت تربية الأطفال وسلوكهم مهمين للأب، و كان مهتماً بهم في عملية التربية والتعليم، لكن مع الأسف، لم يكن بيد كل أبنائه الاهتمام نفسه حيال نصائح الأب وإرشاداته. كان أسلوب الأب يشبه أسلوب الكتاب في حديثهم اليومي مع عوائلهم والناس، وكان يدعم كلامه دائماً ببعض الأقوال المأثورة أو بعض الحوادث الواقعية.

في إحدى المرات وبينما كان يقص إحدى قصصه النضالية في المجال القومي لأولاده، إذ كان يقول: في سنة 1936 نزحت أنا وعائلتي من القرية باتجاه مدينة عامودا نتيجة فرمانات الدولة التركية، في ذاك الوقت كانت الأفكار القومية في أول عهدها، اجتمعت مع مجموعة من الأصدقاء وشكلنا حلقة تعنى بالشأن القومي، وقتها أطلق أصدقائي لقب "ميرزا حسين" علي، كنت وقتها شاباً يافعاً في أوج عطائي، نشيطاً، ممتلئاً بالطاقة. كان بإمكاني أن أنجز كل ما هو مستحيل.

بعد فترة طلب الأصدقاء مني أن أقوم بمهمة إلى مدينة ماردين، فلبيت الطلب دون تردد، جهزت حصاني وبدلتي وحملت سلاحي، وانطلقت باتجاه ماردين (لن أطيل عليكم يا أولادي). قبل وصولي إلى المدينة استوقفتني دورية من الدرك التركي، قبضوا علي، أخذوا سلاحي وحصاني وربطوا يدي وساقوني إلى سجن ماردين. مكثت في السجن ثلاثة أشهر وثلاثة أيام، دون أن يسأل أحد عني. ساءت حالتي، تعبت نفسياً. بعدها تم الإفراج عني، اتجهت إلى عامودا. وعندما وصلت إلى البيت، ماذا أرى، رأيت والدتكم (زوجته الأولى) في أسوأ حالاتها، لم يبق عندها لقمة من الزاد لكي تطعم بها أولادها، كان البعض منكم مريضاً، لم يسأل أي صديق عنها وعنكم، لم يزرها أحد. حزنت كثيراً على ما حل بي وبعائلتي. كدت أكفر بالأصدقاء والمجموعة، لكن حبي لوطني كان يمنعني أن أظهر حقدي عليهم.

سمع الأصدقاء بعودتي، جاؤوا لزيارتي، قالوا مباشرة: إنك أصبحت غائباً لفترة أربعة أشهر، ولم تسدد اشتراكاتك الشهرية، الآن يترتب عليك دفع 40 قرشاً عن المدة الماضية. استنشقت الهواء بعمق ونظرت إلى الأصدقاء وقلت: هل أنهيتم كلامكم؟ سأقول لكم بعض الكلمات أعتقد أنها تناسبكم، أتأسف عليكم جميعاً، لقد صدمت من صداقتكم، يا قليلي الوجدان، كل همكم النقود. أين أسئلتكم عن الوطن، لماذا لم تسألوني عن غيابي، هل تعرفون أين قضيت الثلاثة أشهر الماضية، أين كنت؟ لماذا لم تهتموا بعائلتي وأولادي، هل هذه هي إنسانيتكم وحبكم للوطن والشعب؟.

قبل أن ينهي ميرزا حسين عتابه، نظر الأصدقاء لبعضهم البعض وقالوا: هيا لنذهب، يبدو إن ميرزا حسين قد تأثر كثيراً بالشيوخ والملالي في رحلته، لندعه وشأنه، وذهبوا.

أكمل ميرزا حسين قصته لأولاده وقال لهم: أولادي، حب الوطن من الإيمان والنضال من أجله من أعظم المقدسات، لكن وجود هكذا نماذج من الأصدقاء يجعل المرء يكره كل ما هو قومي ووطني. لكن مع هذا، أطلب منكم جميعاً أن تحبوا وطنكم وتناضلوا من أجله ولاتنسوا أن تتنبهوا إلى رفاق السوء.

كلام ميرزا حسين ذهب أدراج الرياح، فأولاده لم يعيروا كلام والدهم بشيء، وكان الهم القومي عندهم آخر اهتماماتهم. كان همهم الأول والأخير هو جمع النقود، فهم لم يعيروا السياسة والعلم والحالة الاجتماعية أي اهتمام. حتى حالة التدين عندهم كانت بمزاجية خاصة، فعندما تدر عليهم بالنقود، كانوا شطاراً فيها وعندما لم تكن تدر عليهم بالمال كانوا يقومون بتطبيق أدنى درجات العبادة. كانت جميع الأشياء تقاس عندهم حسب مبدأ الربح والخسارة، حتى أحفاد ميرزا حسين لم يهتموا بمبادئه، فكانوا نسخة طبق الأصل عن آبائهم. يحكى أنه في إحدى المرات مرت لجنة لجمع التبرعات من أجل حلبجة عند أحد أحفاد ميرزا حسين، فقال الحفيد للجنة، لماذا هذه التبرعات، قالوا له: إنها لضحايا مدينة حلبجة. فرد عليهم، وماهي حلبجة؟!.

ميرزا حسين لم يكن على توافق مع أولاده الكبار، فكثيراً من المرات قادهم للمقاضاة لدى بعض رجال الدين المعروفين ليبين لهم حجمهم القزم وجشعهم للتسلط على أملاكه.

لم يندم صقر الجبال والوديان على أيامه الماضية، لكن غدر الأيام جعلت الحياة تسير معه بشكل معكوس، فقد كان يتمنى أن يرى أولاده كما الأسود لا كما الثعالب والذئاب. كان يردد دائماً لأولاده وبشكل مازح، أنني نادم على جلبكم للحياة، نادم على تلك الليالي التي قضيتها مع والدتكم لتولدوا، حبذا لو كنت في الطاحونة بتلك الليالي. وكان ينظر إلى قضيبه ويشتمه، على أنه صانع لهؤلاء الأولاد العاقين.

قبل وفاة صقر الجبال والوديان، مرض لفترة طويلة، وقتها لم يقم أي من أولاده بواجبه الكامل تجاه أبيه، لرعايته والاهتمام بمرضه، وعندما كان يزوره أحدهم ويتأبط بعض الفاكهة تحت ابطه، كانت له غاية فيها، ليقنع المحيطين بأبيه على أنه مهتم ويحب والده، لكن غايته كانت الوراثة التي سيحصل عليها بعد مماته.

ظل الصقر طريح الفراش لمدة ثلاث سنوات، لم يتلمس خلال هذه الفترة أي رعاية كافية أو حنان صادق من أولاده، بالرغم من أنه ضحى بالغالي والنفيس من أجلهم. بعد رحيل الصقر بيوم واحد فقط، خلقت حالة من عدم التوافق بين الأولاد، في اليوم التالي طلبوا من والدتهم أن توزع الميراث فيما بينهم. صرخت الأم بهم وقالت، إنكم لا تستحون، فما زال كفن والدكم رطباً، ندياً، أصبروا قليلاً يا أولاد،... لم يعير الأولاد كلام أمهم أي اهتمام، وأصبح في كل يوم يتردد واحد منهم إلى أمه ليقص عليها مناماً من خياله، على أنه رأى والده في المنام وهو يقول له؛ عليكم بتوزيع الورثة فيما بينكم، فلن يرتاح لي بال في القبر طالما لم توزعوا الميراث. تبكي الأم طويلاً بعد سماعها هذه القصص من أولادها وتقول لهم دائماً؛ لم يجف بعد كفن والدكم، اصبروا!.

هذه القصة باتت تتكرر كثيراً وتزعج والدتهم، ذات يوم طلبت الوالدة منهم أن يجتمعوا عندها في البيت. اجتمع الكل وكان زانو (ابن الضرة) أيضاً بين أولادها. تكلمت الأم وقالت لهم: لقد رأيت والدكم في منامي. فرح الجميع من هذا الخبر، وتوقعوا أن يكون منام والدتهم كما مناماتهم المختلقة... تابعت الأم وقالت؛ هل تريدون ان أقص عليكم منامي الذي رأيت والدكم خلاله؟ رد الجميع بصوت واحد: نعم نريد سماع منامك.

قالت الأم: رأيت والدكم في المنام يقوم بخلع سرواله وينظر إلى قضيبه ويبصق عليه ويشتمه، ويقول؛ اللعنة عليك وعلى نسلك. صدم الأولاد من كلام أمهم، أصبحت رؤوسهم تطأطىء نحو صدورهم، وأصبح الجو تراجيدياً. أحب زانو أن ينشر الدعابة بعد أن هيمن الحزن على الاجتماع، فوقف وقال: رحمة الله عليك ياأبي، حتى وأنت تحت التراب لم تترك روحك المرحة وكلماتك الممتعة.

نشرت هذه القصة أول مرة عام 1997 في مجلة زانين باللغة الكردية.*

زيارة لتل قالينج آغا الأثري في أربيل

- الجزء الثالث -

جيهان شيركو

جـــولة حـــول تـل قالـــينج آغا

قررت القيام بجولة سيراً على الأقدام حول التل كي اطلع على معلومات أكثر، إحساس غريب غمرني وأنا أسير في نفس المنطقة التي عاش فيها سكان (قالينج آغا) منذ آلاف السنين، في الماضي كان هذا المكان يمور بالحيوية والنشاط... لكم تمنيت أن يبرز لي فرد من سكان هذا التل القديم، فيخفف عني ويؤنس وحشتي، بدلاً من سيري وحيدة على أطلالهم.

بدأت جولتي من الجهة اليسرى للتل، طرقت أول باب صادفني، فتحت لي سيدة كبيرة في السن، ورحبت بي وحين طرحت عليها بعض الأسئلة.. ابتسمت.. وأخبرتني إن زوجها لديه معلومات عن التلة، ولكن هي لا تعرف سوى أن المكان أثري قديم، فشكرتها على المعلومة.

تابعت سيري إلى ان وصلت للجهة الخلفية للتلة، شاهدت امرأة تجلس أمام الباب وهي تدخن (سيجارة) قلت لها:

خاله.. هل لديك معلومات عن هذه التل..؟

فأجابتني: نعم، إن هذا التل قديم جداً، وهو مكان أثري، والسور الذي يحيط بالتل بني في الثمانينات..

طلبت منها أن تحكي لي المزيد.. أخبرتني وكانت تشير للبيت المجاور لها قائلة:

هذا المنزل مسكون استأجره(54) مستأجر، وكما ترين، فهو فارغ، ولا أحد يسكن فيه، وكل من سكن فيه يتركه بعد مدة قصيرة من شدة الخوف...

1

التقطت صورة للبيت المسكون على بابه لافته كبيرة مكتوب عليها (للأيجار)، تابعت جولتي وأنا افكر في البيت المسكون، وهل لهذا علاقة بتل قالينج آغا..؟؟

التقيت سيدة أخرى من أهالي المنطقة، رحبت بي وأخبرتني بأنها كانت تلعب فوق هذا التل في السبعينيات مع أطفال الحي، وترى الهياكل العظمية ممددة في توابيت حوضية الشكل، وكانت والدتها تطلب منهاأ لا تذهب للتل حتى لا تصاب بمكروه.. وسألتها عن البيت المسكون فأجابت:

نعم.. الكل يعرف بهذه القصة، وان المنزل المسكون الثاني يقع خلف منزلها وهوفارغ لايسكنه أحد بعد ان جُنَ أحد ساكنيه..ولا أعلم هل هي لعنة من لعنات قالينج آغا لأهالي الحي مثل لعنة الفراعنة أم محض صدفة لا غير..!!

تابعت جولتي حول تل قالينج آغا إلى ان وصلت للجهة اليمنى حيث شاهدت شيخاً كبيراً في السن، هز رأسه كمن تعود على لقاء فضوليين مثلي، سار معي إلى جانب جدار التل، وقال:

هل تشاهدين هذا النمل حول السور، كانت هذه المنطقة مقبرة والنمل يملأ المكان لذلك نسميه تل النمل، إنه لا يغادر المنطقة.. وحينما كان العمال يخرجون الحجارة من التل لغرض البناء في الستينات شاهدوا قبوراً وآثاراً قديمة فتركوا المكان بأمر من السلطات المعنية..

انهيت جولتي ثم دخلت المتحف، صعدت السلالم الى حيث تل قالينج آغا كانت السلالم قديمة، كنت متشوقة لرؤية العقد الذي طالما سمعت عنه، شعرت برعشة خوف ومهابة من رؤية هذا التل الذي كان أصحابه يضجون بالحياة يوماً ما، في حين انها غارقة الآن في صمت وسكون مهيب...

ادهشني هذا المنظر للتل والمسطبة ومكان تقديم القرابين (19)، فالتقطت له صوراً من كافة الزوايا لأحتفظ بها في أرشيفي..

متحف أربيل الحضاري

والآثار التي تم اكتشافها في تل قالينج آغا

يحتوي المتحف على ثلاث قاعات تعود كل منها الى أزمان مختلفة:

القاعة الأولى، تضم العصور الحجرية والحضارة السومرية.

القاعة الثانية، تضم الحضارة الآشورية والحضارة الحضرية.

القاعة الثالثة، تضم الحضارة الاسلامية.

دخلت القاعة الاولى بحثاً عن آثار قالينج آغا.. وأهم المعروضات في هذه القاعة: نسخة جبسية تمثل رأس انسان نياندرتال للجمجمة الأصلية المكتشفة في كهف شانيدر، وتمنيت لو شاهدت الجمجمة الأصلية، كنا نقرأ في كتب التاريخ عن هذه الجمجمة وفي النهاية لا أرى الأصلية !

2

نسخة جبسية تمثل رأس انسان نياندرتال

وشاهدت صحن فخاري مزخرف بزخارف هندسية تعود الى فترة (حلف)، ومن المعروضات التي يعود تاريخها الى عصر العبيد شاهدت مجموعة من الجرار والأواني الفخارية المختلفة الأشكال والأحجام، وقد تم اكتشافها في تل نادر وقلعة أربيل وتل قالينج آغا..

في هذه القاعة يوجد كل ما اكتشف في تل قالينج آغا.. فقد شاهدت مجموعة غريبة من من الأحجار التي تم اكتشافها في قالينج آغا، إنه الحجر الأوبسيدي التي كانت تستخدم لصنع شفرات ومقاشط وشظايا... أخيرا تمكنت من رؤية هذا الحجر الذي كان يجلبه أهالي قالينج آغا من أماكن بعيدة، وبجانبه وضعت أقراص المغازل، وهذا يدل على اهتمام سكان قالينج آغا بحياكة الملابس..

21

مجموعة من المقاشط مصنوعة من الحجر الاوبسيدي ومجموعة من الفؤوس الحجرية وأقراص المغازل

ومع الأسف شاهدت فخاريتان مكسورتان وبجانبهما مجموعة من الصحون الفخارية، وتمنيت أن ألمسها من خلف الواجهة الزجاجية لعلي أستطيع إصلاحهما..

22

جرتان فخاريتان ومجموعة من الصحون الفخارية مع مقاسة فخارية عثر عليها في اربيل(تل قالينج آغا) تعود الى 3500- 3100 ق.م

وكانت توجد أيضاً مجموعة من آلات الطحن، ارتابتني القشعريرة وأنا أرى هذه الآلات، وتخيلت الأُسَرَ التي كانت تستخدمها مقارنة بالآلات التي نستخدمها الآن.

الات الطحن

كنت التقط الصور لكل ما يتعلق بقالينج آغا، وفي منتصف القاعة وضِعَت مجموعة من المدقات الحجرية الجميلة.

24
مجموعة من المدقات الحجرية

ومجموعة من الجرار الفخارية مختلفة الأحجام.

25

ولكن أين قلادة قالينج آغا؟

كنت قد وعدت والدتي أن أصور لها القلادة، ولكن يا خسارة لم أجد القلادة.. بحثت كثيراً... ولم أجدها.

اقتربت من القبرين الذين عثرعليهما عام 1989 اثناء بناء متحف أربيل الحضاري، قبر فخاري مكون من جزأين وعليهما قلادة مكونة من مجموعة خرز حجرية.

26

كنت أفكر أن أشخاص لهم خبرة في صناعة النحت وصناعة مثل هذه القبور لدفن الأطفال الموتى، وكم من جهد بذلواه في إنهاء هذا القبر، وقد ذكر الباحثون إن وضعية الجثة في القبرالفخاري تشبه وضعية الجنين (القرفصاء) في الرحم خاصة جثث الاطفال الصغار.... الحديث عن قبور و دمى قالينج آغا طويل ويمكن ان تحتل لوحدها مجلداً.

التقطت صوراً كثيرة لهذين القبرين قبل خروجي للسؤال عن قلادة قالينج آغا..

ألتقيت بالاستاذ (قدري علي) المسؤول عن المتحف.. وقد ذكر لي أن القلادة كانت من ضمن معروضات المتحف العراقي لعام 1973، وقد قرأ لي في كتاب كنوز المتحف العراقي من إعداد د.فرج بصمه جي - من ضمن معروضات القاعة السومرية القاعة الرقم 3 الخزانة رقم 46 :

"قلادة تتألف من خرز من الذهب تنتهي بحلقات وخرز أخرى من مواد مختلفة، وجدت في موقع قالينج آغا بمحافظة أربيل، ولعلها ترجع إلى نهاية الألف الرابع قبل الميلاد (70992 – م ع)".

وتابع حديثه: "حسب القانون المتبع في ذلك الوقت، يحق للمتحف أن يحتفظ بقطعة أثرية واحدة من مكررة اكتشافها، أما غير المكررة فيصنع لها نسخة جبسية مماثلة لها، والنسخة الأصلية ترسل إلى بغداد، ولكن القلادة والكثير من آثار قالينج آغا غيرموجودة في متحف أربيل الحضاري، ولا نعرف عنها اي شيء؟"، وهذا يعني بأنني لن أتمكن من رؤية الكثير من الآثار المكتشفة في هذا التل الكبير.

الخوف

في مستصف حقل واسع

– قصص قصيرة –

مصطفى تاج الدين الموسى

بداية النهاية

قيلولة الظهر بلا مبالاة ترتدي هذه الأنثى, لترمي بجسدها فوق السرير حيث غفتْ.

على بعد غرفتين ضجيجٌ مزعج لطفلٍ يحبو باكياً بين الأريكة والطاولة بلا ملٍ أو تعب.

على الأريكة ثمّة شابٌ يتجول بين عينيه غضبٌ عارم ومعدته ترقص جوعاً, لترتديه على عجلٍ سجائره بحنق .

من بين خيوط الدخان يرتكب همساً شتيمةً بحق دفتر العائلة .

ثمّ يوقع في سره بكل إصرار على وثيقة سفرٍ إلى أقرب عاهرة هذا المساء.

قلب رامي

منذ الصباح وحتى الظهر وهو جالسٌ على مقعدٍ في حديقة الجامعة ينتظر حبيبته ويدخن سجائره، متجاهلاً كل محاضراته.. انتظرها طويلاً لكنها لم تأت.

عندئذٍ مشى رامي إلى مكتبة المحاضرات حيث أخرج قلبه من تحت قميصه، ثمّ ناوله لصاحب المكتبة حتى يضعه عنده على الرفوف بين الأوراق كأمانة لحبيبته عندما تأتي، ثمّ خرج من الجامعة وهو يشعل سيجارة جديدة.

في المساء، هي وصلتْ إلى الجامعة وبكعبها العالي مشتْ إلى المكتبة لتشتري محاضراتها، وعندما اطمأنتْ إلى أن محاضراتها صارتْ في حقيبتها طلبتْ من صاحب المكتبة أن يعطيها قلب رامي عن ذلك الرف.. إن كان ثمنه أقل من خمسين ليرة.

صـور

في هذه الليلة الماطرة شرب زجاجتي نبيذٍ مزّ مع الكثير من السجائر في صمت غرقته.

صوره الشخصية المعلقة بكثافة على الجدران حوله, راحتْ توجه له الكثير من النصائح بصوتها البارد.

وحدها تلك الفتاة الجميلة في صورتها الوحيدة على رفّ المكتبة, ابتسمتْ له ابتسامةً دافئة.

بعد زجاجة النبيذ الثالثة كاد أن يتجمد من زحمة تلك النصائح, عندئذٍ قفزتْ فتاته عن صورتها إلى أرض الغرفة, وثمّة خوفٌ في قلبها عليه، ثمّ راحتْ تقصف بابتساماتها الدافئة تلك النصائح الباردة لصوره المتعددة.

ما قالته لوحة جمشيد

عبد الرحمن سيدو

نـافذة المساء (1)

-1-

يبوح مغزل الزمن بالعصر يا أصحاب.. يبوح.. تنتعل خطواتي وجه الرصيف، الرصيف الذي يودعني محطة القطار، الذي يشبه أمي بلونها الغامق، تهب نسمات جافة، تضيع في الفراغ... لم تكن المسافة بعيدة.. لحظات مقطوعة بخطى عجلى وأصل...، أتنفس بعمق، تستريح نسمات الربيع في صدري التعب، أتلفت حولي، نساء ورجال يقبضون على أيدي أطفالهم وحقائبهم، ينتظرون بامتعاض، وقد ظهرت على مسافات وجوههم حبات عرق نافرة، وإذ يصفر القطار، أصعد قابضاً على الحلقة المعدنية المثبتة جانب الباب، أدخل العربة، تدور عيناي، تمسحان المقاعد والمسافرين، هاهم يدفعون حقائبهم المنفوخة إلى الرف الطويل، يرفعونها ثم يجلسون، أدفع بيدي داخل جيبي، أخرج بطاقة الركوب، أتمعن الرقم، أتجه إلى مقعدي، أرفع حقيبتي، أريحها فوق الرف، أهبط بجسدي فوق الكرسي، أهدأ، تنطبق كفي على حافة النافذة تسحبه إلى الأسفل، أمد رأسي، تخرج عيناي، تتقبان في رصيف المحطة تبحثان، تفتشان، أتنشق النسيم، ترف جفناي، وبألم تنطبق رموشهما، تعبسان، لا أحد... لا أحد!

- "في كل مرة... حين يتخدَّر القلب يأحباب.. أعلق الحقيبة على كتفي، أجري مكالمة، أضع المهتاف، أنطلق تجاه المحطة، أدخل طابور المسافرين، أصعد معهم، أتمعن رقم البطاقة، أمشي إلى مقعدي، أهدأ فيه، أجر النافذة إلى الأسفل، أمد رأسي في فضائه، ألقاك، تبتسمين، تطيّرين العسل، تلوحين تقتربين... أدخل ميناء عينيك، أعوم في أمواجهما الرحبة.. ترسلين في دمي قمتين من غيم وبهار... تلوحين ثانية.. تضحكين بسعادة.. يغيم النبع.. تدورين تطفر الغيوم.. تحركين رأسك الثمين وتندهين:

- "باي"... مع السلامة... أنتظرك.... وتغيبين....."

يعلو صفير القطار ثانية، تفرقع عجلاته، أتنبه، الشمس نضرة، النسيم هفهاف، تنحدر بعض العصافير من سماء صافية، تضرب بأجنحتها كرب العصر، تنخفض، تعلو، تثير في الجبين شلالاً من الألفة، تستقدم وجهك... الوجه اللصيق بالروح ويدور مغزل الزمن، يدور ويبوح.. بالوجع يبوح.

-2-

عجلات القطار ترسل موسيقا رتيبة، مملة، تغادر العصافير زرقة السماء، يعلو لغط الركاب لحظات ثم يترمد.. ووقت يخترق القطار رحاب العالم الأخضر، ينهض بعض الركاب، يغادرون مقاعدهم، يطلون على رحاب المدى المفتوح، المدى المكتظ بالعشب والجدايا والحليب الوفير، تدور رقاب المسافرين تعانق عيونهم تقاطيع الربيع، يصرخ أحدهم مباغتاً:

- ياللروعة... يارب..

يصيح آخر:

- أهلاً بالضيف الزاهي المتمدد على التراب.. ويقهقه من أعماقه، ثم يصمت، فتعلو قرقعة العجلات، يستل الرجال سكائرهم، يحرقون رؤوسها الشقراء، يعثرون مُرَّها الأزرق اللاذع في فضاء العربة ويتنهدون، تسرقهم الطبيعة إلى أحضانها الطرية، تلفهم الذكريات والهموم اللذيذة، ينسون القطار، لا يشعرون بسرعته، ترمقهم أحداق الشمس، يفسح لهم الشجر مكاناً بين ذراعيه، تشهق السهول وتتسلق زجاج النوافذ، النوافذ التي يتحرك في بحرها الآن مركب الزمن، الذي يبوح بالغروب، نعم يتحرك المركب وينطلق، ليتيه في غبش الآهة التي طبعتها صدفات الروح المطعونة، بحثاً عن عينين منتظرتين، عينين قاتلتين...

وأسمع عينيك، أسمع، لاغرابة ياناس، حكايا القلب المنتظر، النابض بالشوق، والتي تعبره الأشواك، فيئن، بحرقة يئن، ثم يتقلب في حدائق الجمر، يهمس شعراً شهياً، ينزفه من صرر الخيال والبحور والرمل، شعراً يدفع بنا إلى ركننا الأثير..

سلسلة "النمسا بعيون كوردية"

مدينة (كلوستر نوي بورغ)*

حيث السماء تواجه الأرض و تحتضن الثقافات و الفنون

بدل رفو

التاريخ القديم والفنون والثقافة الانسانية لهم المكانة الكبيرة في مدينة (كلوستر نوي بورغ) الواقعة ضمن خارطة إقليم (النمسا السفلى)، وتقع على أطراف العاصمة فيينا ولا تبعد عنها سوى مسافة 15 دقيقة بالسيارة.

بدل رفو أمام واجهة المدينة من الشارع الرئيسي

مدينة تاريخية اعتمدت على نفسها بنجاح لتكون ذو جودة عالية للحياة، وذو مستوى معيشي باهر مرتفع، وكذلك المكان المثالي للاسترخاء والراحة. حسب الوثائق التاريخية يرجع الاستيطان البشري فيها إلى العصر الحجري الحديث وتطور الاستيطان بعدها لتكون أول مستوطنة تركت آثارها في المدينة منتصف القرن الأول بعد الميلاد. اثبتت الحفريات والآثار في المنطقة لتكون شاهدة بأن الرومان عاشوا فيها، واستوطنت المدينة لغاية القرن الخامس، ولكن اسم القلعة القديم لغاية اليوم لم يكن معروفاً، وترجع الأهمية الكبيرة للمدينة إلى عام 1113 حين بحث الغراف (ليوبولد الثالث) عن مقر إقامة له في المنطقة.

"ليوبولد الثالث" الذي كان متزوجاً من (آغنيس) ابنة القيصر (هنري الرابع) شيد مقر إقامته الجديد في مكان يليق بالامبراطور ولذلك اختار جانب المدينة العلوي. وفي عام 1114 يتم وضع حجر الأساس الرسمي للبناء وكانت الكنيسة موجودة ووقتها كانت كلية الشرائع وانضمت بعدها الى الوقف.

كانت مدينة (كلوستر نوي بورك) شريان الحياة للحركة وحافظت على حيويتها على مدى قرون طويلة بالرغم من أنها كانت تخش الفيضانات القادمة من نهر الدانوب، ورغم ذلك كان اعتماد المدينة على الدانوب كبيراً في نقل البضائع عن طريق النهر.

مجسمات صغيرة للعوائل المالكة

خلال عام 1989 تمنح المدينة لقب المدينة الدولية للتفاهم والشعوب، وبهذا تكون أول مدينة أوربية تنال هذا اللقب من المجلس الاوربي. منذ 9 قرون يعد وقف مدينة (كلوستر نوي بورغ) واحداً من أهم الأماكن المقدسة ومركز الثقافات في النمسا. كانت مقراً لاقامة القياصرة والبعض سكنها مؤقتاً، وفي الوقف العملاق سراديب وأقبية النبيذ منذ قرون وأروقة لعرض الأعمال الفنية في معارض زجاجية.

الدرب صوب أروقة السراديب

في هذا الوقف الساحر والبناء الرائع تاريخ 9 عقود من الثقافات والفنون، ولهذا تكثر الاحتفالات والنشاطات والمعارض في أروقة وصالات وسراديب القلعة الكبيرة.

بدل رفو في أروقة السرداب

يقام حالياً في القلعة معرض 400 عام من تاج النمسا ـ يحتفل تاريخ الأرشيدوق النمساوي في خزينة الوقف بمناسبة مرور 400 عام من تسليمه الأرشيدوق (ماكسيميليان الثالث) التاج والذي هو قبعة الأرشيدوق للوقف عام 1616 كتاج مقدس للبلاد، وليكون قريباً دوماً من القطع الثمينة الأثرية والمجوهرات والتي ظلت ليومنا هذا، وفي الجناح المهم من الوقف حيث الاشياء المهمة والتي لها مكانة كبيرة ومتشابكة مع التاريخ بشكل وثيق.

تاج الارشيدوق

في هذا المعرض حيث النوعيات الراقية والفاخرة وذو جودة كبيرة منها: الذهب والرسائل والأحجار الكريمة واللؤلؤ والمرجان وفرو القاقم (حيوان من فصيلة العرسيات).

يوثق المعرض الأهمية التاريخية للتاج المقدس. ويعرض الفترات التاريخية للتاج في حوزة الأباطرة والأرشيدوقات ومكانته في الأعراس والاحتفالات. ثمن التذكرة للدخول إلى المعرض تبلغ 11 يورو ولكن للصحفيين مجاناً. وقف المدينة نقطة التقاء النبيذ بالثقافة وهنا مواجهة السماء مع الأرض.. هكذا يتم وصف الوقف.

غرفة القيصر

يعد وقف (كلوستر نوي بورغ) من أهم المعالم الثقافية والفنية والتاريخية والسياحية في إقليم (النمسا السفلى)، والميزة الفريدة للمبنى الساحر يعد واحداً من المباني الرومانسية ويحتضن الإرث الإنساني الغني في مجاميع المتحف والخزانة من العصور الوسطى لغاية يومنا. استلم الوقف المهام الثقافية من أجل الحفاظ على التراث ومتحف الكنوز الفريدة من نوعها والحفاظ على المواد الأساسية.

حانوت الوقف

أسس الوقف في أواخر القرن الثامن عشر خزانة التحف لأرشفة وتخزين الفنون والحرف والتراث الذي تكوم عبر قرون، وفي الجانب الآخر لنقل الثقافة لتكون وسيطة ومركز ثقل لعروض الفنون مستقبلاً، منذ اليوم الأول من تأسيس المتحف أيضاً تم الاتصال بالفنانين والفنانات وعرض الفنون المعاصرة وليكون الوقف قبلة الفنانين.

خزانة الوقف

أما خزانة الوقف لسنوات عديدة كانت مقفولة وليس بوسع الزوار مشاهدتها، ولكن منذ ربيع 2011 انتقلت إلى مستوى أفضل من الحماية والسلامة والحفاظ عليها. يوجد في هذه الخزانة سلسلة تاريخية من التحف والآثار ابتداءً من نشأة الوقف والسنوات الأولى للتاج لغاية بدايات القرن 20، ومن هذه الأشياء حجاب الامبراطورة(آغنيس) وكاسيت من العاج والكثير من التحف وعرض شعارات الغراف ورداء الكاهن وهو يرجع الى القرن الرابع عشر والمجوهرات.

كنيسة الوقف

متحف الوقف.. يوجد متحف الوقف في غرفة الدوق في الطابق الثاني للقيصر، ويحتوي الطابق على 12 صالة للعروض وذو أهمية كبيرة وخاصة اللوحات القوطية. خصصت كل صالة لمجموعة فنية وهناك مجاميع من عصر النهضة وهو اغنى الفنون في النمسا، وكذلك بيرو المتحف الفن الباروكي في أعمال كثيرة ومنها: لوحات (يوهان ميخائيل روتماير، باول تروكير، مارتين يوهان شميت). كنيسة الوقف شيدت عام 1114 – 1136 ببرج كبير ولوحات كبيرة ومذابح وكانت تعد وقتذاك من أكبر الكنائس في النمسا ولهذا ارتبط وقتذاك (ليوبولد) بالمكان.

واجهة المبنى من جهة المدينة

معرض الفن الحديث في المعرض يعرض على الأغلب الصور الدينية بشكل معاصر. يوجد في مدخل القلعة حانوتاً كبيراً لبيع الكتب وبطاقات المعايدات والتذكارات وكل ما يخص المنطقة والقلعة والمدينة.. سياحة ساحرة كانت في أروقة القلعة والكنيسة التي أشبه بمتحف ضخم وصالات القلعة، وفي كل ركن من أركانه يقبع السحر والجمال وحتى في حديقته الكبيرة، ومنظر القلعة من الخارج تمنح المكان سحر التاريخ القديم وفنون العمارة وهنا قالوا الأرض تواجه السماء في قلعة (كلوستر نوي بورغ) وربما قصدوا السحر والجمال..!!

في أروقة المعرض

*** (كلوستر نوي بورغ)ـ اسم المدينة وقلعة الوقف بالألمانية وتعني بالعربية (دير القلعة الجديدة).**

إعمل معروفاً كل يوم

عبدالباقي حج سليمان

لم أكن قد تجاوزت سن الثامنة بكثير، عندما دخل علينا معلمنا، وبرفقته شاب طويل، يرتدي زي الكشافة، قدمه إلينا باسم الجوال (ابراهيم).

كان ذلك أول عهدي بالحركة الكشفية. كنا أربعة (براعم) هكذا كان يدعونا الجوال، خرجنا الى الشارع بطلب منه، وكان المفروض أن نتفرق في أحياء المدينة، ليعمل كل منا (معروفاً)، ونعود فنحكيه لزملائنا في الحركة.

وقفت على الرصيف، أتأمل الناس على طرفي الشارع. كنت مزهواً بالزي الكاكي الذي أرتديه، بالفيصلية على رأسي، وعليها شارة الزنبقة الذهبية، بالفولار الأصفر حول عنقي، مع أشرطة ملونة فوق جيبي، وقفت على الرصيف، أتأمل المارة على طرفي الشارع، أبحث بينهم عمن عساه يحتاج معروفا مني.

كانت امرأة سمينة، تمسك فوق رأسها ما يشبه مرتبة اسفنجية ملفوفة، وتمسك بيدها الأخرى بقجة قماشية مليئة، جريت نحوها..

ـ خالة.. خالة، هل تريدين ان اساعدك..؟

لم تنظر إلي .. لم تكن قادرة حتى أن تدير رأسها، فقط أشاحت بيدها لأبتعد عنها، تسمرت في مكاني، ثم عدت أجري إلى حيث كنت في تقاطع الطريق على زاوية الرصيف أنتظر فرصة أخرى، بدأت الشمس تلفحني.

سألت صاحب محل حلويات.. كانوا يدعونه أبو رودي:

ـ عمو.. كم الساعة ..؟

أشار إلى ساعة بندول كبيرة معلقة فوق رأسه وهو يبتسم، كان قد بقي لي نصف ساعة، لأعود بعدها إلى مدرستي.

في اليوم التالي أرسلني الجوال إلى نفس المكان، ووقفت أبحث عن أحد ما، أعرض عليه مساعدتي دون جدوى، ذهبت إلى محل الحلويات لأستطلع الوقت، كنت حزيناً تغمرني الخيبة.. وتساءلت أين هم الذين ذكرهم لنا الجوال ابراهيم ..

ـ . إمرأة عجوز غير قادرة على قطع الشارع، رجل ضرير لم ينتبه إلى حفرة في طريقه، طفلة صغيرة فقدت أمها، قط رجله مكسورة.. فرخ عصفور سقط من عشه..

في اليوم الثالث وقفت في نفس المكان، دون أي حماس، كان يومي الأخير، رجل نحيل كان يدفع عربة نقل طويلة على دولابين، فوق العربة كومة من الكراسي والصناديق، جريت خلفه:

ـ عمو عمو.. هل أدفع معك العربة ..؟

نظر إلي ضاحكاً، وتابع لا يلوي على شيئ

كان أكثر ما يشق علي هو كلمات التشجيع التي أسمعها من الجوال، والتي ماكان لها أن تواسيني أو تخفف من شعوري بالخيبة.

خنقتني رغبة عارمة في أن أبكي، وتذكرت والدي حين يقول لي بحزم (لا تدع أحداً يرى دموعك).. جلست على الرصيف، وأجهشت بالبكاء، جففت دموعي بالفولار الأصفر، كنت أوشك أن أذهب إلى محل أبو رودي للحلويات لأعرف الوقت، عندما استوقفني من خلفي صوت رجل يرتدي قفطاناً أبيض بخطوط زرقاء، وسألني:

ـ عمو.. هل تعرف طبيباً قريباً من هنا..

أجبته بحماس

ـ نعم عمو.. نعم أعرف.

هناك الدكتور قنواتي، هناك بعد زاوية الشارع، عليك أن تتجه نحو... إسمع عمو.. تعال معي سوف أوصلك إلى هناك بنفسي.

قال الرجل:

ـ يطول عمرك عمو

ولكنني تعبت، دعني أسترد أنفاسي قليلاً..

قال ذلك وهو يستند على عصا غليظة بيده

ـ عدت نحو محل الحلويات، استأذنت صاحب المحل في أن أستعير كرسياً لرجل عجوز، وأشرت للرجل الواقف على الرصيف، قهقه صاحب المحل، وهو ينظر من خلال الواجهة الزجاجية، وقال:

هذا عجوز!!..

هذا أقوى مني ومنك.

تناولت كرسياً صغيراً من القَش وعدت به، تناوله الرجل وهو يربت على رأسي، سألني

ـ شو اسمك عمو..

قلت له باحترام شديد، كما يفترض بالكشاف عندما يكلم الكبار

ـ اسمي فوزي .. عمو..

هز رأسه مبتسماً، وبعد استراحة قصيرة، قال:

ـ شكراً يا فوزي.. أعد الكرسي، وخذني الى الطبيب.. ماذا كان اسمه..؟ آه نعم نعم.. القنواتي..

أوصلته إلى عيادة الطبيب، ورجعت وأنا أكاد أطير من الفرح..

كادت سيارة أن تدهسني.. اصطدمت بأحدهم.. تعثرت بنتوء في الرصيف.. وكدت أقع على وجهي أكثر من مرة.

وصلت إلى المدرسة وأنا ألهث وأضحك، وسألني الجوال بحزم:

ـ هل عملتَ معروفاً أيها البرعم..؟

**

كنت عائداً إلى البيت، ومررت على أبو رودي الذي تعودت أن أسلم عليه من وقت لآخر، ساعة ألكترونية كبيرة ولامعة كانت معلقة فوق رأسه، وانتشرت كراس خيزرانية عالية حول طاولات لامعة، كان أبو رودي يضع لي الحلويات في علبة كرتونية، ناولني إياها، وسألني فجأة..

ـ فوزي... هل لا زلت تعمل معروفاً كل يوم؟

ألجمني سؤاله الغريب ، ورمى بي الى ماضٍ بعيد ، الى اكثر من عشرين سنة خلت .

منذ ذلك اليوم.. كنت اسلم عليه كلما صادفته في الطريق، كنت اشتري منه الحلويات احيانا بناء على طلب والدتي سألته مستغرباً:

ـ هل كنت تعرف مالذي كنت افعله حينها ..؟

قال وهو يقهقه كعادته متجاهلاً سؤالي:

ـ المهم هل ترغب في أن تعمل معروفاً الليلة؟

قلت وانا لا أزال حائراً:

ـ طبعاً عمو .. طبعاً، كيف أستطيع أن أخدمك عمو؟

قال:

ـ الحقيقة، انت لن تخدمني أنا، ولكنك ستزور معي الرجل الذي عملت معه معروفاً مرة، فأوصلته إلى عيادة القنواتي..

تابع بضحكة مجلجلة، وهو يقرأ الحيرة في عيني:

ـ أبو جانو صديقي، وكنا نراقب حيرتك في ذلك اليوم.. وقرر أن يطلب مساعدتك.

إنه في المشفى الآن، إثرَ نوبة كلىً حادة، وينتظر إجراء عملية جراحية له

تأرجحت بين الحيرة والدهشة للحظات.. ثم اتضحت الصورة أمامي شيئاً فشيئاً، فقلت غير مصدق:

ـ تريد ان تقول انه عمل معي معروفا ذلك اليوم!!..

بابتسامة حانية همس لي:

ـ أريد فقط أن أقول، إن رؤيته لك سوف تسعده كثيراً.

غالبت مشاعر شتى تعاورتني، كيف تَفَهم ذلك الرجل مأزقي في ذلك اليوم..؟ وأي سعادة لا توصف خلّفها في نفسي حينها..؟ غالبت دمعة تكاد تطفر من عيني، وبصوت متهدج ومبحوح قلت لصاحب المحل:

ـ عمو .. قل لي فقط متى آتيك لأرافقك إلى المشفى..؟

بوح الأمكنة

جولة في عبق تراث نابلس

الحلقة 3

بقلم و عدسة: زياد جيوسي

ما أن أطللت ومضيفتي د. لينا الشخشير على نابلس القديمة والتراثية، حتى شعرت بعظمة الأجداد والجدات وقوتهم وصمودهم، وشعرت بأرواحهم ترف من حولنا، فهمست لمضيفتي بما همست به الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان ابنة نابلس العريقة:

"كفاني أموت عليها وأدفن فيها، وتحت ثراها أذوب وأفنى، وأبعث عشبا على أرضها، وأبعث زهرة إليها، تعبث بها كف طفل نمته بلادي، كفاني أظل بحضن بلادي، ترابا وعشبا وزهرة".

فوقفت أمام مسجد الخضراء وهو أقدم مساجد نابلس القائمة والذي عرف باسم "جامع الخضرة" مع كثرة البساتين التي كانت تحيط به، أتتشق عبق الياسمين من حارة الياسمين، وبدأت الجولة بدخول مسجد الخضراء التاريخي والذي يتميز بمئذنته المربعة على نمط المآذن المغربية.

ويوجد مئذنة مشابهة بالشكل في مدينة الرملة الفلسطينية أيضاً، والمئذنة تتميز ببعدها عن المسجد حوالي 30م، وموقع الجامع في الجهة الجنوبية الغربية لحارة الياسمينة بالقرب من عين العسل، فنابلس اشتهرت بعيون الماء النقية والعذبة، والعديد من مساجدها كانت قرب عيون الماء، وموقع المسجد في الأصل كان موقعاً أثرياً يعود لفترة العصر الحجري الحديث، ومغارة يقال أن سيدنا يعقوب حزن فيها على فقدانه ولده سيدنا يوسف، فسميت مغارة الحزن أو خلوة المحزون ولذا يسمي البعض المسجد بجامع حزن يعقوب، وهذا الكلام لا سند تاريخي له، وقد وصف الشيخ عبد الغني النابلسي الرحالة والمتصوف الشهير المسجد والمغارة بقوله:

"توجهنا إلى جهة مسجد الخضراء، وهاتيك الروضة النضرا، وكانت النسمات عطرة الهبوب، والأزاهير متنوعة الضروب، إلى جامع قديم البنيان، متهدم الجوانب والأركان، فيه بركة ماء كبيرة، ذات الطول والعرض مربعة الجوانب، والأركان مساوية للأرض، والماء يجري فيها من أفواه سواقيها، وحولها الأشجار والبساتين، والأزهار، والرياحين، وقبل البركة مسجد للصلوات، فيه محراب، وسقفه معقود من الأحجار، وفي الداخل مغارة، يقال إن يعقوب عليه السلام كان مقيماً فيها، وإن ذلك المسجد كله كان بيتاً له، وتلك نقول لم تزل العامة ترويها".

بنى الرومان على الموقع مبنى كنيسة زينوها بالبازليكا، ولكن المبنى تهدم مع عوامل الزمن حتى الفتح الإسلامي فبني مسجد في الموقع تم تحويله لكنيسة من قبل الصليبيين المحتلين، وحين طردوا من فلسطين أعاد القائد صلاح الدين الموقع للمسجد من جديد، واستمر حتى عهد السلطان المملوكي سيف الدين قلاوون حيث بنى المسجد الحالي، وما زالت يافطة حجرية منقوشة فوق البوابة تشير إلى ذلك.

تجولت في المسجد ولم أجد مفتوحاً الا الطابق العلوي الحديث، ومسجد الخضرة تعرضت بعض أجزائه للهدم من قبل الاحتلال في اجتياح 2002 م وخاصة الجزء الغربي منه وغرف تحفيظ القرآن وتم إعادة بنائه وترميمه، فتجولت في الساحة ومن النافذة تأملت المحراب الجميل المتميز بنقوشه والآيات القرآنية والنقوش على النمط الأندلسي الجميل، وفي الساحة بركة الوضوء التي تأخذ مياهها من عين العسل، وبجوار المسجد في الباحة عدة قبور واضح أنها قديمة من طبيعة شكلها الحجري المنحوت والمنقوش، ولكنها مهدمة وبحاجة لترميم فهلا انتبهت وزارة الأوقاف الفلسطينية أو الجهات المعنية لذلك؟ وقد قرأت على أحدها وهو الأجدد عبارة تقول: "هذا قبر الشهيد حسين أحمد سمحان من الفندق في معركة نابلس سنة 1257ه"، وفي العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي كان المسجد مقرا للمتصوفين من أتباع الطريقة الرفاعية، وتعرضت أجزاء منه للهدم إثر الزلزال الشهير عام 1927 حتى جرى ترميمه

في عهد سليمان طوقان في أواسط القرن العشرين والذي كان إبانها رئيس بلدية نابلس، وقام أهل الخير بإعادة ترميمه عام 1975 مرة أخرى، وواضح من طبيعة وشكل الحجارة وأحجامها في جدران المسجد مروره بفترات ترميم مختلفة ومتباعدة.

ما أن دخلنا حارة الياسمين وبدأنا بالتجوال في أزقتها ودروبها وأنماط البناء ما بين البناء العادي والأبنية التي تشابه القصور، حتى استعادت ذاكرتي مباني دمشق القديمة وحي الساروجة، فلا غرابة أن تسمى نابلس دمشق الصغرى، وشعرت أن كل بناء فيها وكل زقاق وكل شارع وكل حوش أو حارة تروي حكايات تاريخ يعود لتاريخ أول ضربة معول ضربها كنعان فأنشأ شكيم لتروي الحكاية، حكاية أرض هي لنا أبناء كنعان منذ فجر التاريخ، فنابلس بطبيعة أبنيتها والعقود التي توصل الأبنية فوق الأزقة تشير لماذا كانت ملاذا للثوار والمناضلين، فهي تتيح الحركة دون النزول إلى الشوارع والأزقة من فوق المنازل والأحواش، وفي حوش العطعوط كان يختفي القائد الرمز الشهيد ياسر عرفات وهو يعد العدة لانطلاق عمليات الثورة،وشهدت أزقة نابلس معارك استشهد فيها عدد كبير من الشهداء منذ الاحتلال الاسرائيلي عام 1967 وخاصة في الانتفاضة الأولى وانتفاضة الأقصى، وما زالت نابلس تقدم الشهيد تلو الشهيد، وكلما تجولت في أزقة نابلس وشاهدت النصب التذكارية ولوحات أسماء الشهداء، كنت أشعر بعبق دمهم يمازج ياسمينات نابلس، فلا أمتلك إلا أن أقف بإجلال وأقرأ الفاتحة على أرواحهم.

من زقاق إلى زقاق كنت أسير ومضيفتي د. لينا الشخشير حتى شعرت بتأنيب الضمير أنني أتعبتها كل هذا التعب وهي الفتاة الشابة الرقيقة، وتذكرت جولاتي السابقة منفردا وجولتي مع الشاب عياد الشحرور صديق ابني والذي رافقني أول جولة في دروب نابلس، وتذكرت أسطورة اسم "نابلس" بنسبته للأفعى الضخمة المسماة "لس" التي كانت تلتهم البشر وتسمم الآبار حتى تم قتلها وكانت تمتلك نابا ضخما تم خلعه فسميت "ناب لس"، وطبعا كما أشرت فهي ليست أكثر من أسطورة رويت بأكثر من شكل، بينما حقيقة الاسم تعود لبناء المدينة في موقعها الحالي بدلا من موقعها القديم "تل بلاطة" حيث كان اسمها شكيم بعد أن هدمها الرومان وبنى إمبراطورهم قسبازيان المدينة الجديدة في الموقع الجديدفي وادٍ بين جبلين هما: عيبال وجرزيم؛ ويبلغ ارتفاع جبل عيبال 940 م وجبل جرزيم 870 م، ليصبح اسمها "نيابوليس" أي المدينة الجديدة وتم تحريف الاسم إلى "نابلس" عبر الزمان.

نمط أبنية نابلس قائم على العقود المتصالبة على أقواس بحجارة ضخمة حملت الأبنية فوقها، ولا يخلو سطح من القباب أو من العلالي إضافة للقصور مثل قصر النابلسي وقصر النمر وقصر عبد الهادي وغيرها والتي سأتحدث عنها خلال التجوال، فسرنا بالأسواق المختلفة مثل سوق الحدادين وسوق البصل والسوق الشرقي وغيرها من الأسواق، حتى وصلنا إلى مطاحن ومحامص بن بريك والتي أنشأها المرحوم عبد الفتاح بريك "أبو زيدان" عام 1936 وآلت لورثته، وهي مطاحن مشهورة بالبن والبهارات والعطارة المختلفة، وقد عمل مالكها الحالي باسل بريك منذ أواسط الأربعينات من القرن الماضي على تحويل المساحة الداخلية إلى متحف تراثي بحكم هوايته بجمع المواد التراثية من أي منطقة، فأصبح البهو الداخلي في هذا المبنى التراثي العريق عبارة عن صالة مفروشة بالفرش العربي والبسط اليدوية وفي كل زاوية فيه ومن لحظة الدخول للمطاحن عبارة عن متحف يروي حكاية ذاكرة شعب لا تتوقف، فشعب بلا ذاكرة شعب يسهل شطبه، ونحن شعب عصي على الشطب بما نمتلك من ذاكرة وتراث وحكاية شعب شق الصخر وبنى حضارة.

ولذا اخترت نماذج من الأبنية والصناعات والأمكنة للحديث عنها، فنابلس تحتاج سنوات من البحث والتجوال والتوثيق، فهناك نابلس التي تحت الأرض ولا يمكن الوصول إليها إلا عبر سراديب معقدة، وهناك أبنية وحارات وآثارات تحت الأرض، إضافة إلى عشرات المقامات والعديد من الكنائس والأديرة وسبل المياه والمساجد والأوقات وحكايات لا حصر لها، وبعد أن قرأنا الفاتحة على ضريح المرحوم مصطفى بك الفقاري أمير الركب المصري والذي توفي ودفن في نابلس عام 1051 ه، اتجهنا إلى مصبنة عرفات للقاء السيد نصير عرفات ليحدثنا عن عملية تحويل المصبنة إلى متحف ومؤسسة ومن ثم إلى مصبنة النابلسي "البدر" وهمست لي مضيفتي ودليلي د. لينا الشخشير: الآن سترى أجود أنواع الصابون من زيت الزيتون في العالم، فهمست لها من باب المشاكسة: وهل يرقى لصابون زيت قريتي الخضراء الصغيرة جيوس الذي يطبخ في البيوت ولا استخدم منذ طفولتي صابونا غيره؟ فضحكنا معا، فالمصبنة التي نتجه لها تعود إلى 850 عاما، وهي بعض مما تبقى من هذه الصناعة التاريخية التي اشتهرت بها نابلس دون غيرها في فلسطين، والتي سيكون عنها حديث في الحلقة القادمة يروي بعضا من حكاية من الصعب روايتها بالكامل.

الإرادة المعرفية في مواجهة القمع

الحلقة السابعة

ريبر هبون

فتفاصيل المحن التي عمت المجتمعات، جعلتها أشبه بالقطيع المحتقن، والذي يتفجر على نمط غريب يقود بالنهاية لدمار كل شيء، فالشرخ الكبير بين المسؤولين والجماهير، يؤدي لتشكل هذه النظرة في رؤية المحكومين أنهم عبارة عن قطيع يطيع ويلحق برعاته، أما أن تتلبسهم روح التمرد والشكوى، فهذا ما لا يتوقعه ويتخيله المرؤوسون، إذ لا يمكن مفاوضة قطيع حيواني ، فالشعب بنظرهم ليسوا سوى ذلك القطيع المأمور، واستغرابهم تصرفات ذلك القطيع، هو بمثابة الحدث الأكثر جللاً، والذي قادهم إلى التفكير بإبادة القطيع، فقد خرج عن طبيعته المفترض أن تبقى عليها للأبد، هذا بوجهة نظر المتنفذين السلطويين، فهم يصفون كل انتفاضة بالجنون والخروج عن الجادة، وهكذا يستعر الصراع فيما بين المختار وجماعته من جهة والقطيع من جهة أخرى، ليؤدي ذلك إلى التشتت والتبعثر كنتيجة من نتائج المماطلة والقمع الجائر.

فالمنظومة التي تعج بممارسات الاستبداد والشمولية في هيكليتها ومؤسساتها، تنشأ فيما بين أفراد تعاقد على الرهبة والوجل، وانعدام الثقة، ولاسيما ذلك الاستبداد المحاط بأفراد يجمع فيما بينها علاقات القرابة القائمة على حماية النفوذ، ويصبح هدفها الكلي حماية السلطة ضد خطر تمرد المجتمع المحتمل، ولا يلجأ السلطوي إلى محاولات الإصلاح، لاعتقاده أن ذلك اعتراف مبطن بخوفه من الشعب، وأن تنازله لشيء معناه أن سيتنازل في أشياء أهم هي من صميم حاجيات الشعب وخصوصاً نخبه الشابة المستنيرة، فالسلطة تستعين أيضاً بالقداسة الدينية، إذ تبحث أبداً عن مبررات دينية من النصوص المقدسة تبيح لها بطشها وقمعها، حيث ثمة تلك العلاقة التوأمية ما بين السلطويين ورجال الدين، هم يحتاجون للنصوص المقدسة أبداً لتبرير سلوكياتهم، فقد عززت تلك النصوص سلطة الطاغية، مكنته على البقاء أكثر، جعلت منه وصياً على الدين والشريعة والحياة والمجتمع بأسره، ولاشك أن ازدياد الجماعات التبشيرية وكثرة التنظيمات الدينية تمثل الحاجة المتسارعة للسلطات لبقاء تجديد صلاحياتها، كونها خير معين لضبط سلوك الشعوب، ودوام مكوثها، حيث نجحت في استخدام العقائد الروحية في شن هجماتها على كل النقاط التي تحتاج تقسيمها وتثبيت أقدامها فيها، مهيمنة على المجتمع عبر نافذة الإعلام المرئي والمسموع، للحد من التفوق الذي لابد وأن يتلبس النخبة الشابة، لتكون الرادع لمخططاتها التخديرية في إيهام الجماهير وإخضاعها بوسائل تتصل بمفهوم القوة الناعمة.

فللنفس في مشهد الموت رؤى تتجه لمحاكاة الماضي واستجداءه، فلا شيء أصعب على المرء من البقاء مرتعد الأوصال والملامح إزاء مشاهد قاتمة، شؤون السلطة في محاكاتها لطرق ووسائل المحافظة على مراكزها وذلك بالحرب مستخدمة قوت الشعب في ذلك،فالدعوة للحرب هو شأن السلطويين في الذود عن قواعدهم ، فما حاجة الشعب للحرب؟!، وما هي مبرراته وغاياته بالنسبة لمنافع الشعب حسبما قاله الرئيس، متذرعاً بأن قوت الشعب قد تمت سرقته، وأنه قد نُصِّب لاسترجاع المسروق، فما يحدثه الاستبداد والفساد من فوضى لا رجعة عنها، وتفكك مجتمعي، ينشب أظافره أولاً بالشعب مروراً بتنظيماته المحلية، وانتهاء بمؤسسات السلطة وأبرز أفرادها، حيث يعد الفيلسوف توماس هوبز أول من أشار إلى هذه الفوضى ، في حين ذهب أرسطو للقول:

"ان الانسان بطبعه حيوان سياسي يحب الحياة في جماعة سياسية منظمة فهو مدني بالطبع"، بطبعه وهو لا يبلغ كماله الا عند وجوده في مجتمع "، فتدمير الفرد وتكبيله بالدمار والخراب والعجز لهو تمهيد لإدخاله في حالة من فوضى غير منتهية، وهو بالتالي محاولة للقضاء على التعاقد الفطري الطبيعي بين الجماعات.

ولاشك أن ابتزاز الجماهير بقوتها هو دليل على تدمير مقومات نهوضها وتهديد لمعاييرها الاجتماعية، حينما أكد هوبز بأن التربية تشكل عموداً أساسياً لبناء المجتمع السياسي المعافى،تلك الحرب لا تغدو في ظل الفوضى سوى استجابة لغايات الأطراف المتحاربة والتي تدعمها الدول المستفيدة من هذا التفكك، والانقسام المجتمعي إلى جانب نزوح أفراده، الأمر الذي يسهم في حرب الأفراد ضد بعضهم البعض لإبراز معالم **حرب الكل ضد الكل**، فلا شيء يقف في ردهة إحساس السارد سوى الموت المتعدد بأسماء ونعوت مختلفة، موت من مرتزق، أو من قناص، أو من ثائر مزعوم، وهكذا تتعدد الأشكال لهذا الموت الواحد، يجعلنا نركن للتاريخ مالياً ونفحصه، لنجده المساحة المكتظة بأمجاد الحكام الشخصيين ومحاولتهم للإبقاء على سطوتهم ولو على حساب دماء الأبرياء.

هذا التوحش الذي يستشرس ويحول دون نمو الزهور والأشجار، كأن الإنسان لم يعرف البناء والفن، ولم يقم بصنع ما يسمى بالحضارة، لتكون سموماً بالنفس، لا إذلالاً لها، فثقافة الحرب وأدبها إن صحت تلك التسمية ، هو تجسيد للويلات على نحو واقعي ومؤلم جداً، وكذلك محاولة استثارة روح الإنسان، لدى الذي تحول بينهم وبين الإنسانية هواجس التصارع والغلبة، حيث تغدو الحدائق وهماً أمام ألسنة اللهب المستعرة والقصف الذي يهبط يميناً وشمالاً، فالألم هنا ليس رديف اللذة، في تتبع جمال المكان،لكن نداء الحضارة والعراقة أقوى، من غرائز التوحش التي تطبع بها السلطويون وأثرياء الحرب وتجار السلاح:

- العودة لمسالك الصفاء والتمرس بثقافة الحياة كبديل عن امتهان الفناء وتدمير الموجودات البشرية والطبيعية
- التأكيد على عظمة الموجود باقترانه بالمعايير الأخلاقية التي تنتصر لنداء الواجب، وفي ذلك تتحقق أواصر السلام بين الموجودات على قاعدة السلم البشري
- اتخاذ تدابير قميمة في ظل احتدام الصراع الغرائزي لتقاسم الموارد والنفوذ، وإبراز أدب ينتصر للسلام كحقيقة للتعايش السلمي بين الشعوب التي تجمعها الجغرافيا الحالية، دون إقصاء وتعسف بين بعضها البعض، بل بعقد اجتماعي يزيل مظاهر الاضطهاد والعنصرية فيما بينها
- التأكيد على الجانب الخير للإنسان، أمام تحديات المشهد المرعب، والدعوة لكبح جماح العنف والسعي لحياة بديلة عن الدمار والتعسف، لتحسين التجربة الإنسانية وتعميمها في الحياة المعيشة..

ونشوب تلك النزاعات لدرجة لا يمكن ضبطها أو وقفها بمثابة إفلاس حضاري تتقاسم أعباءه تلك الأطراف التي لا تستجيب للثوابت الإنسانية في حق الحياة، وإنما تذهب إلى البعيد إلى حيث الجشع وزيادة الأزمات وتفعيلها على حساب شعوب تعاني مرارة الواقع المزري بين فكي السلطة المستبدة، والفوضى العارمة، حيث يتناول عفونة المفاهيم والاحتجاج الفكري عليها، وكذلك لفضح ما خلفته عزلة المجتمعات عن قيم المواطنة الحرة وقبول الآخر، عبر الثورة عليها، بغية تقويضها، لتدشين بوادر الانتفاضة الذهنية، المتمثلة ببث آليات التسامح بين الشعوب والمجتمعات للخروج من عجزها وقوالب تغييبها، حيث نرى رفضاً لآليات الحكم المتمثلة في تمجيد التماثيل المتألهة ،فهنا يتجسد مذهب الاستحقار ما بين الرئيس وأعوانه، والتبعية لدرجة تقبل كل نعت وضيع، حيث أن الطقوس العوائدية الخاصة بحالة الاستحقار تمارس عن رضا وطيب خاطر بين من هو في أعلى الرتب ومن هم دونها بقليل، وفق حالة من انعدام الثقة، والقلق الدائم، من سعة النفوذ، أو الانقلاب المفاجئ، ولاسيما أن هالة التقديس التي تحيط بالقائد الرمز، منبثقة عن الرياء التام، والخوف على المنصب من زواله،

وليس العمل الأدبي برمته في هذا السياق مجرد استذكار للأقاويل والتعابير المتشابهة، إنما هو سبر للغة التي ضاعفت الإحساس بكل ذلك، إذ جعلت النقد حراً في مقارباته، واسترسالاته، وبذلك فإن الأدب الواقعي يبرز أكثر حدة حينما يعبر عن نقد الجماهير للسلطة، وللظواهر المضطربة،وكذلك لاستنهاض الثمرات الطبيعية لكفاح المعرفيين الشاق في مواجهة كافة الاضطرابات التي تعم البشر في ظل الحروب، وكذلك فإن الخوض في إشكالية الثقافة والدين، والأعراف، لهو محاولة للتمييز بين الطيب منها والسيء، في محاولة للتفريق بين ما ينعش الحياة الاجتماعية وما يجعلها في اضطراب، حيث لم يعزل الفن عن القيمة المتشبثة بالدفاع عن قيم الحياة والجمال والخير، وبالإشارة إلى عيوب السلطة الشمولية، وطرف إفسادها لكافة مؤسسات الدولة، ناهيك عن تغلغلها العنيف داخل المجتمع من خلال أنموذج الدولة القومية التي من خلال تغطي على مآربها في البقاء في السلطة وتدمير قيم المساواة بين الشعوب، للحيلولة دون التحول الديمقراطي.

وهكذا نجد أن المسعى وراء النقد الواقعي كان غايته، الإعداد للتغيير كفكر ممنهج، لا كانفعال صادر عن فعل البطش، تشابه الواقع وفق رؤيته في الحلم مع الواقع المعاش من ناحية الأدوات والأشياء واختلافها , وذاك انعكاس هام يعكس حالات الصراع للإنسان الساعي لتحقيق الرغبة من خلال النشاط وبث الحركة والعمل لإنجاب الحلم بتكامله مع الواقع وبتحقيق ماهية الانسجام بين عوالم الفرد الذاتية والواقعية من خلال وحدة الذات مع الجماعة ولعل القيمة المثلى لدى الإنسان هي العمل لأجل حلم وادع ومتكامل ومتألق ودائم يبعث على اليقظة بأن الحياة هو صراع فلا حركة دون استجابة إدراكية من قبل الجماعات البشرية لتنهض وتستكمل أداء واجباتها وبذلك فالهدف من اليقظة هو تحوير الواقع لجعل الحلم يأتي بعد عمل وسعي لا انفصام بين الحلم والحركة كفعل تأكيد وإثبات للمرء، من خلال مروره على مواقف نفسية متمخضة عن أوجاع سياسية، اقتصادية تتعلق بالفساد الممنهج.

وهذه إشارات تعطينا الكثير من التساؤلات حول مجتمع يصل لذروة الخلل فيه ومن ثم حينما يقع فيه ذلك الضغط الهائل، أو ما يعرف بالهبة أي الثورة، فإن الفوضى تصبح مصيره، ومن ثم تصبح تلك الثورة بمثابة الولادة التي تمر بمخاضات لتنتج ما يسمى بالحياة الجديدة التي تتحقق من خلالها سيادة القانون على الجميع دون استثناء، لأجل ترميم تلك المعايير الأخلاقية الرادعة لكل تشوه, مما يجعلنا نعود لمقولة الكاتب المسرحي وليم شكسبير حين قال:

"إن أي مركز مرموق كمقام ملك ليس إثماً بحد ذاته، إنما يغدو إثماً حين يقوم الشخص الذي يناط به ويحتله، بسوء استعمال السلطة من غير مبالاة بحقوق وشعور الآخرين"

الحلم والحب هما البداية، وهما مقود الصراع ضد الفساد المهني، الأخلاقي، السياسي وهكذ، وبالتالي فإن رمزية الحب هذه متعلقة إلى حد ما بنظرية القوة، هنا إشارة إلى الصراع ما بين الحلم والعسف، في تناوبهما للحياة بطرائق مختلفة ومستفزة، ينفرد همام بطل الرواية بوحدته بين كل مشهد ومشهد ليجسد لنا مقولة نيتشه حين قال

"الوحدة لا تزرع شيئاً، إنها تجعل الأشياء ناضجة"

تجنيد الذين يعملون حسب نواياهم البريئة هو الوسيلة لبقاء المتحكمين والآمرين في مراكز الصراع، والوقود بالطبع هم صادقوا النوايا، المغترون بالأوسمة والألقاب البراقة، والذين يعيشون ضمن المواجهة، ويتعسكرون في خنادق التصادم بغية تحقيق ما يبتغيه صناع الصراع بما يتناسب وتحقيق ما يبتغونه مستخدمين القيم الطبيعية كوسائل لتحقيق التنازع على الدوام. فالفن جلي في المكان والتخريب كذلك والصراع بينهما مستمر والانتصار لأحدهما على الآخر إحدى جهود الإنسان أفراداً وجماعات.

الحديث عن الفساد والرشوة وتلك القضايا المألوفة في بلاد تعيش السذاجة كفلكلور وتراث، وتقتات البساطة على مبدأ القناعة في حدودها الأدنى، وجود نواة تتحدث باسم التغيير والإصلاح والثورة الجذرية ولا تفعل مثقال نقير على أرض الواقع مما تهدف إليه على الورق، حيث يتنبأ الفرد المعلول بأمراض مجتمعية ناجمة عن انتكاسات السلطة السياسية بوقائع يتبصرها ويدرك أنها واقعة لابد، وهذه إشارة إلى استفحال تلك الأخطاء والتجاوزات التي تقود للخراب الشامل.

ليست الميثولوجيا غريبة عن قدر المجتمعات البائسة المحاصرة بأغلال دينية لاهوتية تحد من انعتاقها من خفايا ما وراء الطبيعة وفي معرفة أسباب توالي الحروب والهجرات التي جعلت العالم كما هي عليه غارقاً بالأحجيات القاتمة، حيث نرى هنا العديد من الدلالات التي تتفجر في متونها رائحة التوغل لمكامن التنازع الذي يمثل العقد البشري الوحيد الذي تعاقد البشر كافة على توالد نسله، فاللغة الدالة هنا تستدلنا على الحقائق وتقف حول إشكالات السلطة والفساد وطبيعة المجتمع وطريقة تكوينه النفسية وأثر البيئة عليها وكذلك تحولاتها التاريخية التي تعطي إحداثيات مهمة عن كيفية تواجد واستيطان سلطة عميقة الترسخ في حياة المجتمع، ففي كثير من الأحيان يقفز السجان من بين عديد المسجونين ليجمع من خلال تلك الكثافة البائسة ممن يساعده على إيجاد مواطئ قدم لتفسخات لا تكاد تنتهي وتتوالد باستمرار حيث تتواشج مع بؤس التفكير الاجتماعي العام إلى جانب البؤس الطبقي، وفق مثل كردي شعبي (xizanî ji nezanî tê) ومعناه يأتي الفقر من الجهل.

..... يتبـــع .....

بوكتشين، أوجلان وجدلية الديمقراطية*

الجزء الثاني

ترجمة: عدنان بدرالدين

جانيت بيل

في ربيع عام 2004 إتصل محاموا أوجلان، عبر وسيط، مع بوكتشين وأخبروه بأن أوجلان يعتبر نفسه تلميذا له، وبأنه فهم أفكاره جيدا، وهو مصمم على تطبيقها في المجتمع الشرقي، كما طالب بفرصة للحوار معه، وأرسل إليه إحدى مخطوطاته.

كان هذا الحوار، لو قيض له أن يتم، سيكون أمرا مدهشا، لكن موراي، إبن الثالثة والثمانين كان مريضا لدرجة جعلته يرفض هذه الدعوة، على مضض وبإحترام.

كتابات أوجلان اللاحقة تظهر تأثيرات قراءته لبوكتشين عليه. بحثه "في الدفاع عن الشعب" هو بمثابة سردية عن الحضارة تتضمن وصفا لأشكال التجمعات البدائية الشبيهة بالمجتمع العضوي الذي قدمه بوكتشين، أشكال من الحياة الجماعية سماها أوجلان "المجتمع الطبيعي". في مثل هكذا مجتمعات، كتب أوجلان، عاش الناس "كجزء من الطبيعة" وكانت "المجتمعات البشرية جزءا من البيئة الطبيعية". وقد قدم وصفا لتنامي نظام التسلسل الهرمي الذي يشبه كثيرا ذلك الذي طرحه بوكتشين. فالدولة، برأيه، "عملت على الدوام من أجل فرض الهرمية الإجتماعية، وشرعنت لتراكم القيم والسلع". أكثر من هذا،

قال أوجلان، بأن تنامي الهرمية الإجتماعية أصبحت مقدمة لفكرة إخضاع الطبيعة. و "بدلا عن أن تكون جزءا من الطبيعة"، بات المجتمع الهرمي يرى "الطبيعة، بصورة متزايدة، مجرد مصدر للموارد" ليستخلص من كل ذلك بأن المجتمع الطبيعي، شكل منذ فجر الإنسانية، النقيض لفكرة المجتمع القائم على الهرمية والدولة. (16).

تمتاز سرديات بوكتشين وأوجلان عن الحضارة بالعديد من نقاط التداخل والإختلاف التي ستكون مثيرة للدهشة في حال إستكشافها. ولكنني، حرصا على الإيجاز، سأكتفي بإيراد إحدى نقاط الإختلاف.

إعتبر أوجلان، كما تم الإشارة إليه سابقا، أن ميزوبوتاميا هي المكان الذي بدأت منه الحضارة. بوكتشين وافقه في رأيه هذا، منوها إلى أن الكتابة نشأت هناك، وأن أصول الكتابة المسمارية يمكن تتبعها في السجلات الفائقة الدقة الموروثة عن كتبة المعبد التي تقدم وصفا للمنتجات الواردة إليه، ولتلك التي تم توزيعها.

في وقت لاحق، أصبحت هذه العلامات، شكلا للكتابة السردية، الأمر الذي شكل نقلة إلى الأمام. (17). بوكتشين تقبل أيضا فكرة أن الهرمية الإجتماعية، والكهنوت، والدول، ظهرت لأول مرة في سومر، على الرغم من أنه كان يعتقد أن الجغرافية المعنية خضعت لتطور مواز. ولكن، على مايبدو، كان إستبيان آثار المقاومة هو أكثر ماكان يؤرقه.

ف (المدن –الدول) الأولى في سومر القديمة، كانت تدار من جانب مجالس للمواطنين المتساويين، وكانت تتمتع ب"حرية واسعة إلى درجة غير مألوفة." (18). ومع مجئ الملكية، "تظهر أدلة على حدوث إنتفاضات شعبية، ربما من أجل إستعادة النظام القديم، وربما للحد من سلطة الملك (Bala). وكان" الحاكم (Ensi)، والقادة العسكريون، غالبا مايخضعون للمساءلة من جانب المجالس الشعبية." (19). وقد إفتتن بوكتشين بواقع أن كلمة (amargi) أي الحرية ظهرت، لأول مرة في سومر، مثلما يتضح من التاريخ المدون، وأيضا بحقيقة أن الألواح المسمارية السومرية، تقدم وصفا لإنتفاضة شعبية ناجحة ضد ملكية ،ستبدة.

بعد قراءته لبكوكتشين، دون (بتشديد الواو) أوجلان لديه كلمة (amargi)، لكنه لم يتناولها بتعمق، مستعيضا عن ذلك بتتبع ميزات المجتمع الكردي إلى العصر الحجري الحديث. "العديد من خصائص وصفات المجتمع الكردي"، كتب أوجلان، خاصة فيما يتعلق ب"العقلية والأساس المادي... تحمل صفات مشابهة لتلك التي ميزت المجتمع الحجري الحديث"(21)، حتى أن المجتمع الكردي في أيامنا هذه يتميز بالتعاونية التي هي صفة المجتمع العضوي. "طوال تاريخهم لجأ الكرد إلى الإنتظام في منظومات عشائرية، وإتحادات قبلية، لكي يخوضوا النضال ضد الحكومات المركزية" (22). ولهذا، فهم مؤهلون محتملون لحمل راية الحرية، يؤكد أوجلان.

كان بوكتشين وأوجلان كماركسيين قد تعلما أن العمليات التاريخية، من المنظور المادي الديالكتيكي، صارمة، تعمل كقوانين، وتؤدي إلى نتائج حتمية لايمكن تفاديها، مثل نشوء الدول القومية والرأسمالية. لكن بوكتشين، الماركسي السابق، في كتابه آيكولوجيا الحرية، بذل قصارى جهده لتفنيد "مثل هذه النظريات المتعلقة بالقانون الإجتماعي والتفسيرات المستندة على التمنيات لا على الوقائع"، ليس لكونها إستخدمت "من أجل التوصل إلى الإخضاع التام للفرد لقوى خارقة، خارجة عن سيطرة البشر، كما في مثال الستالينية"، بل لأنها أيضا "أنكرت على الإنسان قابلية الإرادة الحرة والإختيار في صياغة مسار الأحداث الإجتماعية" (23)، وهي لذلك تحولنا أسرى للإعتقاد ب"الحتمية الإقتصادية والتقنية". حتى أنه شكك في حتمية الهرمية ذاتها، فهو يجادل بأنه، إذا وضعنا جانبا واقع أنها حدثت بالفعل، ربما كان في مقدورنا "إمتلاك رؤية لتغيير تصورنا عن المستقبل المتأسس على الحرية". (24). نعم، لقد عشنا ذات يوم في كومونات مشاعية، ونسطيع فعل الشيئ ذاته مرة أخرى. إن الذاكرة المدفونة للمجتمع العضوي، تعمل بدون وعي، بتعهد ضمني نحو الحرية". هنا تكمن، برأيي، الرؤية التحررية ل"آيكولوجيا الحرية".

أثناء قراءتي لكتاب أوجلان "في الدفاع عن الشعب" راودني شعور بالإبتهاج ذكرني بذلك الذي عشته عند قراءتي ل "آيكولوجيا الحرية" في عام 1985، إبتهاج يتأتي من التبصر بأن البشر عاشوا ذات مرة في تضامن مشاعي، وأن هذا الإحتمال مازال واردا. إن نحن قبلنا تغيير مفاهيمنا الإجتماعية، فإن مفهوم الحد الأدنى الغير قابل للإختزال بات يعرف تحت مسميات أخرى، مثل الإشتراكية، على سبيل المثال. "آيكولوجيا الحرية" تقدم للقارئ ما إعتاد موراي أن يسميه "مبدأ الأمل" الأمر الذي لابد كان له، مغزى ما، عند أوجلان السجين.

"إنتصار الرأسمالية لم يكن قدرا"، كتب أوجلان في عام 2004، "كانت هناك إمكانية أن يأخذ التطور منحى مغايرا". إعتبار الرأسمالية والدولة القومية حتميات تاريخية "يترك التاريخ للمتسلطين". لكن الواقع أنه "إذا كانت هناك دوما طريقة محددة لحدوث الأشياء....فإن هناك أيضا إمكانية لإختيار الحرية".

جوانب "المجتمع الطبيعي" الكوموموناليةة، أكد أوجلان، لاتزال قائمة في المجموعات العرقية، والحركات الطبقية، والمجموعات الدينية والفلسفية التي تناضل من أجل الحرية. و"المجتمع الطبيعي لم يكف يوما عن الوجود"، على حد قوله.

إستمر الصراع الجدلي بين الحرية والهيمنة على مر التاريخ الغربي، على شكل "معركة متواصلة بين العناصر المنحازة إلى الهيكليات الكومونالية وبين أولئك الذين يتخذون من القوة والحرب أداواتا لهم"، وذلك لأن "المجتمع الكومونالي كان الدوام في صراع مع المجتمع الهرمي". (27).

في نهاية المطاف، إعتنق أوجلان الآيكولوجية الإجتماعية. "قضية الآيكولوجيا الإجتماعية تبدأ مع ظهور الحضارة"، أعلن أوجلان في عام 2004، وذلك لأن "جذور الحضارة موجودة" حيثما نجد " بدايات تدمير البيئة الطبيعية"، فقد كان المجتمع الطبيعي في جوهره مجتمعا آيكولوجيا. إن القوى التي تدمر المجتمع من الداخل هي ذات القوى التي تتسبب في قطع الصلة ذات المغزى مع الطبيعة. الرأسمالية، يقول مستطردا، معادية للبيئة، ونحن بحاجة إلى ثورة أخلاقية مميزة ضدها...نحن بحاجة إلى بذل "جهد أخلاقي واع، إلى أخلاقيات إجتماعية جديدة تكون في وئام مع القيم التقليدية." وقد إعتبر تحرير المرأة أمرا أساسيا. كما دعا إلى إقامة "مجتمع ديمقراطي آيكولوجي" قاصدا بذلك "منظومة تتأسس على الأخلاق تنطوي على علاقات جدلية مستدامة مع الطبيعة...حيث يتم تحقيق الرفاه العام عن طريق الديمقراطية المباشرة." (28).

كيف يمكن تطبيق هذا كله على المسألة الكردية؟ مرة أخرى يقول أوجلان أن تحقيق حرية الكرد يعني الحرية للجميع. "أي حل يجب أن يشمل خيارات صالحة ليس فقط للشعب الكردي، بل للجميع". وهكذا، فأنا أتصدى لهذه القضايا من منطلق أن البشرية واحدة، وأن النزعة الإنسانية واحدة حيثما وجدت، وأن الطبيعة واحدة والكون واحد، ولكن ليس من خلال بناء الجمهورية الديمقراطية كما كنت أدعو إليه في السابق، وإنما عن طريق ديمقراطية المجالس.

"مهمتنا الأولى هي الضغط بإتجاه الدمقرطة، ومن أجل بناء هياكل خارج هيكلية الدولة، وإقامة منظمات كومونالية" بدل بذل الجهود فقط من أجل تغيير الدستور التركي. وقد دعا الكرد إلى إنشاء منظمات على الصعيد المحلي: مجالس محلية للبلدات، وإدارات بلدية وصولا إلى التجمعات الحضرية الكبيرة والقرى.

ينبغي تشكيل أحزاب سياسية محلية، أكد أوجلان،، وتعاونيات إقتصادية، ومنظمات للمجتمع المدني، وأخرى معنية بحقوق المرأة، وحقوق الطفل، وحقوق الحيوان، كما يجب إيلاء الإهتمام بسائرالقضايا الأخرى.

هناك، برأيه، حاجة لبناء "إتحادات إقليمية للإدارات البلدية" بشكل تنسج فيه هذه المنظمات والمؤسسات المحلية شبكة في المستويات العليا بما يكفل تمثيلها في "المؤتمر الشعبي العام" الذي سيتناول قضايا"السياسة، والدفاع الذاتي، والإقتصاد والعلوم والفنون والرفاه عبر المؤسسات والقوانين وآليات الرقابة".

تدريجيا، ومع إنتشار المؤسسات الديمقراطية، ستخضع تركيا كلها إلى عملية تحول ديمقراطي تتمدد عبر الحدود الوطنية محفزة بزوغ الحضارة الديمقراطية في المنطقة برمتها بما يكفل ليس الحرية للكرد وحسب، بل التجديد الجيوسياسي والثقافي إيضا. في نهاية المطاف، سيشمل إتحاد كونفدرالي ديمقراطي منطقة الشرق الأوسط كلها. وقد أطلق أوجلان على هذه النسخة الكردية من الكومونالية التحررية تسمية "الكونفدرالية الديمقراطية'.

في آذار- مارس- من عام 2005 أصدر أوجلان "إعلان الكونفدرالية الديمقراطية في كردستان" داعيا إلى ما أطلق عليه تسمية "ديمقراطية الجماهير...المتأسسة على الهيكلية الكومونالية الديمقراطية للمجتمع الطبيعي". بموجب ذلك "سيتم إنشاء مجالس للقرى والمدن يتمتع مندوبوها بصلاحية إتخاذ القرارات، وهو ما يعني في الواقع أن القرار سيتخذ من جانب الشعب والمجتمع". كونفدرالية أوجلان الديمقراطية تتميز بخطوته الرائعة ربط تحرر الكرد بتحرر البشرية. إنها تؤكد على الحقوق الفردية وعلى حرية التعبير للجميع، بغض النظر عن الإختلافات الدينية والعرقية والطبقية. كما أنها "تشجع النموذج الآيكولوجي للمجتمع" وتدعم حقوق المرأة محاولا تطبيق هذا البرنامج على شعبه. "أدعوا جميع قطاعات الشعب وخاصة النساء والشباب لبناء منظماتاتهم الديمقراطية الخاصة بهم، وحكم أنفسهم بأنفسهم". أثناء زيارتي ل – آمد – في عام 2011 ، إكتشفت أن الكرد في جنوب شرق الأناضول كانوا قد باشروا بالفعل وضع هذا البرنامج قيد التنفيذ. (30).

بحلول 2004-2005 ، صرف أوجلان النظر عن مسألة إصلاح الدولة عبر دمقرطتها من الأعلى إلى الأسفل. "فكرة دمقرطة الدولة"، أعلن في 2005، هي فكرة "عقيمة". وكان بذلك قد خلص إلى أن الدولة هي جهاز لممارسة القمع بإعتبارها "شكلا لتنظيم الطبقة الحالكمة"، وهي لذلك تعد إحدى "أخطر الظواهر في التاريخ". إنها تسمم المشروع الديمقراطي، وهي بمثابة مرض. وطالما ظلت الدولة موجودة ف"لن يكون في وسعنا بناء نظام ديقراطي"، ولهذا فالأولى بالكرد وحلفاءهم "أن لا يركزوا جهودهم على الدولة"، أوعلى أن يصبحوا دولة، لأن ذلك سيعني خسارة الديمقراطية، والتحول إلى لعبة في "أيدي النظام الرأسمالي". (31).

هذا يتواءم بوضوح، لا لبس فيه، مع مشروع بوكتشين الثوري. لقد إفترض بوكتشين، أنه وبمجرد إنشاء مجالس المواطنين ودمجها في كونفدرالية، ستصبح إزدواجية السلطة أمرا واقعا، وبما يكفي من القوة لكي تواجه الدولة القومية وتنحرها وتحل محلها. وقد أكد مرارا على إزدواجية السلطة، مقتفيا أثر تروتسكي الذي كتب في تاريخه عن الثورة الروسية بأنه، بعد شباط – فبراير- من عام 1917، عندما كانت الدولة تدار من جانب مجموعة من الحكومات الليبرالية المؤقتة، شكل ممثلوا العمال والجنود في سوفيتات بيتروغراد سلطة مزدوجة جابهت هذه الحكومات، وأصبحت لاحقا القوة المحركة لثورة أوكتوبر. وعلى هذا فإن الكونفدرالية الكومونالية يمكن أن تتحول إلى قوة مضادة وإلى سلطة مزدوجة في الحالة الثورية المشخصة.

لكن أوجلان، وفي العام ذاته، أرسل في كتابه "في الدفاع عن الشعب" رسالة متناقضة عن الدولة: "ليس أمرا صحيحا، في رأيي، تفكيك الدولة وإستبدالها بشيئ آخر"، إذ أن "تحقيق الديمقراطية عن طريق تحطيم الدولة هو مجرد وهم". بدلا من ذلك، يمكن للدولة ويجب عليها أن تصبح أصغر حجما وأكثر محدودية. بعض وظائف الدولة لايمكن الإستغناء عنها مثل مسائل الأمن العام، والأمن الإجتماعي، والدفاع الوطني.على المؤتمرات الديمقراطية الكونفدرالية أن تتفرغ لحل المشاكل التي لاتستطيع الدولة "حلها بمفردها". يمكن للدولة المحدودة أن تتعايش "جنبا إلى جنب" مع الديمقراطية. (32). ويبدو أن هذا التناقض شوش أوجلان ذاته. فهو يعترف، بسخط ظاهر، أن "الدولة هي ظاهرة تشبه ظاهرة وجه جانوس**".

يراودني الشعور بأن القضية لاتزال غامضة له، وهذا أمر يمكن تفهمه. لكنه يلاحظ بتبصر أن "وقتنا الحاضر هو عصر الإنتقال من الدولة إلى الديمقراطية. وفي مثل هذه الفترات الإنتقالية، يعيش القديم، في كثير من الأحيان، مع الجديد الوافد". (33)

في أيار-مايو- من عام 2004 ، أرسل بوكتشين الرسالة التالية إلى أوجلان: "آمل أن يتمكن الشعب الكردي، ذات يوم، من إقامة مجتمع حر وعقلاني من شأنه أن يعيد لهذا الشعب تألقه وإزدهاره. الكرد بالفعل محظوظون لأنهم يمتلكون زعيما بموهبة السيد أوجلان." (34). لاحقا، علمنا أن هذه الرسالة ألقيت ككلمة أمام المؤتمر الثاني لمؤتمر الشعب الكردستاني الذي إنعقد في الجبال في 2004.

عندما توفي بوكتشين في تموز- يوليو- عام 2006، قدمت اللجنة القيادية في حزب العمال الكردستاني التحية إلى "أحد أعظم علماء الإجتماع في القرن العشرين"، مضيفة أنه "قدم لنا أفكار الآيكولوجيا الإجتماعية"، و"ساعد في تطوير النظرية الإشتراكية على أسس أكثر صلابة"، مبينا في الوقت ذاته كيفية تحويل النظام الديمقراطي الجديد إلى واقع معاش. "وقد إقترح نظام الكونفدرالية الذي نعتقد أنه خلاق وقابل للتطبيق.". وإستطردت اللجنة القيادية القول بأن "إطروحات بوكتشين عن الدولة والسلطة والهرمية الإجتماعية ستتحقق بفعل نضالنا...وسنحول هذا الوعد إلى واقع كأول مجتمع يؤسس لكونفدرالية ديمقراطية ملموسة."

ماكان لتحية أخرى أن تجعله أكثر سعادة. كم أتمنى لو أنها سمعها بأذنيه، فلربما كان سيرد عليها بأول كلمة عن الحرية سجلت في سومر: "Amargi".

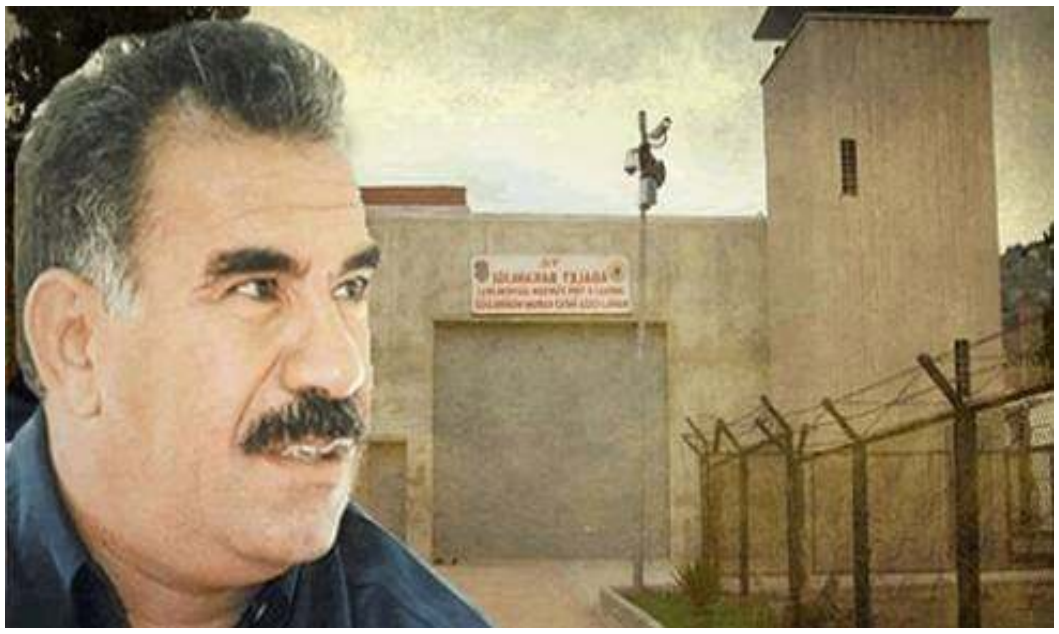

* نص كلمة ألقتها الكاتبة أمام كونفرانس "تحدي الحداثة الرأسمالية: المفاهيم البديلة والقضية الكردية" الذي عقد في مدينة هامبورغ بألمانيا عام 2012. الترجمة مأخوذة من نصها الأصلي المنشور باللغة الإنكليزية في موقع – نيو كومباس- الإلكتروني. ويمكن قراءة النص الأصلي على الرابط التالي:

http://new-compass.net/articles/bookchin-%C3%B6calan-and-dialectics-democracy

** كاتبة وناشرة ومصممة غرافيك أمريكية معروفة. عملت بيل طويلا مع موراي بوكتشين وروجت لأفكاره في أوساط الحركة الخضراء في الولايات المتحدة. أصدرت سلسلة من الكتب في هذا المجال، بعضها بالتشارك مع بوكتيشين. ورغم أن جانيت بيل لم تعد تعتبر نفسها مناصرة ل"حركة الآيكولوجيا الإجتماعية" فإن كتاباتها لاتزال تلهم مناصري هذا التيار. من أهم مؤلفاتها: إعادة النظر في السياسات الآيكوفيمينية (1991)، سياسات الآيكولوجيا المجتمعية: الكومونالية التحررية (1997)

* يعرف قاموس أكسفورد كلمة (zigguart) كما يلي: "برج مستطيل متطاول في السماء، يعلوه أحيانا معبد في ميزوبوتاميا القديمة. وقد تم إثبات وجوده أول مرة في الألفية الثالثة قبل الميلاد، وربما تكون زيگوارت قد ألهمت قصة برج بابل الواردة في الكتاب المقدس" –المترجم.

..... يتبـــع .....

هذه القصص... هذا القص..!

قراءة في مجموعة "على ضفاف الخابور" للقاص ماهين شيخاني

إبراهيم اليوسف

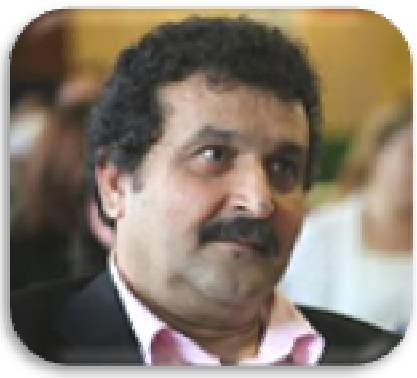

مصعوقاً أمام الواقع المدجج بالتناقضات، الذي يفرز عناصر غارقة في الكاريكاتيرية إلى حد الفجيعة، يباغتنا الصديق ماهين شيخاني وهو يجرّ خلفه إرثاً هائلاً من المعاناة، والمتاعب، والأحزان، واللهاث، ينقر بأصابع واثقة بللور هدأتنا، ويستوقفنا عبر الدهليز المديد، المعتم، الذي يستأثر بروزناماتنا اليومية، كي نصيخ إليه السمع، وهو يتشظى عبر إهاب قصصي، كي نرى، أننا حقاً أمام صوتٍ ينماز بخصوصية فجيعته، وألمه، وارتطامات دويه، في هذا الوقت الذي يتلقف فيه مجايلوه - من أبناء جلدته بل و سواهم - ضروب فنتازيا الكتابة، والغرائبية، ولعل مردّ مثل هذا التخيّ، هو أن هذا القاص - يدير الظهر لإغراءات ما بعد الحداثة - لينصرف إلى بيئته، كي يرصدها، بعد أن يراهن على إنها تعجّ بكل ما هو غرائبي...

ولعلّ معرفة ذلك التواشج المدهش بين الباث ونصوصه، حتى وإن بدا هذا خارج حدود (النص) في لغة النقد الجديد - تدعونا لإدراك بدهية كون الكتابة لدى ماهين شيخاني خياراً لابد منه، فالكتابة أحد الأشكال الفنية التي التفت أمراسها حول عنقه، على شكل أنشوطة أبدية، وشدته صوب أتون محرقها، مكرهاً، ودعته أن يرى في الدنو من ألسنتها، ومواجهتها، شكلاً من أشكال الخلاص على اعتبار إن الكتابة - قبل كل شيء - هي تحويل الدم إلى حبر، كما يرى رولان بارت، بل وأن - كل طفل يولد، تقريباً، يرى أن العالم بشكل ما يحتاج إلى تفسير - كما تؤكد ذلك اليزابيت بووين - وكيف لا بالنسبة إلى حالة ماهين الذي يدفع في كل يوم ضريبة غالية وهو يطأ بخطاه عتبة الألفية الثالثة، لأنه يواجه ككردي، مهمش، فنان، حالة اغتراب هائلة، نتيجة استلاب هويته ولعلنا نستطيع فك بعض الشيفرات التي تتضمنها المجموعة بشكل عام كي نرى:

اللغة في مهبّ الضياع ... الجسد تحت سطوة المدية ...
الحلم في دائرة الحجر ... الفرح المنفي...

حيث وباختصار، كل ما هو جميل في عالمه مهدّد بالزوال والإقصاء على نحوٍ صارخ، الأمر الذي لا يترك أمامه أي مجال للتأني والتزويق ولمّ الأنفاس، وهذا ما يدعوه لتناول ما حوله، باستفزازية عالية، مشوبة بالعناصر الأولى للخطاب، ضمن الحدود التي تسمح بإخضاع محض الصرخة لأولويات النظام الفني، انطلاقاً من إن القصة التي يقدمها لنا هي ابنة قضية (من أعظم و أدق قضايا العالم قاطبة) حيث الحدود تمحي بين الراوي والبطل (بل إن كليهما واحد). وإننا لو ذهبنا أبعد من ذلك، فإننا لنجد في نهاية المطاف صورة فوتوغرافية عما يعيشه إنسانه على نحو عام، وهذا ما يدفعه لتناول ذلك كله بعين فنان حاذق - وهو طبعاً فنان تشكيلي أيضاً - الأمر الذي يفتح أمامه مجالاً أوسع للرؤية وهذا تحديداً، ما يجعل من قصته قصة - مواجهة - لا قصة ترف ماتعة، فحسب، إنها قصة ترتدي ثوبها الشوكي وتمدّ لسانها اللهبيّ لهذا الواقع، المزري والمدهش، دونما ورع، أو انصراف للتفكير بالغوايات التي تأسر الكثيرين من مجايليه، ممن يكتبون قصصاً مراوغة، تتوسل محض فنيتها - وتحت الطلب - في محاولة لارضاء أطراف لن تتساوى في معادلة الواقع.

أجل، إن قصة ماهين لا تخجل من طرح هويتها الواضحة غير الموارية البتة، نتيجة ما سبق - كمواجهة - لتلك الحالة الاستلابية، ولذلك فهي مشغولة بعالمها الداخلي الذي يرصده الكاتب دون تورع حتى عن اللجوء إلى التفاصيل التي قد تخدم رؤاه دون أن تتيح له المجال للاصطفاء، والإقصاء، التقنيين، إنها تماماً حالة من يفكّر بأن يؤكد لمن حوله، أن المكان الذي يقف عليه إنما تشهد ذاكرته - وبلا ريب - بأنها تفوح برائحته هو وعلى نحو آخر يمكن القول: إنها باختصار حالة من يرى لا ينبغي أن يسترسل كثيراً وراء هندسة بناء قصر شامخ بسبب بسيط هو أن المكان الذي سيشيد عليه عمارته تلك، أحوج في زمن اختلال المقاييس إلى تقديم سندات تمليكها من قبل من لا يحتكم البتة إلى لغة العقل و الحوار و الاعتراف بالآخر - أصلاً - لا برأيه...!! وهذا بالتأكيد نتاج حالة اللاطمأنينة واللاستقرار التي تترك آثار سياط عجالتها على امتداد الشريط اللغوي للقصص على الدوام.

وبهذا فإن الكتابة عند ماهين ذات وظيفة، والثَّيمة في قصصه لتطغى على سائر عناصر القص الأخرى، وهو عندما يبصر على امتداد ساحة الرؤية كلّ هذا الرماد والحرائق والعويل والانكسارات لا يمانع بالمجازفة بالكثير من أجل أن يقول كلمته، كلمته النظيفة في زمن القذارات والقمع والإلغاء وكتم الأنفاس حتى وان كان مثل هذا ما يدفع بنصّه لمتاخمة بيارات الحكائية، وضمن الحيّز الذي يشي بتألق الحساسية إلى جانب مهارات عديدة، مائزة تسجّل للقاص أيضاً، ولست في معرض رصد كل ذلك.. وإذا كنت عبر هذه التقدمة لا أميل إلى أعمال الجهاز النقدي - درءاً لعدم مصادرة رأي المتلقي إلاّ إنني - وكقارىء - فحسب، أجد أن قصة - التنهيدة الأخيرة مع الفجر - وحدها، والتي تتضمنها هذه المجموعة القصصية فحسب، لتستأهل أن تدعونا كي نقف ملياً عند تجربة القاص، ذلك لأن هذه القصة تحديداً، ومن خلال رموزها وشخصياتها ودلالاتها، بل واللغة المؤلمة التي شغلتها على نحو ناجح، تماماً، تليق و تضطلع بحالة التوتر والقلق التي يعيشها صاحب العربة، أوغودوت الكردي كما أزعم، والتي تهزّ المتلقي من أعماقه، وتجعله يشعر دون أي شك انه أمام شخص من لحم ودم وأحاسيس وأحلام وانكسارات.

أجل إنني أجزم لو أن القاص لم يكتب خلال حياته غير هذه القصة فقط لكان من حقه أن نعده - ومن خلالها فقط - كواحد من قصاصينا المبدعين، حتى وان انطلقنا في نظرتنا إلى مثل هذه القصة من خلال رؤية ناقدة مثل يمنى العيد ترى في القصة القصيرة (قولاً لغوياً يبني عالمه بتقنيات خاصة يبدعها) وهو غير بعيد البتة عن رؤية امبرتوايكو نفسه الذي يرى: (النص أن هو إلا نتاج حيلة نحوية - تركيبية - تداولية - والتي يشكل تأولها المحتمل جزءاًمن مشروعها التكويني الخاص) إنه رأي على أي حال...

نبذة تأريخية عن الكورد والآشوريين والعلاقة بينهم

كوردستان مهد السلالات البشرية الأولى

(الحلقة 21)

السوباريون وهجرة أقوامٍ سامية الى بلاد السوباريين

(سوبارتو Subartu) - الجزء الثاني

د. مهدي كاكەيي

أصل الآشوريين

منذ بدء المدّ القومي العروبي، أخذ الكثير من "المؤرخين" العروبيين العنصريين يُزيّفون تاريخ منطقة غرب آسيا ويسرقون تاريخ شعوب المنطقة ويجعلونها تاريخاً للعرب بشكل خاص وللساميين بشكلٍ عام. كما يجب أن نذكر بأن العروبيين العنصريين الذين سيطروا على الحُكم في كثير من دول المنطقة التي يطلق عليها العروبيون إسم "الدول العربية"، قاموا بتسييس التاريخ وأجبروا الكثير من المؤرخين في هذه البلدان أن يتخلّوا عن مهنيتهم ومصداقيتهم وأن يقوموا بتزييف تاريخ المنطقة وإلغاء وسرقة تاريخ شعوبها وتنسيبه للعرب والساميين. إطلاق إسم "الدول العربية" على معظم دول المنطقة، هو جزء من عملية التزوير للتاريخ وإخفاء الحقائق، حيث أنه بإستثناء الحجاز واليمن، فأنّ شعوب الدول الأخرى المُسمّاة ب"الدول العربية" هي شعوب غير عربية والغالبية العظمى من المواطنين في هذه الدول، الذين أصبحت لغتهم عربية، هم مستعربون ينتمون الى الشعوب الأصيلة للمنطقة، مثل الكورد والأمازيغ والأقباط واليهود والبلوش والنوبيين وغيرهم. تزوير أصل الآشوريين هو أيضاً ضمن هذه الحملة التزويرية الكبرى التي يقوم بها العنصريون العرب والأتراك والفرس لِطمس أصول شعوب المنطقة. خدمةً للحقيقة وإنصافاً لِشعوب المنطقة، نقوم بِتصحيح تاريخ شعوب المنطقة، ومنها تاريخ الآشوريين، وكتابته بمهنية وأمانةٍ علمية بالإستناد على مصادرٍ رصينة.

يقول الأستاذ حازم هاجاني بأن مملكة سوبارتو كانت محصورة بين جبال زاگروس من جهة الشرق ونهر الخابور من جهة الغرب ولذلك كانت سوبارتو تشمل المنطقة الاشورية وأن الاشوريين إستقروا في هذه المنطقة في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد عندما قصدت قبائل سامية من الجنوب الغربي الى شمال ميزوپوتاميا وتوغلت في منطقة ما بين النهرين وإستقرت هذه المجموعة في جنوب كوردستان الحالي، في البقعة الممتدة على طول ضفة نهر دجلة اليمنى بين الموصل وشرقاط وكانت هذه المنطقة تُعرف بإسم سوبارتو[25]. هكذا فأن تأريخ أسلاف الكورد السوباريين يمتد إلى عصور سحيقة في القِدم.

البروفيسور (مهرداد إزادي Mehrdad Izady) أستاذ التأريخ القديم في جامعة هارڤارد الأمريكية، يؤكد على كون الكورد هم أحفاد السوباريين، حيث يذكر بأن أقدم عشيرة كوردية باديناتية هي عشيرة الزيبار وأن هذه العشيرة تتحدر من السوباريين[f]. في هذه المنطقة الواقعة في شمال مدينة أربيل، تمّ العثور على أنقاض مدرسة لتعليم الأطفال التي يعود تأريخها الى العصر السوباري، وعلى قرميدات عليها دروس للأطفال والشباب في علوم الحساب وجداول الضرب والمعاجم. كما تم إكتشاف كُتب عديدة و رسائل كانت عبارة عن صكوك وقيود ومسائل رياضية وفلكية و نصوص تأريخية في هذه المنطقة.

يقول هاري ساغز بأنّ الآشوريين كانوا شعباً هَجِيناً، وهم يعرفون ذلك، وكان النقاء العِرقي ليس ذا قيمة بالنسبة إليهم، ومنذ أقدم الأزمنة كان لديهم تاريخ عنصري خليط. يستطرد هاري ساغز في حديثه قائلاً بأنّ هذه الحقيقة مذكورة في العديد من النقوش الملكية وأن شعوباً من خارج مملكة آشور كانوا يتوافدون إليها، وينضمّون إلى السكان الأصليين في البلاد، ويمتزجون بهم[26].

من جهة أخرى، يذكر الدكتور توفيق سليمان بأنّ الآشوريين لا ينتمون إلى سلالة بشرية واحدة، مستنداً في ذلك على الرسوم والنقوش التي خلّفها الآشوريون لِمواطنيهم، التي تؤكّد على أنّ هؤلاء الأشخاص كانوا يشكّلون خليطاً من البُؤَر البشرية المحلّية في بلاد ما بين النهرين، ومن البُؤَر البشرية التي تعود بأصولها إلى الأرض الأرمينية[27]. بالنسبة الى قول الدكتور توفيق سليمان بأن "قسماً من الآشوريين ينحدرون من البُؤَر البشرية التي تعود بأصولها إلى الأرض الأرمينية"، فأنّ قولَه هذا يفتقد الى المصداقية، حيث لم تكن خلال العهد الآشوري دولة إسمها (أرمينيا). ظهرَ إسم أرمينيا سنة (550 – 521 قبل الميلاد)، بينما ظهرَ الآشوريون قبل هذا التاريخ بأكثر من ألف سنة[28]. في وقت ظهور الآشوريين، الأرض التي يظنّ الدكتور توفيق سليمان بـأنها كانت "أرضاً أرمينية" كانت في الحقيقة الأرض الخورية والتي ورثها بعد الخوريين، أحفادهم الأورارتيون (الخَلديون) ، حيث أنه لا تزال هناك قبيلة كوردية تحمل هذا الإسم.

الأستاذ مروان المدوَّر يؤكد على كلامنا هذا، حيث يقول بأنّ (هيرودوت) يذكر أن الأرمن شعب هندو أوروپي، غادروا البلقان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد إلى آسيا الصغرى عبر البوسفور والدَّردنيل، ثم توغّلوا شرقاً على مراحل، حتى وصلوا إلى أرارات في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، ووصلوا إلى أرمينيا بُعيد زوال دولة أورارتو (خَلْدي)[29]. يضيف الأستاذ مروان المدوَّر بأنّ أرمينيا لم تكن تُعرَف بهذا الاسم، إذ لم يتشكّل إسم أرمينيا كما نعرفه اليوم إلا إعتباراً من أعوام (550 –521 قبل الميلاد)[28].

يخبرنا المؤرخ الشهير "ول ديورانت WILL DURANT" عن أصل الآشوريين بما يلي: {وكان الأهلون خليطاً من الساميين الذين وفدوا إليها من بلاد الجنوب المتحضرة (أمثال بابل وأكد) ومن قبائل غير سامية جاءت من الغرب، ولعلهم من الحثيين، أو من قبائل تَمُتّ بِصلةٍ إلى قبائل ميتاني، ومن الكورد سكان الجبال الآتين من القفقاس}[30]. في الحقيقة، أسلاف الكورد الخوريون كانوا يقطنون الى الغرب من الآشوريين وليس الحثيون. قول (ول ديورانت) بأنّ الكورد آتون من القفقاس غير صحيح، حيث أن أسلاف الكورد السومريون والسوباريون والخوريون – الميتانيون والميديون وغيرهم، عاشوا في وديان جبال زاگروس وتوروس منذ ما قبل التاريخ. ما يذكره (ول ديورانت) يعني أن الشعب الآشوري لم يتألف من عنصر إثني واحد، بل كان شعباً هجيناً. هكذا تم تأسيس مملكة آشور في موطن أسلاف الكورد وأن الساميين القادمين من بابل و أكد كانوا مهاجرين في بلاد أسلاف الكورد، لذلك لابد أن السكان الأصليين (السوباريين والخوريين - الميتانيين) كانوا حينذاك يشكّلون أغلبية سكان مملكة آشور.

كما يذكر المؤرخ طه باقر بأن الآشوريين نزحوا الى موطنهم من جنوب بلاد ما بين النهرين الى الشمال[31]. المؤرخ قسطنطين ماتفييف يقول بأن الخارجين من أرض بابل يممّوا صوب شمال ما بين النهرين وأسسوا لهم هناك موطناً وكانت آشور أكبر مدنهم[32].

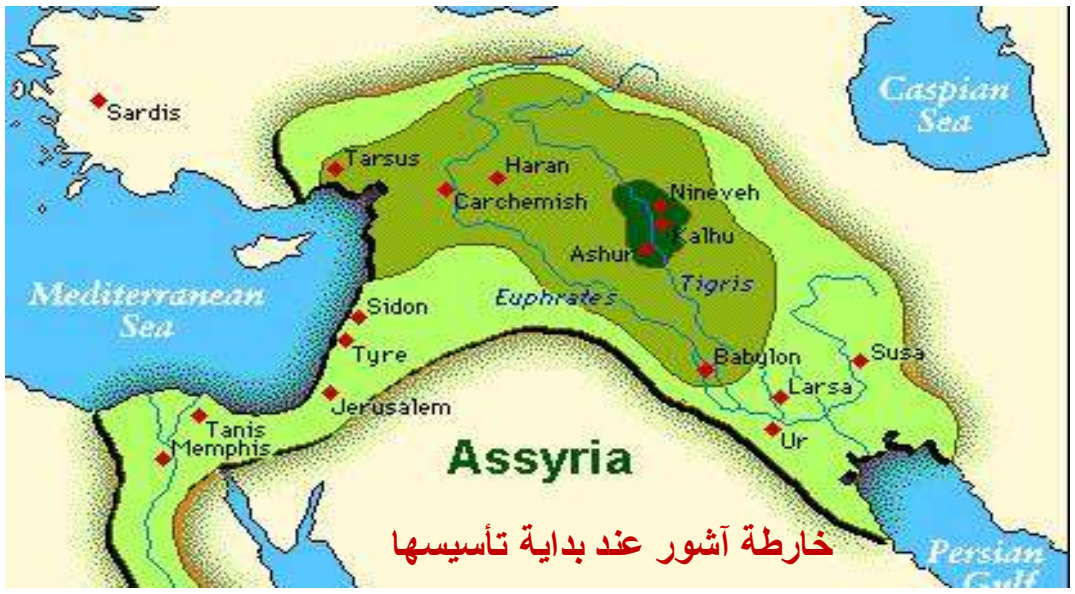

خارطة آشور عند بداية تأسيسها

يقول أيضاً كل من الدكتور طه باقر والدكتور عامر سليمان بأن الآشوريين إستقروا في شمال وادي الرافدين وعند هجرة الأكاديين الى منطقة جنوب كوردستان الحالي، كان السومريون والسوباريون يعيشون هناك وكانت المنطقة تُسمى ب(سوبارتو)[33، 34]. جاء ذكرالسوباريين في النصوص المسمارية منذ عصر فجر السلالات وكان ملوك اكاد وبابل يطلقون إسم "السوباريين" على الآشوريين[33، 34].

يذكر المؤرخ يوسف رزق الله غنيمة أن التنقيبات الآثارية التي قام بها الألمان بين سنة 1903 و1914 تؤكد على أن سكان آشور القدماء لم يكونوا ساميين[35]. كما يذكر المؤرخ عامر حنا فتوحي أن الآشوريين الأوائل هم شعب آسيوي من الأرومة الهندو- أوروبية وإسمهم القديم الذي كانوا يتفاخرون به هو (شوبارو أو سوبارو)[36]. هذا يؤكد بأن الغالبية العظمى من سكان آشور كانوا ينحدرون من أسلاف الكورد السومريين والسوباريين والخوريين - الميتانيين وأن الساميين الذين هاجروا الى بلاد السوباريين (سوبارتو) قد ذابوا في السكان الأصليين.

في نصوص الفأل، إقتصرت تسمية الآشوريين لبلادهم وأنفسهم على أنهم (سوبارتو)، حيث أنه جاء في التقرير الذي قدّمه أحد المنجمين الآشوريين إلى الملك الأشوري ما يلي: (إذا شوهد القمر في يوم الثلاثين من شهر نيسان فإن بلاد سوبارتو سوف تتغلب على الأخلامو (هي إحدى القبائل الآرامية الكبرى)، ويضيف ذلك المُنجم قائلاً: (نحن السوباريين)[37].

دليل آخر على كون غالبية الآشوريين من السوباريين، هو أن الملك البابلي (مردوخ –بلادن) كان لا يُسمّي خصمه، الملك الآشوري سرجون الثاني، ب(ملك الآشوريين) بل كان يُسمّيه (ملك السوباريين) وكان يُسمّي الجيش الآشوري بجموع السوبارتو[38].

يقول البروفيسور جمال رشيد أحمد أنّ الآشوريين ينحدرون عِرقياً من أسلاف الكورد الخوريين أو الگُوتيين أو اللولوبيين[39].

كما أنّ الدكتور إبراهيم الفتّي يذكر بأنّه من القراءة الأولى نعتقد أن الخوريين هم الذين أعطوا الآشوريين تلك الملامح التي كانت تميّزهم عن الساميين في الجنوب[40].

مما تقدم، نستنتج أن الأقوام الزاگروسية (أسلاف الكورد) كانت تُشكّل غالبية الآشوريين في شمال ميزوپوتاميا وأنّ المهاجرين الساميين الذي قدِموا الى شمال ميزوپوتاميا كانوا يُشكّلون الأقلية هناك وتدريجياً ذابوا في الأقوام الزاگروسية (السومريين، السوباريين والخوريين والميتانيين). بعد إختفاء

الإمبراطورية الآشورية الحديثة

المملكة الآشورية، مع مرور الزمن، ذابت بقايا العناصر السامية في الأقوام الزاگروسية.

اللغة والثقافة الآشورية

الى ما قبل الألف الخامس قبل الميلاد، كانت المياه تُغطّي جنوب ميزوپوتاميا، ولذلك كانت المنطقة غير مسكونة، بينما شمال ميزوپوتاميا (إقليم جنوب كوردستان الحالي) كان مأهولاً بالسكان بسبب إرتفاعه عن سطح البحر، حيث كان أسلاف الكورد الزاگروسيون يعيشون في هذه المنطقة على شكل جماعات، يسكنون الكهوف ويعتمدون في معيشتهم على الصيد وجمع الغذاء. مع تطور أدوات العمل، بدأوا بممارسة الزراعة وتأهيل الحيوان وتربية المواشي، الى جانب الصيد وقاموا ببناء القرى وإرتقت الثقافة فيه[41]. هذا يُشير الى أنّ الحضارة نشأت في كوردستان وفيما بعد، نقل السومريون حضارتهم معهم الى جنوب ميزوپوتاميا عند هجرتهم من كوردستان الى هناك بعد زوال المياه على سطحه وبروز اليابسة فيه.

فيما مضى، تم الحديث عن أنّه في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، هاجرت أقوام آرامية من جنوب بلاد ما بين النهرَين الى بلاد سوبارتو (جنوب كوردستان الحالي). بعد مرور حوالي 1000 سنة على تأسيس الدولة الآشورية من قِبل (شمشي أدد الأول Shamshi- Adad 1) (1813 – 1781 قبل الميلاد)، أي في نهاية القرن العاشر قبل الميلاد، كانت الأراضي التابعة للدولة الآشورية عبارة عن شريط ضيّق لا يتجاوز طوله 1600 كيلومتر، ولا يزيد عرضه عن 800 كيلومتر والى ذلك الوقت كانت القبائل الآرامية لا تزال تعيش في الخيام التي نصبتها في الممرّات الضيّقة في آشور[9].

هكذا مرّ الآشوريون بمرحلة مضطربة تقارب ألف سنة قبل تأسيسهم لدولتهم المستقلة. في البداية قاموا بإنشاء دويلات – مدن، يحكمها أمراء محليون[42]. كانت بلاد آشور حتى حوالي سنة 1100 قبل الميلاد، مؤلفة من عدة دويلات ضعيفة يتحكم بها أسلاف الكورد الزاگروسيين، حيث حكم أسلاف الكورد الزاگروسيون بلاد آشور لفترة طويلة من الزمن. الملك الآشوري (إشمي) الذي إستلم الحكم بعد الملك (شمشي أدد) الذي حكم من عام 1814 الى عام 1782 قبل الميلاد، إستطاع الإستمرار في حكم بلاد آشور، إلا أنه لم يستطع بسط نفوذه على شمال ميزوپوتاميا، حيث ظهرت في هذه المنطقة عدة سُلالات حاكمة من الخوريين، مثل أتل شني[43].

في الفترة الأخيرة للحُكم الآشوري تسلّم الساميون السلطة الذين كانوا يحملون ثقافة صحراوية قاسية، مبنية على الغزو والعنف ولذلك فرضوا طبيعة حربية في مملكة آشور والتي إنعكست على عقائد الآشوريين وعباداتهم الدينية وبدأت خلالها مرحلة الغزوات والحروب والتوسّع. كانت الصفة الحربية تغلب على آلهتهم، والتي تجسدت في كبير آلهتهم، الإله (آشور)، الذي كان إله الحرب، حيث يتجسد في صورة مُحاربٍ قاسي الملامح، يحمل عدّة حربية.

وفي المرتبة الثانية تأتي زوجة (آشور) الإلهة (عشتار) في المنزلة الثانية، حيث أنّ صورتها ذات سمةٍ حربية، حاملةً السيف والقوس وواضعةً على كتفِها سهام مُعدّة للقتال.

على سبيل المثال، خلال حُكم الملك الآشوري (آشور باليت الأول Assur ballet I) (1363 – 1328 قبل الميلاد) الذي كان ينتمي الى السلالة الأمورية، حصل تغيّر راديكالي في نظام الحُكم الآشوري، حيث تحوّلت آشور من دولة - مدينة تجارية مسالمة إلى عاصمة مملكة تمّ تأسيسها بإسم

(مملكة آشور)، حيث تمّت عملية صهر سكّان أسلاف الكورد الأُصلاء، السومريين والسوباريين والگُوتيين والخوريين مع الأموريين. في هذا العهد بدأ إستخدام اللغة والكتابة الأكادية/البابلية، ومع ذلك فأنّ الأموريين تأثروا بحضارة السوباريين من لُغة ودين وعبادة الآلهة وإقتبسوا منهم الطقوس الدينية وأسماء بعض المواقع[44]. كما أنّ الثقافة الآشورية المبكرة ورثت الثقافة السوبارية وخلّفتها. إسم الإلهة (عشتار "إيشتار") مُقتبسٌ من إسم الإلهة السومرية – الگوتية (إينان). يذكر المؤرخ الروسي (صلوات گولياموف) أنه من الممكن جداً أن يرجع إسم الإلهة (إيشتار) الى الكلمة الهندو – الآرية (إيش – تار)، حيث أن كلمة (إيش) تعني (إله) وكلمة (تار) تعني (نجمة) وبذلك (إيشتار) تعني (إلهة النجوم)[45]. (إلهة النجوم) هي "كوكب الزهرة" وعند الرومان هي إلهة الحب والجمال "ڤينوس". لا تزال كلمة (إيشتار) حيّة في اللغة الكوردية، حيث أنها تحوّرت الى (أستير) والتي تعني نجمة.

كما أنة بحلول منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، أصبحت مملكة آشور تابعة للميتانيين و جزءاً من الإمبراطورية الميتانية لحوالي 140 عاماً (1500 – 1360 قبل الميلاد)، حيث قام الملك الميتاني (ساوشتّار Saushshattar) إبن (پارساشتّار Parsashatar) بإخضاع الآشوريين لِحُكمه[46]. خلال فترة خضوع آشور لِلحُكم الميتاني، سمح الميتانيون أن تحتفظ آشور بنظامها الملكي خلال فترة تبعيتها للإمبراطورية الميتانية[47]، إلا أنّ الملوك الآشوريين كانوا ملوكاً بالإسم فقط، حيث أنهم كانوا أتباعاً للملوك الميتانيين. خلال فترة الحُكم الميتاني لِآشور، كان الملوك الآشوريون، آشور رابي وآشور نيراري الثالث وآشور بيلنيشيشو وآشور ريمنيشوشو، يحكمون آشور[48].

في المنطقة الصغيرة نسبياً التي عاش فيها السومريون والسوباريون والخوريون الزاگروسيون والمهاجرون الأموريون والكلدانيون مع البعض لفترة طويلة جداً، إمتدت لأكثر من أربعة آلاف سنة وخلالها إنصهر الأموريون الساميون في أسلاف الكورد الزاگروسيين الذين هم السكان الأصليون لِكوردستان، نتيجة الإختلاط والتزاوج، حيث على سبيل المثال، يذكر عالِم الآشوريات البريطاني البروفيسور (هاري ساگزHarry Saggs) أنّ أحد أحفاد (شمشي أداد) تزوّج سيّدةً أو أميرةً من إحدى القبائل القوية والتي اسمها يدلّ على أنها كانت فتاةً خوريةً[49]. كما أنّ الملك الآشوري (آشور أوبلاط الأول) أقدم على الزواج من إبنة الملك الكاشي الذي كان يفرض نفوذه على بابل[50].

هذا الإنصهار الإثني للمجموعات العِرقية، خلقت لغةً وثقافةً موحّدة ودينياً مشتركاً، كما مرّ في الحلقات السابقة من هذه السلسلة من المقالات، حيث أنّ الآشوريين تبنّوا الإله(آسور) كإلهٍ خاصٍ لهم و إستمدوا إسمهم وإسم دولتهم (آشور) من إسم هذا الإله السوباري.

يذكر البروفيسور جمال رشيد أحمد أن اللغة التي دوّنت بها لوحات الملوك الأشورية، مكتوبة باللغة الميتانية التي هي لغة كوردية قديمة. يستطرد البروفيسور جمال رشيد أحمد في حديثه قائلاً أنّ أغلب مفردات اللغة الميتانية التي كُتبت بها لوحات ملوك الآشوريين تُستعمل الآن في اللغة الكوردية الحالية وعلى نطاق واسع[51]. كما أنه من الجدير بالذكر أن الكورد هم أصحاب التراث اللغوي والتأريخي لسكان هذه المنطقة. كتابة لوحات ملوك الآشوريين باللغة الميتانية تُثبت حقيقتَين أساسيتَين، هما أن اللغة الميتانية كانت لغة الملوك الآشوريين و أن أسلاف الكورد كانوا يهيمنون على الحُكم الآشوري، وخاصة في الفترات المبكرة للدولة الآشورية، قبل هيمنة الأموريين على الحُكم التي حصلت في الفترات المتأخرة من عُمر الدولة الآشورية.

هكذا إستوعبت اللغة الآشورية كلماتها من لغات الأقوام الزاگروسية، وخاصة السوبارية والسومرية والكاشية والخورية بالإضافة الى اللغة الأكادية، حيث أنّ اللغة الآشورية هي خليط من اللغات الزاگروسية والسامية، تحوي الكثير من مفردات اللغات الكاشية والسومرية والخورية والأكادية.

كانت **الكتابة المسمارية هي** كتابة الآشوريين التي كانت تُكتب علي ألواح الطين، وكانت علومهم مرتبطة بالزراعة ونظام العد الحسابي السومري الذي عُرف بنظام الستينات. كانوا يعرفون كذلك أن الدائرة 60 درجة، كما أنهم عرفوا الكسور والمربع والمكعب والجذر التربيعي، وتقدموا في الفلك وتمكنوا من حساب محيط خمسة كواكب، وكان لهم تقويمهم القمري. قاموا بتقسيم السنة الى أشهر والشهر الى أيام، وكان اليوم عندهم يساوي 12 ساعة والساعة تساوي 30 دقيقة.

يذكر الدكتور بهنام ابو الصوف أنّ مَن كان يتكلم ويتعامل باللغة الاشورية، لغة الحاكمين في الإمبراطورية الاشورية و في كل بلاد الرافدين وأطرافها الشمالية والجبال وشمالي سوريا، قد إنقرضوا تماماً في مطلع القرنَين الخامس والرابع قبل الميلاد وما بعدهما حتى مجئ المسيحية الى هذه البلاد بعد إنتشارها في بلاد الشام أولاً. يستطرد الدكتور ابو الصوف في حديثه قائلاً بأنّه في القرن الأول الميلادي، كانت اللغتان السائدتان هما الآرامية في بلاد الشام مع اليونانية (لغة المنتصرين في اليونان - بعد الاسكندر المكدوني) و اللغة الپهلوية في شرقي بلاد ما بين النهرَين وبلاد إيران الحالية[h].

المصادر

25. حازم هاجاني (1997). مجلة متين، العدد 67، دهوك، صفحة 103.

26. هاري ساغز. عظمة آشور. ترجمة وتحقيق خالد اسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، 2011، صفحة 170، 173.

27. توفيق سليمان. دراسات في حضارات غرب آسيه القديمة الى عام1190 ق.م: الشرق الادنى القديم – بلاد مابين النهرين/بلاد الشام. دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، 1985، صفحة 161.

28. مروان المُدَوَّر. الأرمن عبر التاريخ، بيروت، 1982، صفحة 82، هامش 2.

29. المصدر السابق، صفحة 102.

30. ول ديورانت. قصة الحضارة. مجلد 1، الجزء 2، ص 496 470.

31. طه باقر. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. الجزء الأول، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، الطبعة 1، بغداد، 1973، ص 472

32. قسطنطين بيتروفيج ماتفيف. الآشوريون والمسألة الآشورية في العصر الحديث. 1989.

33. طه باقر. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. الجزء الأول، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، الطبعة الأولى، بغداد، 1973، صفحة 120، 476.

34. عامر سليمان. العراق في التاريخ القديم. الموصل، دار الحكمة للطباعة والنشر، 1992، صفحة 119.

35. يوسف رزق الله غنيمة. نزهة المشتاق في تأريخ يهود العراق. مطبعة الفرات، 1924.

36. عامر حنا فتوحي. الكلديون .. الكلدان .. منذ بدء الزمان – 5300 ق. م حتى الآن. الطبعة الثانية، 2007، صفحة 99.

37. طه باقر. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. الجزء الأول، بغداد، 1973، صفحة 472 –473.

38. طه باقر. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. الجزء الأول، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، الطبعة الأولى، بغداد، 1973.

39. الدكتور جمال رشيد احمد. ظهور الكورد في التأريخ – دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكوردية ومهدها. الجزء الأول، الطبعة الثانية، 2005، صفحة 31.

40. إبراهيم الفني. التوراة: تاريخيا، أثريا، دينيا، دار اليازور العلمية، 2008، صفحة 101.

41. برهان الدين دلّو. حضارة مصر والعراق. الطبعة الثانية، 2014، صفحة 237.

42. الدكتور فرج بصمه جي. دليل المتحف العراقي. مطبعة الحكومة، 1960، صفحة 31.

43. جرنوت فلهلم. الحوريون تأريخهم وحضارتهم. ترجمة فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب، الطبعة الأولى، عام 2000 م، صفحة 44.

44. طه باقر. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. الجزء الأول، بغداد، 1973، صفحة 77.

45. صلوات گولياموف. آريا القديمة وكوردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب). ترجمة د. اسماعيل حصاف، متابعة وتدقيق مارگريت حصاف، مطبعة رۆژهەلات ،هەولێر، الطبعة الأولى، 2011، صفحة 64.

46. جرنوت فلهلم. الحوريون - تأريخهم وحضارتهم. ترجمة فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب، الطبعة الأولى، عام 2000 م، صفحة 62.

47. المصدر السابق، صفحة 35.

48. الدكتور جمال رشيد احمد. ظهور الكورد في التأريخ. الجزء الثاني دار ئاراس للطباعة والنشر. اربيل 2003، صفحة 251.

49. هاري ساغز. عظمة آشور. ترجمة وتحقيق خالد اسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، 2011.

50. الدكتور عبد الحميد زايد. الشرق الخالد (مقدمة في تاريخ وحضارات الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1967.

51. الدكتور جمال رشيد أحمد. دراسة لغوية حول تأريخ بلاد الكورد، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980، ص 99.

e. Jeremy Black and Anthony Green. Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, London, 2000, page 38.

f. Izady, Mehrdad R. **The Kurds: A concise handbook**. Washington, London, Taylor & Francis Publishers, 1992, pp. 268. **ISBN 978-0-8448-1727-9**.

g. Georges Roux. Ancient Iraq. Penguin books, third edition, 1992, page 282.

h. http://saotaliassar.org/01012013/Bahnam Abu Al Suuf 01.htm

دلالة الحدث في مجموعة "هذيان السمع والبصر"

لـ محمود الوهب

الجزء الثاني

ريبر هبون

لهذا نجد أن الكاتب استخدم ازدياحات في خضم مشهد القصة وحال القطيع، ليشير إلى ما أراد قوله من وراء هذه الحكاية، حيث تتضح لنا الفكرة الواضحة وهي الشعب (القطيع) وبين السلطة (المختار وحاشيته) لهذا نجد في النهاية أن الحل الذي أشار إليه المختار تعسفي قمعي كما هنا ص17:"- زين.. تجهز السيوف والسواطير.. واستدرك:

لا.. لا هذي ما تنفع.. تأخذ، أنت وربعك، سلاح من مخازن الحرس عندي.. انتبه يا جلمود.. قبل أن تبدؤوا.. تفهم جماعتك الحقيقة كلها، تقول لهم بالكلمة والحرف:

إنّ جنيات وادي الأخضر اندست في نفوس الدواب.. غفل عنها حمّاد.. فتغلغلت في أرواحها وفي دمها..! والحين ما عاد منها لا فائدة، ولا نفع.. حليبها حرام.. ولحمها حرام.. وشعرها.. وصوفها.. حتى روثها ما يجوز لا للأرض ولا للنار.. تربيتها كلها صارت حرام في حرام.. صمت المختار حميد البطران للحظة، ثم، وكمن انتبه إلى أمر خطير، صاح:

جلمود قبل ما تقوم بأي عمل، لازم تمر على الشيخ عبّاس، وتحكي له ما جرى للقطيع! ولازم تأخذ منه الفتوى بالذبح الفوري!"

هنا أعطت السلطات القمعية مسوغات لقمع شعوبها المنتفضة،دون النزول لمطالبها، هذا ما أراد الكاتب الإشارة إليه في سياق هذه القصة ، حيث تلفتنا أكثر الدراما الشعبية الحكائية المؤثرة ووضوح اللغة ورمزيتها، حيث أضفى على النص القصصي برمته طابعاً فكاهياً درامياً مؤثراً، وإزاء ذلك نتنبه لنهاية القفلة وهي نتيجة هذا القمع والتعسف، الذي تجلى بالفوضى والتبعثر وزوال أسباب الهيبة والحكم مع الوقت ، على منوال الحدث الذي رافق أبو عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة حين قالت له عائشة أم أبو عبد الله الصغير3:"إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال\"

ولعل الحكمة والنزول لحب الشعب ونزاهة الحكم كلها من مقومات بقاء الدولة ، بيد أن الكاتب محمود الوهب يبوح لنا بالنهاية المفجعة في هذه القصةص17:

"أما الثابت في أرجاء ديرة بيت عاروب أنّ العنزة لم تزل ثابتة على مواقفها وقد أكد، آخر بيان أصدرته باسم القطيع، الأحاديث التي قيلت حول جلمود.. إذ جاء فيه:

إنّ جلموداً فقد صوابه كلياً، وقد شوهد عياناً بين أدغال الحقول الشرقية، وكان قد تجرّد من كلّ ما يستر جسده.. ويؤكد الشاهد بأن جلموداً كان يصرخ بين الفترة والأخرى بأصوات تترجح بين العواء والمواء.. أما الأمر الأهم، فهو ما جاء في البيانات المحايدة التي تخص المختار وصحبه، إذ أكد أحد تلك البيانات أنّ حميد البطران وصحبه قد تعرّضوا فعلاً إلى مؤامرة جنية خبيثة.. مؤامرة نالت من هيئاتهم البشرية، وأفقدتهم القدرة على التلاؤم مع الأحوال الجديدة لآل عاروب كلهم.. فانسحبوا هائمين في النواحي والأمصار..! "

في إشارة إلى أن تفشي الفساد إلى جانب الاستبداد، جعل من الإدارات الشمولية في حالة من الفوضى الذي جعلها في تفتت مستمر إيذاناً بزوالها مع الوقت، حيث أن التفسخ والشللية القائمة في مؤسساتها، سرعان ما تغدو نهباً لأطماع القوى الكبرى وجشعها، هكذا يبين الكاتب من خلال الحديث عن تفاصيل المحن التي عمت المجتمعات، جعلتها أشبه بالقطيع المحتقن، والذي يتفجر على نمط غريب يقود بالنهاية لدمار كل شيء، فالشرخ الكبير بين المسؤولين والجماهير، يؤدي لتشكل هذه النظرة في رؤية المحكومين أنهم عبارة عن قطيع يطيع ويلحق برعاته. أما أن تتلبسهم روح التمرد والشكوى، فهذا ما لا يتوقعه ويتخيله المرؤوسون، إذ لا يمكن مفاوضة قطيع حيواني ، فالشعب بنظرهم ليسوا سوى ذلك القطيع المأمور، واستغرابهم تصرفات ذلك القطيع، هو بمثابة الحدث الأكثر جللاً، والذي قادهم إلى التفكير بإبادة القطيع، فقد خرج عن طبيعته المفترض أن تبقى عليها للأبد، هذا بوجهة نظر المتنفذين السلطويين، فهم يصفون كل انتفاضة بالجنون والخروج عن الجادة، وهكذا يستعر الصراع فيما بين المختار وجماعته من جهة والقطيع من جهة أخرى، ليؤدي ذلك إلى التشتت والتبعثر كنتيجة من نتائج المماطلة والقمع الجائر، فالمنظومة التي تعج بممارسات الاستبداد والشمولية في هيكليتها ومؤسساتها، تنشأ فيما بين أفراد تعاقد على الرهبة والوجل، وانعدام الثقة، ولاسيما ذلك الاستبداد المحاط بأفراد يجمع فيما بينها علاقات القرابة القائمة على حماية النفوذ، ويصبح هدفها الكلي حماية السلطة ضد خطر تمرد المجتمع المحتمل، ولا يلجأ السلطوي إلى محاولات الإصلاح، لاعتقاده أن ذلك اعتراف مبطن بخوفه من الشعب، وأن تنازله لشيء معناه أن سيتنازل في أشياء أهم هي من صميم حاجيات الشعب وخصوصاً نخبه الشابة المستنيرة،

هذا ما أشار إليه الكاتب في سياق النص، فالسلطة تستعين أيضاً بالقداسة الدينية، إذ تبحث أبداً عن مبررات دينية من النصوص المقدسة تبيح لها بطشها وقمعها، كما في النص حينما أراد المختار أن يفتي له أحد الشيوخ بذبح فوري للقطيع وتحريم أكل لحمها وشرب حليبها، حيث يشير الكاتب محمود الوهب إلى تلك العلاقة التوأمية ما بين السلطويين ورجال الدين، هم يحتاجون للنصوص المقدسة أبداً لتبرير سلوكياتهم، فقد عززت تلك النصوص سلطة الطاغية، مكنته على البقاء أكثر، جعلت منه وصياً على الدين والشريعة والحياة والمجتمع بأسره، ولاشك أن ازدياد الجماعات التبشيرية وكثرة التنظيمات الدينية تمثل الحاجة المتسارعة للسلطات لبقاء تجديد صلاحياتها، كونها خير معين لضبط سلوك الشعوب، ودوام مكوثها، حيث نجحت في استخدام العقائد الروحية في شن هجماتها على كل النقاط التي تحتاج تقسيمها وتثبيت أقدامها فيها، مهيمنة على المجتمع عبر نافذة الإعلام المرئي والمسموع، للحد من التفوق الذي لابد وأن يتلبس النخبة الشابة، لتكون الرادع لمخططاتها التخديرية في إيهام الجماهير وإخضاعها بوسائل تتصل بمفهوم القوة الناعمة، لاشك فإن هذه القصة قدمت كل هذه الدلالات بصور مختلفة، ومشاهد متباينة، وفي قصة -أحلام القهوة- نجد هذه الطاقة التعبيرية السوداء في التعبير عن المكان بعدسة الحنين والخيبة، وصف الخراب في أحياء مدينة حلب، وما خلفته هذه الحرب من دمار نفسي ص23:

"موت مباغت، موت يتربص خلف الجدران وأكياس الرمل.. موت كريه، يخلّف نتنه في الهواء وعلى أوراق الشجر.. يرسم لونه الباهت على الحجر، وأسفلت الطريق.. موت بارد، يرعش دم الأوردة.. تقرؤه العيون بصمت وذهول.. تترجمه الأنفس رجاءات وتعاويذ..

"فللنفس في مشهد الموت رؤى تتجه لمحاكاة الماضي واستجداءه، فلا شيء أصعب على المرء من البقاء مرتعد الأوصال والملامح إزاء مشاهد قاتمة، تتنقل في ذهن الكاتب من لون إلى لون ضمن متاهة داكنة، يتضمن المكان الخرب، حوارات لا تكاد تنتهي، تخفي في زحمتها رسائل عديدة، حيث يتجلى صراع الأضداد، ما بين قبح يطغى على المكان، وجمال يأبى إلا أن يقيم في ذهن من لم يبارح الحنين رغم الموت، حيث يكمل الكاتب في قصة الكوبرا، شؤون السلطة في محاكاتها لطرق ووسائل المحافظة على مراكزها وذلك بالحرب مستخدمة قوت الشعب في ذلك، فالجماهير التي باتت تتجمع عند باب القصر بدأت تشعر بالغرابة ما إن انتهى الرئيس ذو الرقبة الطويلة واللسان الأطول من خطابه قائلاً ص29 :

"انته الحوار بيننا وبينهم.. ولم يبق أمامنا غير الحرب، فهي التي ستأتي لنا برؤوسهم.. سترونها تحت أقدامكم، وستؤمن لكم الأمن والدفء والسلام.. وصفق الباب خلفه صفقة اهتزت لها الأرجاء المحيطة.. ارتعدنا، من شدة الهول، واندفعنا نتدحرج، بعضنا فوق بعض، محاولين تلمُّس طريق عودتنا، والدنيا تشتد من حولنا غباراً ودخاناً وظلاماً، رغم أننا لا نزال في عزّ الضحى..! ثم بدأنا نسمع قعقعة.. ونرى أشياء ملتهبة تترامى من حولنا وفوقنا.. وحين أخذت أجسادنا تغرق بالسائل اللزج، تساءلنا ببلاهة.. كيف، ولماذا، يتحوّل لون المازوت من الأصفر الباهت إلى الأحمر القاني..؟! عندها فقط أدركنا، ونحن، بين اليقظة والحلم، أنّ حرب البراميل قد بدأت فعلاً.!"

فما قاله الرئيس يخالف ما قاله فيما مضى الشاعر زهير ابن ابي سلمى4، داعي السلام :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم.. وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة.... وتضرى إذا ضريتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحى بثقالها ..... وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ..... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

فالدعوة للحرب هو شأن السلطويين في الذود عن قواعدهم ، فما حاجة الشعب للحرب؟!، وما هي مبرراته وغاياته بالنسبة لمنافع الشعب حسبما قاله الرئيس، متذرعاً بأن قوت الشعب قد تمت سرقته، وأنه قد نُصِّب لاسترجاع المسروق، لقد تحدث الكاتب محمود الوهب في قصتي قطيع بيت عاروب، وكذلك قصة الكوبرا، عن ما يحدثه الاستبداد والفساد من فوضى لا رجعة عنها، وتفكك مجتمعي، ينشب أظافره أولاً بالشعب مروراً بتنظيماته المحلية، وانتهاء بمؤسسات السلطة وأبرز أفرادها، حيث يعد الفيلسوف توماس هوبز5أول من أشار إلى هذه الفوضى ، في حين ذهب أرسطو 6للقول:

"إن الانسان بطبعه حيوان سياسي يحب الحياة في جماعة سياسية منظمة فهو مدني بالطبع"، ولكن الحرب هنا بين الجماهير والسلطات القمعية حرب وجود، لا تكاد تسفر عن نتيجة معينة ، لاسيما حينما تمر الانتفاضة الجماهيرية لتتصادم مع قوى تتداخل فيما بين السلطةوالانتفاضة لتنقل ساحة الفوضى هذه إلى نطاق أوسع وأشمل يشمل التقاسمات الاقليمية كما في الأزمة السورية كأنموذج لذلك، حيث يأخذ حرب النفط وتقاسم الموارد طابعاً دموياً أشار إليه الكاتب محمود الوهب في سياق مبطن ووجداني **"ولماذا، يتحوّل لون المازوت من الأصفر الباهت إلى الأحمر القاني..؟!**،وهكذا يبين الكاتب عن إرهاص المشهد الثوري بتداخل المصالح الاقليمية وتحويرها للمسعى الجماهيري نحو حالة أكثر سوداوية ومأساوية، والهدف هو تفكيك المجتمع وتدمير بناه إضافة لمؤسساته، في حين بين الفارابي7من أن **"الانسان اجتماعي بطبعه وهو لا يبلغ كماله الا عند وجوده في مجتمع"**، فتدمير الفرد وتكبيله بالدمار والخراب والعجز لهو تمهيد لإدخاله في حالة من فوضى غير منتهية، وهو بالتالي محاولة للقضاء على التعاقد الفطري الطبيعي بين الجماعات، ولاشك أن ابتزاز الجماهير بقوتها هو دليل على تدمير مقومات نهوضها وتهديد لمعاييرها الاجتماعية

حينما أكد هوبز بأن التربية تشكل عموداً أساسياً لبناء المجتمع السياسي المعافى،تلك الحرب لا تغدو في ظل الفوضى سوى استجابة لغايات الأطراف المتحاربة والتي تدعمها الدول المستفيدة من هذا التفكك، والانقسام المجتمعي إلى جاذب نزوح أفراده، الأمر الذي يسهم في حرب الأفراد ضد بعضهم البعض لإبراز معالم **حرب الكل ضد الكل**، حيث ننتقل إلى قصة هذيان السمع والبصر، لنجدها تكتظ بالتعابير المرموزة المصبوغة بأنين وجداني وحزن جامد، وقد اختار الكاتب طريقة بديعة في الدخول للنص، إذ بدأها على نحو يبعث على الإمتاع الفني، عبر حوار داخل بين شخص وأحد العساكر، بيد أن الشخص هو السارد لحقيقة ما جرى له، ويجري للناس، في مشهد رعب متسلسل، لنرَ هنا ص30: "- أجبني، هيا بسرعة، كيف تريد نهايتَك..؟!

- نهايتي..! وحرت في جواب مناسب.. أخنتني الدهشة والمفاجأة، وحين رآني أتلكأ، تابع يشرح بهدوء:

- أتريدُها رصاصةً مباشرة في الرأس أم في القلب؟! أَمِنْ أمام تريدُها، أم من خلف؟! دفعته بيديَّ اللتين لا أعرف كيف واتتهما، في تلك اللحظة، قوة غريبة.. قوة لم أعهدها فيهما..! فراح يتدحرج على الأرض. ضحكت منه، وتابعت النظر الممتع إلى الرغيف.. أعني إلى وجه الطفل البرتقالي..! وكدت أنساه فعلاً، وأنا أبتعد عنه منشغلاً برؤياي، لكنه عاد ليقطع عليَّ طريقي، ويؤكد ما كان بدأه:

- أنا لا أمازحك أتريدها طلقة من قناص مجهول أم من "شبيح"معلوم؟! لعلك تودُّها من ثائر مزعوم! وكشَّر، هذه المرة، ودخل في موجة من الضَّحِك، والكركرة وحديده، على كتفه، ما يزال. سألني:

أتكفيك رصاصة عادية أم تحتاج إلى قنيفة ممتلئة؟! ما لدينا كثير.. كثير ومتنوع، وأخذ يعدد:

الكلاشن، ووضع يده على حديدته، والآر بي جي.. ثم لدينا الدوشكا والشيلكا والبي كي سي.. وعندنا، أيضاً، أنواع أخرى، إن لم تعجبك القذائف الصغيرة هذه، لدينا صواريخ ترابية، وأخرى نارية..! وعندنا أيضاً البراميل، البراميل بدعة ما أحسن اختراعها غيرُنا..!"

فلا شيء يقف في ردهة إحساس السارد سوى الموت المتعدد بأسماء ونعوت مختلفة، موت من مرتزق، أو من قناص، أو من ثائر مزعوم، وهكذا تتعدد الأشكال لهذا الموت الواحد، إلى جانب تمثله بالوجه البرتقالي لذلك الطفل، المصدوم من كل ما يفعله دعاة الموت، في هذه المدينة الخربة، المكتظة بروائح الفناء، هنا تطغى على النص التأملية المتسمة بسوداوية حادة، وآمال هائمة في معترك الضياع والفوضى، حيث تصحبنا مخيلة الكاتب محمود الوهب، نحو تجليات الحرب وأحداثها وحواراتها الصاخبة، و مثَّل لنا الوجه البرتقالي الأشبه بالرغيف انحيازاً للحياة والأمل رغماً عن قسوة الحرب، وصور ضحاياها الممتلئة في الذاكرة الإنسانية،ولعل المشهد المأساوي وترسخه في الذهن المتلقي للواعج اللغة وآهاتها، يتمثل في صدق الرؤية وطريقة الإسهاب وجودة الإسلوب، قربه من تلك الذائقة العامة وقدرتها على الإيغال بالأرواح والأفكار معاً،

هذا ما سعى الكاتب لتبيانه، في سياق السردية والحوار الماتع الموغل تحديداً في مخاطبة الذائقة العادية، للرفع من مستوى نظرها، وللعبور بها لمعالم أكثر رحابة، وجدة، ففي

ففي قصة حلم الحرية-يجسد الكاتب مسببات الصراع المؤلم، الذي بعثر البشر وساقهم كقطعان لميادين الجنون والقتال الرهيب، يصور قتامة المشهد، وهذا العار الإنساني في إبداء التوحش في عصر تلبس المدنية والحريات،حيث تساعدنا تلك اللغة التصويرية المتقنة والمكتظة بالرموز لرؤية تلك المعالم الفنية في رسم المشهد، وإتاحة المساحة للمتلقي في سبر لواعج الكاتب، ومراميه من العمل القصصي برمته، وفق صيرورة ترتقي بالإبداع الملازم لشفافية تجسيد الحدث المؤلم، فهو يعرض الحقائق أمامنا، ويجسد لنا ميادين الصراع العبثي بدلاً من الصراع لأجل حياة أفضل، لنتأمل هنا ص32:

"ليس في الشوارع غير الأنين والحواجز، حواجز من الأسمنت الأصم.. هيئات شخوص تتشبه بالجند، وليست منهم في شيء! حتى سور الحديقة لم يبق على عهده.. افتقد زهو خضرته، وورده، غمرته كثافة اللافتات وتزاحمها.. غلفت بياض ياسمينه ببراقع من الأسود والأحمر والكحلي.. امتصت عطره الذي كان، وشذاه.."

حيث يشير الكاتب إلى مواضع السواد والعتمة التي تتجلى لتغطي المشهد المكاني برمته، مما يجعلنا نركن للتاريخ ملياً ونفحصه، لنجده المساحة المكتظة بأمجاد الحكام الشخصيين ومحاولتهم للإبقاء على سطوتهم ولو على حساب دماء الأبرياء، حيث يصف لنا الكاتب الحرب وأهوالها، وغموض المستقبل إزاءها، وكذلك هذا التوحش الذي يستشرس ويحول دون نمو الزهور والأشجار، كأن الإنسان لم يعرف البناء والفن، ولم يقم بصنع ما يسمى بالحضارة، لتكون سموماً بالنفس، لا إذلالاً لها، إنه يصف لنا بانوراما الحرب انطلاقاً من مدينة حلب، وحوادثها، وخرابها المستمر، فثقافة الحرب وأدبها إن صحت تلك التسمية ، هو تجسيد للويلات على نحو واقعي ومؤلم جداً، وكذلك محاولة استثارة روح الإنسان، لدى الذي تحول بينهم وبين الإنسانية هواجس التصارع والغلبة، حيث تغدو الحدائق وهماً أمام ألسنة اللهب المستعرة والقصف الذي يهبط يميناً وشمالاً، كما نجد في قصة أوهام الحديقة مسحة تعبيرية تميل للألم المعتاد، إضافة لمعاناة الإنسان حيث نتأمل هنا: ص36،

"يشتد عطش «هانئ» يشقق الجفاف شفتيه.. ينظر إلى الفوهات القاتمة التي خلّفتها الجذور.. تضخ الفوهات ماء زلالاً.. يميل هانئ ليشرب.. لا ليس بماء هو.. إنه دم..! دم أحمر قان.. يزداد سيلان الدم.. يحاول خلاصاً.. المكتب؟! يريد مكتبه.. يرتفع الدم من حوله.. يرفع رأسه نحو الأشجار.. لا يرى غير دم يتماوج في ارتفاع.. يغدو الدم بركة.. ترتفع الأشجار وتبتعد.. الدم بحيرة.. هانئ في وسطها.. نظره إلى الأعلى البعيد.. لا شيء غير بقايا الجذور، تبدو على البعد مثل أصابع وردية على بطون بيضاء وأجنحة تخفق في الأعالي، وتبتعد..

"كل شيء دم، هذا العالم توحش، هذا لسان هانئ، يتحسس الرعب في المكان، في إطار سرد معقد الدلالات، يخوض في تجربة الحرب، وأثرها على المجتمعات، وقيمها، فالألم هنا ليس رديف اللذة، في تتبع جمال المكان، الحديقة هنا، تغوص في متاهة الوهم والوهن، فالفن السردي هنا يغوص بالمعاناة الفريدة، يلجأ الكاتب للخيال كي يحيط بالألم، ويسبر بواطن التعابير، إنه يأمل بالخلاص، وينجز الفن الذي ينقل الإنسان من متاهات التشرذم والضياع إلى حدائق الألفة والمسرة، وكذلك تجسد اللغة القصصية ميل الإنسان الدائم للبقاء ، رغم الحروب التي تشتعل في أنحاء الوجود، لكن نداء الحضارة والعراقة أقوى، من غرائز التوحش التي تطبع بها السلطويون وأثرياء الحرب وتجار السلاح، حيث أن الكاتب بمجمل قصصة يدعو إلى :

- العودة لمسالك الصفاء والتمرس بثقافة الحياة كبديل عن امتهان الفناء وتدمير الموجودات البشرية والطبيعية
- التأكيد على عظمة الموجود باقترانه بالمعايير الأخلاقية التي تنتصر لنداء الواجب، وفي ذلك تتحقق أواصر السلام بين الموجودات على قاعدة السلم البشري

اتخاذ تدابير قميمة في ظل احتدام الصراع الغرائزي لتقاسم الموارد والنفوذ، وإبراز أدب ينتصر للسلام كحقيقة للتعايش السلمي بين الشعوب التي تجمعها الجغرافيا الحالية، دون إقصاء وتعسف بين بعضها البعض، بل بعقد اجتماعي يزيل مظاهر الاضطهاد والعنصرية فيما بينها

- التأكيد على الجانب الخير للإنسان، أمام تحديات المشهد المرعب، والدعوة لكبح جماح العنف والسعي لحياة بديلة عن الدمار والتعسف، لتحسين التجربة الإنسانية وتعميمها في الحياة المعيشة..
- ونقف عند قصة حوريات- حيث يتحدث الكاتب محمود الوهب عن ما يخلفه التطرف التربوي، من نتائج وخيمة، على العقل والذهنية السلوكية لدى الإنسان، منذ طفولته، ولعل الديانات الإبراهيمية ربت التقاليد المتطرفة في جوهر نصوصها، وجعلت الشعوب عبر التاريخ تدفع ثمن ذلك ، عبر حروب يذهب ضحيتها الشباب، نتأمل هنا ص39:
- "هل أطلت الوقوف قبل أن أبوحَ بسرّي، وأصرخَ صرختي، أيُحْسَبُ تمعُّني فيمن رأيتهم أمامي تشككاً وتلكؤاً؟! أليس من حقي التأكد من حقيقة الموقع؟! فما رأيته لم يكن حاجزاً عسكرياً! ولا هو مقر لحزب علماني "كافر"، كذلك لم يكن مطعماً أو ماخوراً يفسد خلق الشباب، ودينهم، كما كان الشيخ عبد الصمد يردد دائماً! ويحذر من ارتيادها..! إنه سوق، سوق، يا ناس، سوق السمك والخضار، السوق التي تضجُّ، على الدوام، بالناس والحياة!"

فالفطرة الذاتية تسبق الأحقاد التي يزرعها الشيوخ، في عقول هؤلاء الساعين للموت، من أجل جنة وهمية، فهو يبصر أن المكان الذي أخذ فيه يفجر نفسه، أنه سوق يتقوت فيه الناس، ولعل تلك اللحظة التي تتوسط الحياة والموت، قد باحت له بحقائق كانت غافلة عنه، حيث يبين الكاتب من وراء عرض هذا الحدث حقيقة ما وعى به ذلك الذي فجر نفسه، بين سوق مكتظ بالناس، فقد تنامت الكراهية في ذات السارد في القصة، عبر تلقينه إياها بمنهجية، جعلت منه عامل دمار للآخرين، حيث يشير الكاتب إلى التشئة وظروفها التي أدت لتفشي ظاهرة التطرف أكثر فأكثر، فهذا الغلو في التعاليم المقدسة أدى لاستفحال مخاطر صنّاع الموت، فهنا لابد من التدقيق في ملابسات استمالة الشخص وترغيبه بغية التحكم به من نافذة الشهوة المكبوتة لنرَ هنا ص40 :

"تلك الجميلات الصغيرات، يا شيخ رضا، إنّما خصصن لمتعة الشهداء الذين يموتون، وهم يقاتلون الكفار، وفي سبيل حماية دين الإسلام.. فالجنة مراتب، يا رضا، يتصدرها الشهداء، ثم العابدون القانتون، وبعدئذ تأتي بقية المسلمين.. ولكل من هؤلاء حورياته اللاتي يناسبن فعله في حياته الفانية!

"فهنا خرج التفكير عن الأفكار الطبيعية والسلوكيات المتوازنة، وبات يتدخل أكثر في جوهر السلوك الساذج وطبيعة التصرفات المضطربة، حيث يشير الكاتب إلى ظروف التنشئة الاجتماعية، وطبيعة ذلك المجتمع، مراحل عزلتها وغيبوبتها، حتى تصبح هذه القناعات الناتجة عن تلك الظروف ثوابت مطلقة، مغطاة بانفعالات وجدانية، مشحونة بالاضطراب، وكذلك تجسد لنا خلو هذه البيئة من لوازم الحياة الطبيعية كالحنان والطيبة والحب، ومع مشاهد من السخرية الفنية التي ما تلبث أن تمتزج بمرارة التطرف والحديث هنا استطاع الكاتب أن يثير التساؤل ويعمد لتجسيد فكاهة المشهد الساذج، ومراراته إذ يودي بحياة الأبرياء كما نرى ص40:

"تتفرسني العيون.. تفترسني.. رؤوس وقامات تقترب متوجسة، صياح وصراخ.. ركض وتحذير.. هواتف نقالة تلتصق بالآذان! وأفواه تلهج همساً بأمور غامضة! مجموعة من الرجال تتقدم نحوي، تطوقني.. أرتعد.. أكاد أنهار.. أستجمع ما لديَّ من قوة، يرتجف صوتي، ثم ينطلق صارخاً: الله أكبر.. ومع ارتفاع صوتي، ودويّ حزامي الهائل، أراهُنَّ أمامي، أحلّقُ إليهنَّ..! أراهن يتصايحن في مرح وابتهاج.. ألوّح لهن بفرح:

قادم أنا.. قادم.. أقولها عامية فيروزية: "جايي أنا جايي .."أرتفع أمتاراً، أمتاراً فقط ثمّ أهوي مبعثراً في أوحال كريهة.. روث دواب، وبقايا خضار تالفة.. زنخ سمك ونواتج .. يضيق صدري.. أختنق أو أكاد.. لا أرى حولي غير الجثث والأشلاء، الكل يسبح بالدم والأوجاع.. أحاول الارتقاء، تعجزني الجراح وبعثرة الأشلاء! ما الذي جرى لي؟! لِمَ لَمْ أصعد؟!

هنا يتجسد هول الحدث الذي أخذ يعبّر عن نهاية هذا النزوح إلى الاغتراب المزمن، الذي باعد بين الإنسان والآخرين، من خلال موجات السراب الواهية التي أخذت تباعد ما بين هذا المتهالك وجمال الحياة وبهجتها، إزاء صور اختلطت بالشهوة في داخله، والتي لم يجد في الموت سوى وسيلة للوصول إلى شهوة تم كبتها بقسوة، والمظهر الأكثر خشونة هو مشهد ذلك المفجر نفسه، وهو بين الزنخ وتلف الخضار وروث الدواب، فلا من نعيم ولا من حوريات يشتعلن شوقاً لملاقاته، هنا بدأ يوشك في وقت متأخر، حقيقة الوهم المقدس، الذي قضى على بشر محيطين به، فالأثر الفني بإدٍ على النص، رغم مواكبته لمعالجة الحدث ولكن بلونه القصصي غير الخارج عن أطره المحببة، والتي تعتبر بذاتها إيحاءات مختلفة لعبور الأفكار خلسة إلى باطن المتلقي، وعبر الصورة، المكان، الملامح النفسية، والحوار الدائر ما بين النفس أو الآخر..

الخلاصة:

ينقل لنا الكاتب محمود الوهب ، مشاهد الحرب، انعكاسات الفساد، على الروح المعنوية للمجتمع، أثرها على القيم الطبيعية، وتداعياتها الخطيرة على الذوات الشابة، ونشوب تلك النزاعات لدرجة لا يمكن ضبطها أو وقفها بمثابة إفلاس حضاري تتقاسم أعباءه تلك الأطراف التي لا تستجيب للثوابت الإنسانية في حق الحياة، وإنما تذهب إلى البعيد إلى حيث الجشع وزيادة الأزمات وتفعيلها على حساب شعوب تعاني مرارة الواقع المزري بين فكي السلطة المستبدة، والفوضى العارمة، حيث يتناول عفونة المفاهيم والاحتجاج الفكري عليها، وكذلك لفضح ما خلفته عزلة المجتمعات عن قيم المواطنة الحرة وقبول الآخر، عبر الثورة عليها، بغية تقويضها، لتدشين بوادر الانتفاضة الذهنية، المتمثلة ببث آليات التسامح بين الشعوب والمجتمعات للخروج من عجزها وقوالب تغييبها، حيث نرى رفضاً لآليات الحكم المتمثلة في تمجيد التماثيل المتألهة كما في قصة البشير حيث نرى هنا ص43:

"أن يستدعيك زعيمك المفدَّى على نحو مفاجئ، وفي وقت مبكّر من اليوم، أي قبل الدوام الرسمي بعدة ساعات، فهذا يعني أنَّ ثمة أمراً خطيراً حدث أو سيحدث، وهذا ما يضعك في نفق أسئلة، ما تني، تتمو، وتتشعب، مدخلة إياك في دوامة من القلق، والهواجس! إذ تأخذ أعمالك اليومية الماضية تكرَّ أمامك ككرة من الخيوط تأخذ في التدحرج على منحدر، لتهوي في النهاية إلى واد سحيق! أتراه دعاك لأمر يخصُّك؟ أله علاقةٌ بخطإٍ ارتكبته؟ أهناك وشايةٌ ما؟! وهكذا، تذهب روحك في رحلة قلق ورهبة، تستعرض خلالها وجوه زوارك، وأسماءهم، ومراتبهم، ومشكلاتهم، والحلول التي عملت بها، وتظلُّ الوساوس الشيطانية تعبث بأعصابك، تشدُّها نحو نهاياتها، لتعزف عليها أناشيد الفزع والترقب! وأنت سائر بين يدي حرَّاس زعيمك المقربين، ممتثلاً للأوامر، كأنك أسير لا وزير. ذلك، في الحقيقة، ما حصل معي يوم بادرني الزعيم بعلومه اللافتة عن الحمير..!

"فهنا يتجسد مذهب الاستحقار ما بين الرئيس وأعوانه، والتبعية لدرجة تقبل كل نعت وضيع، حيث أن الطقوس العوائدية الخاصة بحالة الاستحقار تمارس عن رضا وطيب خاطر بين من هو في أعلى الرتب ومن هم دونها بقليل، وفق حالة من انعدام الثقة، والقلق الدائم، من سعة النفوذ، أو الانقلاب المفاجئ، ولاسيما أن هالة التقديس التي تحيط بالقائد الرمز، منبثقة عن الرياء التام، والخوف على المنصب من زواله، ليذكرنا بأبيات للشاعر حسن النيفي8، حين قال:

نادى العرّاف أيا سادة

لنقبّل أقدام القادة

ولنركع للظلم عبادة

ونسبّح باسم الإرهابِ

وليس العمل الأدبي برمته في هذا السياق مجرد استذكار للأقاويل والتعابير المتشابهة، إنما هو سبر للغة التي ضاعفت الإحساس بكل ذلك، إذ جعلت النقد حراً في مقارباته، واسترسالاته، وبذلك فإن الأدب الواقعي يبرز أكثر حدة حينما يعبر عن نقد الجماهير للسلطة، وللظواهر المضطربة، إننا أمام لون محدد قصصي لا يمتزج بالأجناس الأدبية الأخرى ، ويتميز بالتخصص بقضايا الإنسان وتشوهات السلوك، وعلل السلطة القامعة، ولم ينشط أدب الكاتب محمود الوهب برمته عن معادلة الالتزام بالنقد الجماهيري للسلطة، وكذلك لاستنهاض الثمرات الطبيعية لكفاح المعرفيين الشاق في مواجهة كافة الاضطرابات التي تعم البشر في ظل الحروب، وكذلك فإن الخوض في إشكالية الثقافة والدين، والأعراف، لهو محاولة للتمييز بين الطيب منها والسيء، في محاولة للتفريق بين ما ينعش الحياة الاجتماعية وما يجعلها في اضطراب، حيث لم يعزل الكاتب الفن عن القيمة المتشبثة بالدفاع عن قيم الحياة والجمال والخير، وبالإشارة إلى عيوب السلطة الشمولية، وطرف إفسادها لكافة مؤسسات الدولة، ناهيك عن تغلغلها العنيف داخل المجتمع من خلال أنموذج الدولة القومية التي من خلال تغطي على مآربها في البقاء في السلطة وتدمير قيم المساواة بين الشعوب، للحيلولة دون التحول الديمقراطي، وهكذا نجد أن المسعى وراء النقد الواقعي كان غايته، الإعداد للتغيير كفكر ممنهج، لا كانفعال صادر عن فعل البطش، فالدراما القصصية حاكت الوجدان الداخلي، وقدمت القصة كونها فناً يوحي بالأفكار، إذ يقود التأثير الدرامي دفة اللغة القصصية، بمواكبة الفن، ضمن وحدة المسار، وما الحدث سوى مساحة تأملية جانبة للوجدان الجمعي، وتصويرها اعتماداً على جودة اللغة ونقاوتها، ما يجعلها تتضوع بالحزن، وكذلك تنشد في طياتها الأمل، رغم توالي الأوجاع..

الهوامش:

1- نزار قباني :نزار بن توفيق القباني (1342 - 1419هـ/1923-1998م)دبلوماسي وشاعر سوري معاصر.

2- كارل مانهايم :كارل مانهايم (Karl Mannheim) (1893-1947) عالم اجتماع يهودي، مجري الأصل من مؤسسي علم الاجتماع الكلاسيكي ويعد مؤسس علم اجتماع المعرفة.

3- أبو عبد الله الصغير :أبو عبد الله محمد الثاني عشر (1460 - 1527) هو محمد بن علي بن سعد بن علي بن يوسف المستغني بالله بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف. من بني نصر أو بني الأحمر المنحدرة من قبيلة الخزرج القحطانية، حكم مملكة غرناطة في الأندلس فترتين بين عامي(1482-1483) وعامي(1486 - 1492) . وهو آخر ملوك الأندلس المسلمين الملقب بالغالب بالله

4- زهير ابن أبي سلمى :زُهير بن أبي سُلْمى المزني (520 - 609م) أحد أشهر شعراء العرب وحكيم الشعراء في الجاهلية وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء وهم: امرؤ القيس وزُهير بن أبي سُلْمى والنابغة الذبياني. وتوفي قبيل بعثة النبي محمد

5- توماس هوبز :توماس هوبز (5أبريل 1588 - 4ديسمبر 1679) (بالإنجليزية: Thomas Hobbes) كان عالم رياضيات وفيلسوف إنجليزي،يعد توماس هوبز أحد أكبر فلاسفة القرن السابع عشر بإنجلترا وأكثرهم شهرة خصوصا في المجال القانوني حيث كان بالإضافة إلى اشتغاله بالفلسفة والأخلاق والتاريخ.

6- أرسطو :أَرِسْطُو(384ق.م - 322ق.م) أو أَرِسْطُوطَالِيس أو أرسطاطاليس فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر، وواحد من عظماء المفكرين، تغطي كتاباته مجالات عدة منها الفيزياء والميتافيزيقيا والشعر والمسرح والموسيقى والمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والحكومة والأخلاقيات وعلم الأحياء وعلم الحيوان. وهو واحد من أهم مؤسسي الفلسفة الغربية.

7- الفارابي :أبو نصر محمد الفارابي هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي. ولد عام 260هـ/874م في فاراب في اقليم تركستان وتوفي عام 339هـ/950م . فيلسوف مسلم[2][3] اشتهر بإتقان العلوم الحكمية وكانت له قوة في صناعة الطب.

8- حسن النيفي: شاعر سوري معاصر ولد في منبج 1964م

قراءة في كتاب مزرعة الحيوان

حسني كدو

الكتاب خير صديق في كل زمان ومكان، وهو خير جليس في هذا الزمن اللامعقول، فهو ينشط خلايا المخ والذاكرة، ويهذب السلوك الانساني والاجتماعي، ويجعل قارئه أكثر انفتاحاً ومعرفة، واليوم اخترت هذا الكتاب (الذي قرأته منذ مدة) بعد قراءتي مقال لكاتب تركي يتميز بشي من الاعتدال، ولكنه كمعظم كتاب الأعمدة الترك لا يستطيعوا أن يقولوا إلا الجزء اليسير من الحقيقة، سيما إذا كان الأمر متعلقاً بالقضية الكوردية وحزب (ب ك ك).

تعتبر رواية مزرعة الحيوان Animal Farm للروائي والكاتب الانكليزي جورج أورويل حسب مجلة (التايم) ضمن أفضل مئة رواية باللغة الانكليزية، وجاء ترتيبها 31 في قائمة أفضل رواية في القرن العشرين، حيث فازت الرواية بعدة جوائز بأثر رجعي، كما ضمنت في مجموعة "ذخائر كتاب العالم الغربي" التي تنشرها شركة الموسوعة البريطانية.

وبالطبع، كتب الكاتب روايته على غرار كتاب ابن المقفع "كليلة ودمنة" وأعطى لكل حيوان اسماً كنابليون، سنوبول وسكويلر وغيرهم، وجعل حيواناته تتحدث مع بعضها البعض، ليبأى بنفسه عن المشاكل الأمنية وليجعل منها رواية خرافية، غير أن حياته المهنية والواقعية ومشاركته للفقراء في حياتهم، والدفاع عن المظلومين وحقوق الجماعات والشعوب كشف عن المستور في خفايا صدره، وبدورها بدت كل تلك الشعارات والهتافات زائفة وهو يرى بأم عينه كيف انحرفت الثورة والثوار، وتحولوا الى سلوك مؤامرتي، القوي يقضي على الضعيف، وبدعوى الدفاع عن المبادىء والشعارات والحفاظ عليها، يتم القضاء على كل فكر، وعلى كل من يخالفهم بالرأي.

لقد كانت رواية (مزرعة الحيوان) للروائي الانكليزي الشهير جورج أورويل المميز كإنسان وكاتب، إسقاطاً على الأحداث التي سبقت العهد البلشفي والحالة الستالينية وما قبلها وإلى يومنا هذا، ولقد تعاطف اورويل مع الثورة الروسية والاسبانية، وثار ضد النظام الاجتماعي لأمته ولعصره، تحمس للاشتراكية ودافع عنها بقلمه، وخاض الصعاب والمخاطر من أجلها، لكن سرعان ما خاب ظنه، وتحطمت أماله بالثورة البلشفية بعد ماحل بالتروسكيين على يد الستالينيين.(مقتبس).

الرواية رد فعل على ما حدث للثورة الروسية الذي اصطدم به الكاتب، فقام بكتابة "مزرعة الحيوان"، وفي هذه المزرعة يقوم السيد جونز(ويعتقد بأنه القيصر نيقولا الثاني) صاحب المزرعة بمعاقبة هذه الحيوانات، ولكن عند أول فرصة تقوم هذه الحيوانات (الثوار البلشفيين) بالتمرد وتتخلص من السيد جونز وتسعى إلى إقامة مجتمع عادل، يسوده الحب والصداقة بقيادة سكويلر و نابليون(ستالين وتروتسكي ورفاقهم)، ويضعون نظاماً ودستوراً ثورياً خاصاً بهم وسموه الوصايا السبع. وهي (منقولة من الرواية).

- كل من يمشي على رجلين يعتبر عدو
- كل من يمشي على أربعة أرجل أو يطير يعتبر صديق
- يمنع ارتداء الملابس للحيوانات
- يمنع النوم على الأسرّة للحيوانات
- يمنع شرب الكحول للحيوانات
- يمنع قتل الحيوانات بعضها لبعض
- كل الحيوانات متساوية

- وبسبب دهاء الخنزيرين العجوز نابليون و سنوبول(ستالين و تروتسكي)، هناك حرف أو كلمة يمكن استخدامها في الوصية وتغيير مضمونها، وذلك للحالات الطارئة، ويقصد بها تغيير الدستور حسب مصلحة الخنزير نابليون.

ولكن مع مرور الزمن يتحول كل شي الى النقيض، فيقوم الخنزير نابليون والمقصود (ستالين) وباسم الحرية يمنع الحريات، وباسم الازدهار يجوع الناس، وباسم الاشتراكية يستلب حقوقها، وباسم الحياة يسفك الدماء، وذلك بواسطة كلابه التسعة والمقصود (جهاز ستالين الأمني والاعلامي (سكويلير - جريدة البرافدا). وبالتالي يمكن إسقاط هذه الرواية الرائعة على جميع الأنظمة الشمولية والديكتاتورية في كل زمان ومكان.

ففي شرقنا، رأينا كيف جاء الضباط الأحرار الى الحكم في مصر، وبدعوى القضاء على النظام الملكي و الاقطاع، ومن ثم تحولوا إلى دولة بوليسية (المشير عبد الحكيم عامر) وحاربوا كل من يخالفهم والقضاء عليهم كالحزب الشيوعي وحركة الاخوان المسلمين.

وفي سوريا والعراق جاء المخلوق المسخ، المكبل بالعقد النفسية والاجتماعية والطبقية (حزب البعث) بعد سلسلة من الانقلابات الدموية الى الحكم، واستطاع الإستئثار بجميع مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وذلك من خلال نابليون (صدام في العراق وحافظ في سوريا) وكلابهم البوليسية (الأجهزة الأمنية الكثيرة) والخنزير سكويلر (إعلام البعث) بالبشائر، ولكنه باسم حماية الثورة تحول الى وحش كاسر وداهية خبيث، وبحجة حماية الثورة مزق المجتمع واتبع سياسة فرق تسد، وأعدم جميع رفاقه (عدنان الحمداني ورفاقه في العراق و صلاح جديد ورفاقه في سوريا) بمجرد أي خلاف في وجهات النظر معه، أو حفاظاً على كرسي الرئاسة، وكلها بحجة الحفاظ على الثورة ومكتسباتها. وهكذا تحول الحزب من حزب تقدمي ثوري حاكم للدولة والمجتمع، الى حزب مستبد وكابت للحريات، وكذلك في ليبيا ورومانيا والكونغو وتشيلي وكوبا وكوريا الشمالية وغيرها من الدول.

والخاتمة التي يريد أن يصل الكاتب اليها، هي كيف استسلمت هذه الشعوب للخضوع، وسكتت عن حقها طيلة عقود من الزمن لهذه الأنظمة الشمولية الفاسدة الخادعة، والتي قضت على خيرة شباب وطاقات هذه الدول وسرقتها، وحتى يومنا هذا.

ولكن الغريب في الأمر، أن يحاول الكاتب التركي مصطفى أقيول أن يسقطها حسب مزاجه الخاص على حركات التحرر العالمية ومنها الحركة الكردية بشكل خاص، والتي تناضل في سبيل رفع الظلم عن كاهل شعوبها، وانتزاع حقوقها المغتصبة. وهنا ينصح (مصطفى أقيول الكاتب التركي الذي ورث دار نشر عن والده من الجناح اليميني والذي قدم أطروحته الجامعية في المسألة الكردية، وكتب عن الكرد وحقوقهم بشكل خجول، وعن الاسلام التركي وشرطتها العلمانية التي تدخل الجامعات وتمنع دخول الفتيات المحجبات، وعن العلمانية التركية وديمقراطيتها المزيفة كردياً) الكرد أن يقرأوا مزرعة الحيوان وهذه اشارة او إيعاز باطني منه، يبين كيف بدأ الكورد بانتفاضاتهم منذ وقت طويل ولكنهم وبشكل غير مباشر تحولوا وانحرفوا عن مسار نضالهم وبدأوا باتخاذ سلوك مغاير ومتناقض عن اهدافهم.

ويستمر في كيل سيل من الاتهامات للحركة الكردية وأحزابها، والأكثر من ذلك يدع الكاتب لخياله يذهب بعيداً باتهام الكرد بالتحول عن مهمته في الدفاع المشروع عن الكرد وعن حقوقه الى الدفاع عن أجندات الدول الأخرى، ويمضي السيد مصطفى أقيول في سرد المزيد من الأمثلة التي لاتستند إلى أدلة حقيقية، على تشدد حزب العمال الكوردستاني وإرهابه للمجتمع التركي، وفرض رؤيته السياسية، ورفض الحلول السياسية للمشكلة الكردية إلا عن طريقه، ويمضي حتى يكاد أن يقول إن حزب العمال الكوردستاني هو المسؤول وسبب جميع الزلازل التي ضربت تركيا، والجفاف في الصومال، وطبقة الأوزون، وأعاصير أمريكا، وتغير لون لحية حسن نصر الله، ونفاق أحمدي نجاد، والترجمة المزيفة لخطاب الرئيس المصري البراغماتي في مؤتمر دول (ما يسمى) عدم الانحياز، وغرق المهاجرين الكرد على يد المهربين تجار البشر.

وهنا لابد من الرد على اتهامات الكاتب التركي وبالأدلة، وبعضها مأخوذة من كلامه "إن ظهور حزب العمال الكوردستاني كان امتداداً للثورات الكردية ضد غدر الجمهورية التركية الأولى وحتى يومنا هذا. (مصطفى أقيول) هل الثورات الكردية السابقة هي أيضاً نسخة عن رواية مزرعة الحيوان، ولماذا لم تتعامل معها تركيا بتصرف إنساني وديمقراطي.

أليس حرق 4500 قرية كردية وقبلها قصف الكرد بالغازات السامة وقتلهم بوحشية أسوأ بكثير من سلوك مزرعة الحيوان. (مقال لي رد على القصل التركي 1989 في جريدة الشرق الأوسط) إن أغلب الاغتيالات السياسية التي حدثت في تركيا في التسعينيات قامت بها جهاز الاستخبارات التركية وألصقتها بشكل أو آخر بحزب العمال الكردستاني (أليس هذا تصرف شبيه بالخنزير نابليون) (رد لي على القنصل التركي في جريدة الشرق الأوسط وأشا رإليه الصحفي التركي محمد علي بيراند سبب قيام ب ك ك بالعنف: إن حزب العمال الكردستاني يستمد ديمومته وبقاءه من الشعب الكردي في سائر أنحاء كوردستان وفي سوريا وتركيا بشكل خاص (مقال تركيا الحرب الأطول (لمصطفى اقيول وسبب قوة ب ك ك للصحفي بيراند).

من يتصرف كمزرعة حيوان وكحزب شمولي لا يرى سوى أرض وشعب واحد، وإن السعيد من يقول بأنه تركي ويطلق على شعب آخر يعيش على أرضه بأتراك الجبل؟. ألم يتراجع حزب العمال الكوردستاني عن طروحاته السابقة وأبدى استعداده عن التخلي عن الكفاح المسلح مقابل التفاوض والاعتراف بالحقوق الديمقراطية للشعب الكردي في تركيا. ألم يعلن حزب العمال الكوردستاني وقف إطلاق النار لفترات طويلة؟ ولماذا لم تتجاوب معه الحكومة التركية والجيش. لماذا لا تتصرف الحكومة التركية (الديمقراطية) كما تصرف الانجليز مع الأيرلنديين والإسبان مع إقليم الباسك.

لماذا لا تسحب الحكومة التركية البساط من تحت أرجل ب ك ك و تتفاوض مع حزب الديمقراطية والسلام ومع النواب الكورد في البرلمان التركي المنتخب أو تعلن عن اعترافها بوجود القومية الكوردية والشعب الكوردي، إذا كانت فعلاً تريد حل القضية الكوردية وتضع حداً لأعمال ب ك ك.

لماذا تتباكى الحكومة التركية على أطفال الصومال وغزة وتقتل أطفال كوردستان بالقنابل المحرمة دولياً.

هل قامت الحكومة التركية باصلاحات حقيقية جادة مقابل تشدد الكوردستاني المزعوم.

ان اتهام أو مناصحة الكورد وحزب العمال الكوردستاني بأنه نسخة أو تحول الى "مزرعة الحيوان" هو تجني فاضح وانحياز الى الظلم لا يليق بكاتب من وزن "مصطفى أقيول"، وهو تشويه للحقيقة، فالرواية عالجت الحقبة الستالينية والتروتسكية ومانتج عن ذلك من مظالم وإزهاق للأرواح. أما ما قام به حزب العمال الكوردستاني ويقوم به الكورد في تركيا وفي جميع أجزاء كوردستان هو حق مشروع أقرته الأعراف والقوانين الدولية والشرائع السماوية للشعوب للمطالبة بحقوقها والدفاع عن حريتها وعن حق تقرير مصيرها. وكان من الأجدر بمصطفى اقيول أن ينصح الشعب التركي بمراجعة تاريخه مع الشعب الكوردي، وأن يطالب النخب الثقافية التركية، وأحزاب البرلمان الأساسية، والمؤسسة العسكرية التركية واليمين التركي المتطرف بقراءة مزرعة الحيوان، والتقييد بالديمقراطية الحقيقية وتطبيقها على جميع الشعوب التي تعيش في تركيا وفي كوردستان تركيا، وليس الديمقراطية المفصلة على مزاجها وعلى مقاس المؤسسة العسكرية التركية.

ملاحظة: بعض الجمل فيها اقتباس

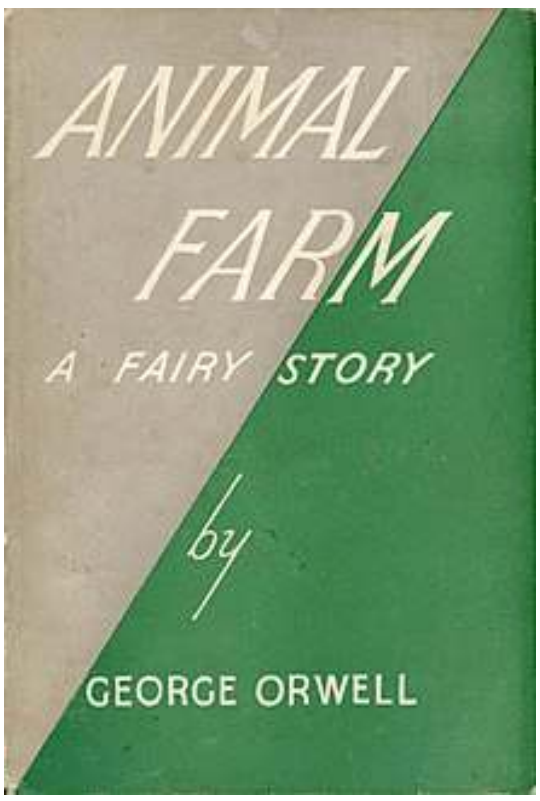

عاطف عبد العزيز ترجمان الروائح

أو الرحلة من الجسد إلى الروح

د/ صلاح فاروق

ترجمان الروائح، هو الديوان التاسع في مسيرة الصديق الشاعر عاطف عبد العزيز[1]. وكعادته، يقدم لنا عاطف في هذا الديوان تجربة مدهشة جديرة بالتوقف والقراءة، وسوف أحاول فيما يلي إيجاز أبرز ما تراءى لي في هذه التجربة الرائعة.

من البداية يفاجئنا عاطف بعنوانه اللافت: "ترجمان الروائح". وهو العنوان الذي يستدعي إلى المخيلة والذاكرة معاً عنوانين متباعدين زمناً ومكاناً، ويكادا يكونا متعارضين؛ الأول -- مغرق في تراثيته ورمزيته الصوفية الخاصة: "ترجمان الأشواق" للشيخ الأكبر ابن عربي. والثاني ـ مغرق في حداثته وغربيته: "العطر" لباتريك زوسكين. والطريف أن بينهما يدخل طرف ثالث؛ ناتج عن التصحيف أو القراءة الخاطئة (غير المقصودة) نتيجة التوقع ربما؛ أعني "ترجمان الأرواح". والثلاثة: "ترجمان الأشواق، العطر، ترجمان الأرواح" تدور حول منطقة واحدة؛ جامعها ـ إذا جاز القول ـ الطبيعة الأثيرية لمادة العطر بوصفها الوسيط أو الناقل الذى ينقلنا من الخارج المادي (الجسد) إلى الداخل المعنوى الميتافيزيقى (الأرواح أو الروح). وقد نتذكر في هذا الشأن مصدراً رابعاً يتعلق بهذه المادة هو كتاب الروح لابن القيم.

أما الترجمة التي تصدرت هذه العناوين كلها؛ بما فيها عنوان الديوان "ترجمان الروائح" فهي تشير بوضوح إلى إبراز الكامن، أو إظهار المخفي الميتافيزيقي. وفي هذا كله دلالة واضحة على توجه الصديق عاطف في دواوينه الاخيرة إلى نوع من التأمل الداخلي في علاقة الروح بالجسد، أو الفكرة بالسلوك. وربما نتذكر هنا ديونه اللافت أيضاً "سيرة الحب" الذي كان إشارة واضحة إلى رغبة خاصة في التماهي مع ذكريات الماضي الجميل، واستخراج ما في تلك الذكريات من آثار باقية؛ تعيننا في الحاضر المادي الخشن.

وبالعودة إلى الديوان نفسه "ترجمان الروائح" سنجد أن هذه الفكرة؛ أعني الرائحة أو الروائح، هي الباعث الأول في تمثّل تجارب باطنية خاصة، تنشّط الذاكرة، وتجعلها تميل إلى استحضار ما يرتبط بتلك الروائح من آثار. ويمكن أن نرى فاعلية هذه الفكرة بوضوح في القصيدة الأولى من الديوان، حيث يؤكد في أكثر من موضع منها فاعلية الرائحة في اتخاذ موقف ما؛ إيجاباً أو سلباً، تبعاً لنوع الرائحة أو طبيعتها، حلوة أو نتنة، على ما تصف القصيدة. يقول (مملكة الأشياء ص 10 – 11):

ثم خطر لي،

أن أفتح دكاناً على رأس حارة بباب البحر،

وأبيع للعيال ملبناً .. وسكراً

في آخر كل يوم، سيكون عندي كبشة من العملات الصدئة،

أختلي بها

وأشم فيها رائحة أطفال ذاهبين

إلى المدارس

وحتى نعرف الموقف الوجودي الذي يدل عليه هذا المقطع علينا أن نستحضر البداية حيث يقول (ص 9):

لماذا كلما هطل في ديسمبر مطرٌ،

نبت هاجس في حديقتى.

هنا، خلف الزجاج الذي يفصلني

عن بدايات الشتاء،

راودني خاطر أن أعمل خبازاً،

نعم خباز ....

والقصيدة كلها تقوم على هذا التخييل العجيب؛ أي محاولة استحضار صورة الذات فيما لو عملت في مهنة ما. وكلها مهن تتعلق بالروائح؛ إلا فى مهنة الراقص الجوال، وهى تتعلق باللمس [إلا إذا وضعنا في الاعتبار روائح البرفان الذي يضعه الراقصون وكذا روائح العرق الناتجة عن الجهد العضلي المبذول]. وكلتاهما: الرائحة واللمس، حاستان ـ إذا جاز القول ـ تعتمدان على التعرف على حقيقة الأشياء من خلال محاولة اختراق الحاجز المادي الخارجي إلى الداخل الخفي.

وربما لحظنا فى المقطع الذي أوردته أولاً أن المهنة التي رأت الذات أن تعمل بها أو فيها هي مهنة البائع بصورته القديمة؛ البائع الذي يبيع ملبناً وسكراً للأولاد الصغار. وكل من الملبن والسكر كما نعرف من خبرات الطفولة، مواد تعطينا الإحساس باللذة والنشوة من خلال حاسة ثالثة -- غامضة أيضاً– هي التذوق. أما البائع نفسه فيريد من وراء ذلك استحضار رائحة الأولاد الصغار وهم فى رحلتهم اليومية إلى المدرسة؛ ربما رغبة من الذات في الاحتفاظ بتلك الرائحة أو استحضار طفولتها الخاصة.

والأمر لا يتعلق بمجرد حواس لا نعرف طريقة عملها على وجه الدقة ــ حتى لو قدم لنا العلم تفسيرات متنوعة محترمة في هذا الشأن ــ وإنما الأمر كله يعود فيما أرى إلى تغيّر أساسي في الموقف الوجودي للذات الشاعرة من العالم. وحتى نفهم هذا التغير وطبيعته علينا أن نعود إلى التجارب السابقة للصديق عاطف. لقد كان في دواوينه التي صدرت قبل هذا الديوان، وحتى ديوانه الأخير "ما تنتظره لن يمر من هنا" مولعاً بحاسة أخرى، هي البصر، ويبني عليها استراتيجيته في بناء قصيدته الشعرية. وهو ما أسميته في مناسبة سابقة "النظر إلى الحياة بعين الكاميرا"، حيث كان يبني قصيدته في صورة سيناريو معد سلفاً، يتحكم في المشهد الذي ينظر إليه، وينتقي تفاصيله التي تضخمها عين الكاميرا، خاصة ما يتعلق بالزمن. ووراء الكاميرا ذلك المخرج الذي يدير كل شيئ. وأحياناً ينقل مكانه ليكون أمام الكاميرا بطلاً فاعلاً من أبطال المشهد الذي تصوره. وهذه الطريقة ظهرت في أعمال عاطف الأولى بداية من ديوانه الأول: "ذاكرة الظل"، وظلت تتنامى وتتبلور حتى وصلت إلى الهيئة التي وصفتها، بما جعل تجربته الشعرية كلها ـ فيما أرى ـ مبنية على الصورة البصرية. وهي الصورة التي أعرف أن الصديق عاطف سعى جاهداً إلى تثبيتها ظناً منه أنها الطريقة المثلى للتعرف على العالم.

فهل يعني الانتقال من حاسة البصر ـ وهي حاسة مادية، فيها من الصدق بقدر ما فيها من الخداع؛ حيث لا تظهر الأشياء على حقيقتها دائماً ـ هل يعني الانتقال إلى حاسة الشم التى تصدرت عنوان هذا الديوان وصبغت قصائده في مواضع لاقتة أن ثمة تغييراً في الموقف الوجودى للذات الشاعرة؟ وبعبارة أخرى، هل أرادت هذه الذات النظر إلى العالم من خلال ما كان يسمى في تراثنا الأدبي واللغوي (التقرّى)؛ أي التعرّف على حقيقة الأشياء من خلال لمسها بالأصابع وشم روائحها المميزة، وربما معها التذوّق باللسان؟

إن هذا التقرّى له دلالة واضحة قديمة تتصل بالاعتقاد أن الطبيعية تكمن في التخلص من زيف المدنية والعيش في ظل الهواء الطلق؛ أياً يكن هذا الهواء الطلق؛ صحراء أو غابة أو جبالاً. وهو ما يؤدي وفق هذا التصور إلى نوع من الاندماج بالطبيعة، أو بحسب الرمزية الصوفية: الاندماج في الذات الأولى أو العلة الأولى. وبالتالى التعرف على الذات الخاصة من خلالها لا من خلال ما تنقله إلينا حاسة البصر. العجيب أننا كلما تقدمنا في قراءة قصائد الديوان صادفنا هذا الإلحاح على الشم بتوابعه من لمس وإحساس وتذوق. نصادفه مباشرة فى القصيدة الثانية من الديوان "رق الحبيب" (ص 19 - 20) حيث يقول:

سألت عن بنت قابلتها صدفة في الزحام

كان الممر بين بنايتين،

وكنا عائدين توا من الهتاف

منهكين

و روائحنا واضحة

ثم يعود فيقول في القصيدة نفسها (ص 28):

كانوا بيضاً،

وممشوقين كعيدان،

لكنني،

شممت فيهم ريحاً غامضة تذكر بشكل

الشمس في طفولتنا

حين كنا نزور الجبانات

ونصادف هذا مرة أخرى في القصيدة الثالثة من الديوان "ريم" حيث يقول (ص 24 – 35):

أما الوضوحُ

فهو الوضوح،

لا أكثر ولا أقل:

خصم يعيش في سترتي

أو شبيه

لا يحمل رائحة جلدي

ثم يقول فى القصيدة الرابعة (حاملة الجرار أو سالي زهران، ص 43)، وإن يكن في هذه المرة يشير إلى اللمس دون تحديد:

أعود المقهى،

أختار مقعدها الذي بقي شارداً

في الركن القصىّ

فأحسّها؛

أحسّ كما لو أن لحماً ساخناً

يرتعش تحتي

ويعود فيشير إلى اللمس والتذوّق معاً في قصيدته البديعة عن (حلمي سالم، ص 45):

كأنك لست من المصدورين الذين التمسوا

أنفاسهم

في رئات الناس

وهي الإشارة التي تتكرر مرة أخرى في قصيدته الخماسين (ص 63) حيث يرسم الأثر الباقي للتلامس بين جسدين ماديين:

والمدرعة تترك خلفها خطين سيبقيان كبصمة

على ظهر المدينة

كل هذا ما يعني أن حواس التعرف على ميتافيزيقا الفعل المادي هي السائدة في صناعة تجربة هذا الديوان؛ وإن تكن حاسة البصر موجودة وفاعلة أيضاً بوصفها سمة شخصية من سمات التشكيل الأسلوبي في شعر عاطف؛ وإن تكن بدرجة أقل في هذه المرة. والطريف أننا نجد المسلكين: المادي والروحي، في التعرف على الأشياء متحدين معاً ومتفاعلين في تشكيل إحدى المقاطع اللاقتة من قصيدته "دفاتر البهجة، ص 69" حيث يقول:

لكن الريفية الصغيرة تذكرت أباها الكاهن

فجأةً،

فارتعشت لها شفةٌ،

وبردت كفها في كف الصبيّ

تذكّرت أباها،

فتراءت لها سبابته القصيرة وهو يحذّرها

من الغرباء

فهذه الفتاة الصغيرة ـ كما يقول المقطع ـ تتردد بين فعلين متناقضين في لحظة واحدة: الارتعاش وبرودة الكف، المبنيين على اللمس والشم معاً من ناحية، والرؤية البصرية المجسّدة لسبابة الأب في الناحية الأخرى. وبينهما هذا الضابط المعياري الملازم لكل تشكيلات عاطف الفنية (الذاكرة). الأمر الذي يجعلنا نلتفت إلى فاعلية التعرّف ذاته، داخلياً وخارجياً، معنوياً ومادياً، بالبصر أو باللمس والشم معاً، ففي كل هذه الحالات يعود الأمر إلى الذاكرة التي تتأمل وتختار، وتبعث ما تشاء من المشاهد، وتمحو ما تشاء أيضاً.

وهذا بدوره يلفتنا إلى إحدى خصائص التشكيل الفني المائز (أسلوبياً) في شعر عاطف، أعنى بناء التجربة على تصوّر وجودي سابق، منفصل عن موضوع التجربة ذاته، أو مقولاته وإشاراته الدلالية. وإن يكن التعرّف على الموضوع ذاته ملازم للتعرّف على طبيعة التصوّر الوجودي الذي أنتجها. وفي الآن ذاته علينا أن نلحظ أن هذه التجربة الوجودية تنقسم إلى طرفين: طرف يتعلّق بتصوّر الشعر نفسه وآليات عمله وطبيعة تشكيله، وطرف يتعلق بالترجمة النوعية أو التشكيل النوعي لهذه القصيدة أو تلك.

والطرف الأول يتجلى في تلك الخصائص المائزة المتكررة والمتراكمة فى كل التشكيلات الفنية لتجارب عاطف من ديوانه الأول إلى هذا الديوان. أما الطرف الثاني فيتجلى فى تلك التويعات الدلالية التي تنتجها هذه القصائد. وهي ما أسميته في مناسبات عدة: الرسائل التي تبثها هذه القصائد. وهي الرسائل التي يمكن القول إنها التجلي المادي لطبيعة المواقف الوجودية التي تتخذها الذات الشاعرة من (الحدث الواقعي، اليومي والمعاش) حتى وإن تبدى في صورة واقعة تاريخية، على ما ظهر في بعض قصائده من دواوينه السابقة؛ خاصة ديوانه مخيال الأمكنة.

وهو الذي تجلت فيه مفاهيم المجد بعدّها إعادة قراءة لواقع الذات الشاعرة، ولواقع الذات الجمعية معاً، مهّدت فيما بعد لتحول هذا المجد في صورة النبل؛ سيما في ديوانيه: الفجوة في شكلها الأخير، ومن بعده سيرة الحب. وهي القضايا التي جعلت ديوانه "ما تنتظره لن يمر من هنا" أشبه بحالة من الحنين الرومانسي، تؤكد ما عبّر عنه "سيرة الحب" قبله من الميل إلى الإغراق في هذه الحالة الحنينية الباهظة.

وربما لمحنا أثراً من هذه الحالة في هذا الديوان أيضاً، خاصة في قصيدته الخماسين التي مر ذكرها قبل قليل، ففيها تصنع الذات الشاعرة فضاء تشكيلياً للتجربة مبنياً على صورة المغترب الذي يتذكر بلاده فجأة حيث يقول (ص 61):

تذكرت بلادي فجأة

حين هوى نورس باتجاه الماء وارتفع

تذكرت بلادي

في البدء ..

لم أفهم المعنى الذي يبذله مشهد كهذا

لواحد مثلي،

ولست في الأخير سوى الرجل الغريب

في البلد الغريب

وليس من همي أن أقف عند كل قصيدة أو أشرح كل مقطع أورده، لكني فحسب أود أن نلتفت إلى صلة هذا التشكيل الفني (صورة الغريب المتذكر ــ والذاكرة دائماً حاضرة في شعر عاطف) بالتصور الوجودي الذي يقف وراء هذا التشكيل. فهو تصور ـ كما نرى ـ يعتمد دوماً على صورة الذات المنفردة؛ أياً يكن موقعها وأياً كان موضوع التجربة؛ عاشقاً أو رجلاً عادياً، الذات التي تتأمل في دلالة المشاهد التي تنقلها إليها حاسة البصر، أو تنقلها حواسها الأخرى من لمس وشم وذوق.

فهذا في ذاته دال على موقف عام، ربما تشترك فيه الذات الشاعرة مع غيرها من شعراء هذا الجيل، وربما دل على توجه عام إلى تأمل التفاصيل على ما هو معروف من مبادئ هذه القصيدة.

لكنه أيضاً دال على سمة أخرى من سمات عاطف في تشكيل تجربته الشعرية، لم ألتفت إليها من قبل، وبالتالي لم أشر إليها في المناسبات السابقة. أعني تحديداً أن قصائد عاطف دائماً تتحدث عن ذلك الصديق الذي ابتعد لسبب ما، أو تلك الصديقة التي فارقته وتركت أثراً مؤلماً. وربما نتذكر معاً ـ لمن يعرف تجربة عاطف ـ قصيدته غيمة في هليوبوليس. وهي القصيدة التي تتحدث عن تلك الصديقة الأسبانية التي غادرت إلى بلادها، تاركة آثاراً من أحمر شفاهها وملابسها شاهداً على لحظات حميمة.

وربما نتذكر أيضاً قصيدته أوراق بيروت التي تتحدث عن رانيا جوزيف حلاق. وفي هذا الديوان نراه يتحدث عن حلمي سالم، كما يتحدث عن الفتاة الصغيرة التى مر ذكرها في دفاتر البهجة، كما يتحدث عن علي وهيب شرقاوي في ناي من الفولاذ، كما يتحدث عن سالي زهران وريم في قصيدتين أخريين. وهذا يقيناً من لوازم عاطف التي لا يشاركه فيها أحد من أبناء جيله. والمعنى من ذلك أن عاطف يجعل من هؤلاء الأصدقاء مبعثاً لصناعة تجارب قصائده المختلفة. ولسنا هنا بصدد التحدث الصدق بمفهومه الكلاسيكي أو الرومانسي في التحدث عن الراحلين. ولسنا كذلك بصدد الحديث عن نوع من الرثاء الحديث، وإنما المراد الوقوف على هذه الطبيعة الخاصة في شعر عاطف من خلال بناء القصيدة على ذكريات شخصية وخاصة.

وربما وجدنا أنفسنا ـ نحن القراء ـ طرفاً في بعضها. وهى الذكريات التى يعيد من خلالها عاطف تشكيل المشهد في لحظته التاريخية (ماضياً أو حاضراً) اعتماداً على فاعلية (الذاكرة/ العقل البصري) الذي ينتقي من هذه المشاهد ما يجعلها ذات علاقة خاصة في ضوء سيناريو محبوك؛ ينطقها من الدلائل ما لا تنطقه بغير هذا الترتيب. والهدف من هذا كله ــ على ما أشرت في أول هذه الكلمة ــ التعرف على حقيقة العالم من خلال الحواس.

وربما جعلنا هذا نلتفت إلى سمة أخرى في شعر عاطف وأيضاً لم ألتفت إليها جيداً في المناسبات السابقة وإن أشرت إليها، وذلك أن قصائده المرتبطة صراحة بشخصيات أولئك الأصدقاء تعتمد اعتماداً واضحاً على تشكيل بصري مباشر، بمعنى أن سمة التعبير اللغوية في تلك القصائد هي من النوع (التصويري) [الذي هو ضد التجريد] في حين أن قصائده الأخرى التي تنفرد فيها الذات الشاعرة بنفسها دون وجود صديق معين على التأمل في اللحظة الآنية، تعتمد على (تجريد) العبارة، بما يجعلها في بعض الأحيان غير مفهومة لغياب أو خفاء المرجع المفسّر، أو يجعلها تحتاج إلى تأويل لا يخلو من الاعتساف.

ومع هذه السمة التعبيرية تظهر سماته الأخرى (اللغوية) أيضاً، أعني إعادة صياغة (المسكوكات اللغوية) المألوفة في خطابنا لا الأدبي؛ خاصة التراثي، وإعطاءها تفسيرات جديدة، إلى جانب سمته التي باتت واضحة في دواوينه الأخيرة، أعني الاتكاء على تكرار العبارة اللغوية في نوع من الترجيع النغمي والدلالي. وهذا يقتضي منا الوقوف على بعض النماذج لاختبار فاعلية هذا التصور الذي قدمته. في قصيدته مدارج الغزلان يقول (ص 98):

ثم رأيتني

آخذ برعمك النابض على طرف لساني

وأنا أنصت للنحيب العميق

النحيب الذي بدا قادماً من بعيد كأنه

لخاطئةٍ

تنتفض خلف ستارة اعتراف

ثم يقول في القصيدة نفسها (ص 99):

فأنا

محض حطاب يقف على باب غابةٍ

مرّت بنيران

أو

مرّت بها نيران

أم النحيبُ،

فأمر لا أظنه سوف يخصّ أحداً

هنا

النحيبُ

له ناسٌ من طينةٍ أخرى.

ومن اليسير في هذين المقطعين أن نلحظ تكرار لفظة النحيب، كما تتكرر عبارته "مرت بنيران أو مرت بها نيران". وهذا التكرار ـ كما ذكرت ـ ربما دل على لون من الترجيع النغمي المقصود، يعمل بدوره على ترجيع الدلالة، كأنما الذات الشاعرة تتأمل في طبيعة تلك الألفاظ أو العبارات المتكررة المرجّعة، أو كأنها تتذوقها بلسانها لتعرف ما تحمله من معان أخرى، أو من معان ثوان بتعبير الجرجاني في دلائله.

وهذا أكيد إذا ما لحظنا أن لفظ النحيب له دلالة وجودية خاصة، تقترن بصورة العاشق المعزول، وهي صورة خاصة يمكن أن نلمح آثارها في أكثر من موضع من قصائد عاطف، بما يدل على أنها صورة مركزية في تجربته الجمالية، لاتخص موضوعاً بعينه. وهي صورة بدورها تقترن بصورة المخيلة التي جعلها عاطف "غابة محروقة". ولأمر ما ـ كما يمكن أن نلحظ ـ دائما ما تظهر الذات الشاعرة في مواقفها الحميمية أمام حديقة ما، أو أمام نافذة أو فضاء مفتوح على ما يظهر في هذه القصيدة، وعلى ما ظهر في دواوينه الأخرى التي وقفت عليها في مناسبات أخرى.

وقد يكون من الطريف أن نلحظ في هذه الصورة أنها ترتبط مباشرة بفكرة العبور من الخارج إلى الداخل، أو من الجسد إلى الروح، على ما يشير إليه مقطع آخر في هذه القصيدة نفسها، حيث يقول (ص 95):

في ذلك اليوم البعيد،

حاولت المشي على الخط الواصل بين

الطينة والرخام

بحثاً عن حقيقتك

حاولت..

فوجدتنى أمر بغابتي المحروقة نفسها،

وأتعثّر بقلبي

ثم سرعان

ما انقلبت على عقبيّ

وعبارته "الخط الواصل بين الطينة والرخام بحثاً عن حقيقتك" واضحة في إشارتها إلى هذا المنزع الوجودي الذي لحظناه منذ البداية في التحول من التعرف البصري المادي إلى التعرف غير البصري أو التقرّى لمساً وشماً/ الميتافيزيقي الروحي. والعبارة أيضاً تقترن بوضوح بسمة لغوية أخرى ذات وجودية أيضاً في عملية الانتقال من الخارج إلى الداخل، وبالأحرى في عملية وقوف الذات الشاعرة على "الأعراف" أو ما سمته: الخط الواصل بين الداخل والخارج.

أعني بذلك تلك العبارات ذات الامتداد التراثي الواضح. وهو امتداد قد يراه البعض داخلاً في باب التناص، كما في قوله الذى مر من المقطع السابق: "ثم سرعان ما انقلبت على عقبيّ" فالانقلاب على العقب هو من العبارات المسكوكة ذات الدلالة المحفوظة بتأثير التراكم اللغوي في معناها ومعجمها. وإشارتها يسيرة في هذا الشأن، فهي تعني "العودة على بدء"، وقد تعني النكوث والخيبة، أو غير ذلك من المعاني المتقاربة المعروفة.

على أننا يجب أن نتجاوز هذا أو هذه المعاني المباشرة لنرى ما تصطنعه من تحولات معاصرة في جسد عبارتها اللغوية الخاصة. وهذا التحول يستدعي إلى الذهن مباشرة عملية اختراق الماضي، كما يعني (جرح) هذا الماضي نفسه، بما يدل على نوع من مناوئة ذلك الماضي؛ وإن في صورته اللغوية. لكنها أيضاً ـ أي العبارة ـ تعني الوثوق بذلك الماضي والاتكاء على أرضيته الصلبة في عملية التعبير. وهو ما تؤكده عبارة أخرى من النوع نفسه في أول القصيدة ذاتها في وصف حبيبته (ص 93): "رخامة بيضاء لا شية فيها". ومثلها قوله من قصيدته ريم (ص 35): "والوضوح قوسان تباعدت بهما المسالك"، وكذا قوله في ختام قصيدته رق الحبيب (ص 32): "ما حيلتى إذا رق الحبيب وواعدني؟!".

على أننا في هذا الشأن يجب أن ننتبه إلى لون مناوئ من الجمل، تمثل الرؤية البصرية الخاصة التي يبني على أعاطف قصائده، أو يمكن أن نقول بتعبير جولدمان، تمثل رؤيا لعالم، أو بحسب الرؤى الأكثر معاصرة، تمثل الجملة الثقافية في شعر عاطف. الجمل أو العبارات التي تنبئ عن لون خاص من رؤيا الذي تنقله عين الكاميرا التي أشرت إليها. ومنها قوله في ناي من فولاذ (ص 106 - 107):

رأينا المرأة العائدة من الموت تشدّقُ

بعلكتها،

وهي تصيد الزبائن من بركة الليل

وما أعنيه يظهر في عبارته: "وهي تصيد الزبائن من بركة الليل". وهي حقيقتها عنصران منفصلان؛ لكنهما مرتبطان بحكم اشتراكهما في تكوين هذه الصور الخاصة لأم البطلة في مشهد فاتن حمامة المذكور في القصيدة. وما أعنيه تحديد يظهر في فكرة (صيد الزبائن) بوصفها نمطاً ثقافياً ملازماً إنساني بعينه من أنماط البشر المعاصرين. وهو نمط الغواني أو بائعات الهوى. ومثل هذا النمط الثقافي أو هذه الفكرة الثقافية تقترن دوماً في شعر عاطف المشاهد العاطفية العامة، ضمن وصف الفضاء الثري لأضواء المدينة، من شوارع وملاهي وحدائق ليلية. الأمر الذي يجعلها علامة دالة في موضعها على مناوئة نمط ثقافي (حياتي معاصر) لنمط (تراثي أخلاقي) تعبر عنه الجمل التراثية التي أشرت إليها. وهو النمط الذي تتأكد دلالته إذا ما رحنا نستكمل قراءة المقطع ذاته من القصيدة، حيث يقول (ص 107):

لم نكن فاهمين تماماً،

لكننا بكينا معه أمام الشاشة التي غط

الدكنة الشاملة

إلا من شلال ضوء يعلو ويهبط من بعيد

الشلال الذي عرفنا فيه ــ بعد ذلك ــ

نافورة الميدان

وما أعنيه في (شلال الضوء) بوصفها عبارة دالة على الزمن المعاصر، وتحيل مباشرة إلى صورة الميدان. وهي أيضاً متكررة في شعر عاطف. وهي تتأكد مرة أخرى إذا ما رحنا نقرنها بعبارة ثانية، وردت ضمن قصيدته مدارج الغزلان حيث يقول (ص 97):

ولماذا ــ وأنا فى المصعد ــ لم أقو على

إيقاف ماكينة الخيال التي اشتغلت

من تلقاء نفسها،

فرأيتني،

أسبح فوق عمودك الفقري

مرتكزاً بحقويّ

على فلقتيك الناصعتين

والعبارة المقصودة تتحدد في (ماكينة الخيال) لا بوصفها مجرد استعارة تحول الخيال إلى ماكينة، وإنما بوصفها تصوراً وجودياً لفكرة الخيال نفسه. ولو لحظنا فهذه الفكرة الجديدة عن الخيال تخالف تصورها في التراث النقدي والأدبي بوصفه (إلهاماً) أو حاسة غامضة ينفرد بها الشعراء وربما بعض الأدباء. وتتأكد ثقافية هذه الفكرة في دلالتها على الزمن المعاصر باقترانها بكلمة [اشتغلت (بالغين المعجمة)] التي تردنا مباشرة إلى تصورات الماركسيين عن البنية الفوقية للثقافة بوصفها عنصراً مادياً منتجاً، خلافا لما يمكن أن يوقعنا فيه التوقع والتصحيف إذا ما قرأنا الكلمة (بالعين)، فأصبحت (اشتعلت).

والاشتعال مفهوم ملازم لتصور الخيال القديم. وإن كنا نلحظ أن حضور هذا التصور القديم له من القوة ما ينافس به التصور الجديد، الأمر الذي يجعل فكرة المنافسة بين القديم والجديد، أو النمط القديم والنمط الجديد للثقافة حاضراً بقوة في هذا الشعر. وهو ما يؤكد مرة أخرى وقوف الذات الشاعرة على الأعراف أو الحد الفاصل بين المادي والروحي فى تعرّفها على العالم وفي تصوره الوجودي العام.

كما يتأكد هذا الفهم بالنظر إلى العبارة التي يختتم بها المقطع نفسه: "أسبح فوق عمودك الفقري مرتكزاً بحقويّ على فلقتيك الناصعتين"، فهذه العبارة على ما فيها من سفور مباشر في استحضار فعل الحب في لحظته الحميمة، فإنها تعبر عن هذا النمط الثقافي الجديد من حيث هو يركز في تعامله مع فعل الحب على عملية الاعتلاء، لا (دخول اللحم فى اللحم) بالتعبير القديم، وما يستتبع هذا الاعتلاء من سباحة أو تهويم؛ وإن يكن متصلاً أشد الاتصال بأرضيته المادية الصلبة في (الفلقتين الناصعتين).

وهو بدوره تعبير يعتمد على تحوير الكلمة العامية الشعبية الدارجة إلى لفظ فصيح. والطريف أن هذه الجملة الثقافية المعاصرة لا تخلص لمعاصرتها أو لا تخلص لنفسها، فهي تجد من النمط القديم منافسة وحضوراً مباشراً في لفظة (حقويّ) التي هي لفظة فصيحة موغلة في التراثية والمعجمية. ولا تفسير لحضورها في هذا الموضع [وكان بمقدور العبارة الاستغناء عنها دون أن تفقد إشارتها الدالة] أقول لا تفسير إلا حضور هذه المنافسة الدائمة بين القديم والجديد، كموقف وجودي وجدت الذات الشاعرة نفسها متورطة فيه، وربما راغبة في تأكيد حضوره للمحافظة على نوع من الاتصال بقاعدة الماضي الصلبة.

وأمر الذاكرة في هذا الشأن بحضورها وصفاً ولفظاً بمشتقاتها الكثيرة في هذا الديوان وفدما سبقه من دواوين عاطف مشهور على ما وصفت في مناسبات سابقة. وربما احتاج الأمر منا إلى دراسة مفصلة تعزل هذه (الجمل الثقافية) القديمة والجديدة لنرى أرها في بناء تجربة عاطف الشعرية والجمالية. لكنني على أية حال أحسب ما قدمت في هذا الشأن من إشارات كافياً للدلالة على ما تضمنه هذا الديوان من تجارب؛ فيها من الجميل المعجب، بقدر ما فيها من الدهشة المعتادة في شعر عاطف. وربما احتاج الأمر أخيراً إلى معاودة القراءة لنستمتع فحسب بهذه التجارب، دون تأويل، ودون تفسيرات تشتط أحياناً وتقترب أحياناً من روح الديوان وروائحه.

إشارات:

ـ صدر للشاعر من قبل ثمانية دواوين، هي على الترتيب:

ذاكرة الظل 1993، حيطان بيضاء 1996، كائنات تتهيأ للنوم 2001، مخيال الأمكنة 2005، سياسة النسيان 2007، الفجوة في شكلها الأخير 2008، سيرة الحب 2009، وما تنتظره لن يمر من هنا 2011.

وقد حصل ديواناه: حيطان بيضاء و كائنات تتهيّأ للنوم على عدة جوائز، كما نشرت قصائده في كافة الدوريات المصرية والعربية، وترجم بعضها إلى الإنجليزية والفرنسية، وتناول أعماله عدد من الدراسات النقدية والأكاديمية. وقد تابعت هذه المسيرة الطويلة في تجربة عاطف بدراسات ومناقشات عدة، ومن هذه الدراسات:

الفهم والاتصال ـ قراءة في كائنات تتهيّأ للنوم، وما تعنيه الفجوة في شكلها، وتاريخ المحبة في مشاهد سينمائية. بالإضافة إلى دراسات أخرى ومداخلات عدة سقطت من الذاكرة، لكنها جميعاً نشرت ضمن أعداد مجلتي الثقافة الجديدة والشعر، إضافة إلى مجلتي إيقاعات ومقدمة على سنوات طويلة من المتابعة. بالإضافة إلى تناولي شعره ضمن كتابي تحولات القصيدة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو في الأصل دراسة أكاديمية. أما ديوانه موضوع هذه الدراسة: ترجمان الروائح، فقد صدر عن: الهيئه المصريه العامه للكتاب

الحب والشعر مع السندباد الكردي بدل رفو

عصمت شاهين دوسكي

في كل رحلاته المكوكية في دول العالم، وبثقافته المميزة وأسلوبه الراقي وإبداعه في البحث والاستقصاء وإيجاد الجواهر الفكرية والدرر الشعبية واللآلئ التاريخية العميقة لكل بلد يحتاج إلى جهد وسفر وتمعن، حاملاً معه هموم الوطن وجراحاته وغربته التي لا توصف معاناتها، الأديب الرحال المغترب بدل رفو المقيم في النمسا، ليس غريباً عن وطنه ولكن الوطن غريباً عنه، منذ أربعون عاماً، وهو يعطي للوطن من فكره وأدبه وترجماته وعصارة رحلاته، لكن ماذا أعطاه الوطن؟

في كل زيارة للوطن كوردستان يحمل معه طاقة فكرية إيجابية يحاول من خلالها أن يوهب ما عنده من تجليات حديثة وأفكار راقية تكون مناراً وسبيلاً للتجديد والتطور والتغيير والإبداع، من هنا كانت همته كبيرة في الطرح التجديدي العصري الذي ينقله من عوالم رحلاته وأدبياته، وجوده في الوطن حركة، نشاط ثقافي، إبداع، وهذا ما يتجلى في قبوله للدعوات والأمسيات الثقافية مهما كانت بعيدة عن مكانه في دهوك.

فضمن نشاطات منتدى العزيمة الثقافي في مدينة عقره أقيمت يوم 2018/2/18 م أمسية ثقافية للأديب والشاعر والمترجم والرحال الكوردي بدل رفو، ونبذة عن مدينة عقره حسب موقع كوردستان "عقره هي بلدة تاريخية تعود إلى سنة 580 ق.م. شيّدها أمير كوردي، يُدعى الأمير زند، على سفوح جبال عدة منها سبيلك، كه لا كه ڤن، كل عقره و كرى توبا. تقع عقره بين عاصمة الإقليم (أربيل) ومدينة دهوك وعلى بعد 152 كم شرقاً. تحتوي البلدة على العديد من المواقع التاريخية، المعابد، الكهوف والينابيع المعدنية. يتوجه الكثير من السياح سنوياً نحو هذه البلدة ومحيطها. ومن المواقع الأثرية التي لا تزال بقاياها شاخصة وشاهدة عليها، نذكر كلا كفن، كلا عقره، كلا شوش، المعبد الزردشتي، تمثال بوكا جوا، رزى ميرى وغيرها".

أقيمت الأمسية تحت عنوان الحب والشعر في رحلات بدل رفو، بحضور كبير للسياسيين والمثقفين والفنانين والإعلاميين وعشاق أدب الرحلات في قاعة الشهيد شاكر فتاح الواقعة على قمة التل، قدم نبذة عن المحاضر الشاعر شهاب عقراوي، سلط المحاضر ضوءً جميلاً على تجليات وتطور أدب الرحلات وشواهد من تجربته الغنية المليئة برحلات ومعاناة مختلفة، وكما عانى بن بطوطة "1304 م - 1369" الذي قال: "رحلت وحيداً. لم أجد أحداً يؤنس وحدتي بلقتات ودية، ولا مجموعة مسافرين أنضم لهم. مدفوعا بحكمٍ ذاتي من داخلي، ورغبة عارمة طال انتظارها لزيارة تلك المقدسات المجيدة قررت الابتعاد عن كل أصدقائي، ونزع نفسي بعيداً عن بلادي. وبما أن والديَّ كانا على قيد الحياة، كان الابتعاد عنهما حملاً ثقيلاً علي. عانينا جميعاً من الحزن الشديد".

أقيمت الأمسية تحت عنوان الحب والشعر في رحلات بدل رفو، بحضور كبير للسياسيين والمثقفين والفنانين والإعلاميين وعشاق أدب الرحلات في قاعة الشهيد شاكر فتاح الواقعة على قمة التل، قدم نبذة عن المحاضر الشاعر شهاب عقراوي، سلط المحاضر ضوءً جميلاً على تجليات وتطور أدب الرحلات وشواهد من تجربته الغنية المليئة برحلات ومعاناة مختلفة، وكما عانى بن بطوطة "1304 م - 1369" الذي قال: "رحلت وحيداً. لم أجد أحداً يؤنس وحدتي بلقتات ودية، ولا مجموعة مسافرين أنضم لهم. مدفوعا بحكمٍ ذاتي من داخلي، ورغبة عارمة طال انتظارها لزيارة تلك المقدسات المجيدة قررت الابتعاد عن كل أصدقائي، ونزع نفسي بعيداً عن بلادي. وبما أن والديَّ كانا على قيد الحياة، كان الابتعاد عنهما حملاً ثقيلاً علي. عانينا جميعاً من الحزن الشديد".

في صورة متناغمة حمل الرحال بدل رفو هموم شعبه ووطنه الذي تحدث عنها بإسهاب خلال نقل عادات وتقاليد الشعوب والأقوام، وأهمية المدينة القديمة في تاريخ الأوطان، وتعرج إلى الحوادث التي وقعت خلال رحلاته والبحث عن ذكريات الطفولة، واستشهد المحاضر بحوادث من الهند والمكسيك وكازاغستان وفينيسيا والمغرب وغيرها، استمتع الحضور بأسلوب المحاضر في الطرح والسرد وحضور الوطن كوردستان بقوة في محاضرته، وقال:

"بأن هوية الأمم تستند على المثقفين والمفكرين والأدباء والفنانين ومن يهمش هؤلاء فهم يطمرون هوية الوطن". واقتتح باب النقاش وبصدر رحب أجاب المحاضر على أسئلة الحضور، أهدت إليه في النهاية باقة نرجس عقراوي وكانت بالنسبة له تعادل كافة الجوائز والشهادات، وكان هدف المحاضرة أهمية أدب الرحلات في تاريخ الشعوب ومدى ربط كوردستان بالعالم.

وفي يوم 2018/2/19 م، وبعنوان باعذرى تستقبل الأديب بدل رفو بحفاوة وبإشراف مركز لالش الثقافي، وبالتعاون مع إعدادية باعذرى أقيمت أمسية ثقافية لطلبة إعدادية باعذرى المختلطة وبحضور كبير من الطلبة والأساتذة والضيوف، قدم المحاضرة الأستاذ خلات باعذرى، وتطرق الأديب بدل رفو عن أمور الطلبة وأهمية الثقافة في الحياة، وتحدث لهم من قلب وجع الأزمات والمعاناة تخلق الإرادة القوية والإصرار التي تمهد السبيل للتفوق والنجاح والتغير والطموح وتحقيق الأحلام والإبداع.

في كل أمسياته الثقافية يتجدد روح الأمل في تغير الركود، وتجسيد خيوط أشعة الشمس الجديدة على وطن جديد.

ولسان حاله يقول كما قال بن بطوطة: يقول ابن بطوطة في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار متحدثاً عن نفسه:

"بلغت بحمد الله مرادي في الدنيا وهو السيّاحة في الأرض، وبلغت من ذلك ما لم يبلغه غيري فيما أعلمه".

يبقى الأديب الرحال بدل رفو منبعاً ثقافياً مهماً في هذا الزمن الصعب ومصدراً قيماً للثقافة الجديدة وتطور أدب عالم الرحلات في العالم.

جلال زنكابادي

قلـبُـكِ قلبي*

"أزيحي الحجابَ عن قلبك؛يتجلَّ لك قلبي"

جلال الدين مولوي

قلبك المستحيل
أيّ وردة منْ نور
قلبي المجذوب
أيّ فراشة مستحيلة
فكيف
يفرّ قلبي من نفسه؟!
طوبى له
ما أسعده من شقيّ!
لذا
إستحال قلبك كأسي
غبّ الهجر
وذكريات الخلوات
نبيذاً ممزوجاً
بلون عينيك
كلما هممت بارتشاف نخبي
تسامقتْ
في روحي الذرى
تومىء
أن ليس سوى
أفقها الممسوس مستقبلي
فليتوسّد قلبك قلبي
أمّا أنت
ياقلبي فكفّ
عن الحسرة/تلاشَ في السكرة
مادامت النجوم
تتأجج
في روحي مهما
إحلولكت
سمائي...**

*متنهـــا بالكرديـــة1979 وتعريبهـــا فـــي 18آب1987

*جريدة(العراق)28شباط1989

غمكين مراد

ما صارهُ الحبّ

يبدو أنّ الحبَّ
أيَّ حب
سهلٌ اغتيالهُ
يبدو أنَّ الحبَّ
أيَّ حب
يُتاخِم بحدودِه
ظلَّ قاتِله
يبدو أنَّ الحبَّ
أيَّ حب
يولَّدُ لحظةً وينامُ سنواتٍ
"ومن الحبِّ ما قتل"
عبارةٌ بندول الساعةِ
تدورُ على نفسها.
إنْ أحببتَ وطناً
هناك من يُقاسِمُكَ فيه
يقتلُ حبّكَ
إنْ أحببتَ أغنيةً
هناك من يشذُّ موسيقاها
يشنقُ حبَّكَ
إن أحببتَ الإنسانيةَ
هناك دوماً
إنسانٌ قاتلٌ لحبّكَ
إن أحببتَ فتاةً
هناك
حكمٌ برمي رصاصاتٍ
تخترق حبَّكَ باختراقِكِ الناموسِ.
يبدو أنَّ الحبَّ
أيَّ حب
كائنٌ لابدَّ أن
يحبو
حلمٌ لابدَّ أن
يخبو
نفيٌّ لابدَّ أن
يلجأ
ليبقى بعيداً عن الشُبهاتِ.
هناك في الحبِّ
أي حب
جيناتٌ شائبةٌ
هناك في الحبِّ
أيِّ حب
شواهدٌ مُسبقةُ الصُنعِ
لقبرِه
هناك في الحبِّ
أيِّ حب
عتلةُ قُنبلةٍ رخوةٍ.
أحبُّكِ
أحبُّكَ
أحبُّكمْ
كلماتٌ تهوى المقصلةَ.
أكثر مما بدَا
يبدو إنَّ الحبَّ
أيَّ حب
سهو ناوٍ على الانتحار
يبدو أنَّ الحبَّ
أيَّ حب
ظلُّ حقٍّ يقودهُ باطلٌ
يبدو أنَّ الحبَّ
أيَّ حب
أقنومةُ قوادٍ في ثيابِ راهبٍ
يبدو أنَّ الحبَّ
أيَّ حب
عاهرةٌ بسعرٍ مرتفعٍ.
في صعودنا إلى الحياة
نبتكرُ في اليومِ
أُحجيةَ الحبِّ
في دوامنا بحب وله

ننسى الحياةَ ويقودنا الجنونُ
نتذكر
فنُعيدَ الحبَّ إلى
وكرٍ صغيرٍ من فشلنا،
في بقائِنا هابطين إلى
ذواتنا
نُعرِّف الحبَّ
لكن
مُعلقاً إلى مشنقةٍ.
يبدو أننّا
نُغَيِّرُ في الحبِّ
ونتغيرُ
كأقنعةٍ في حفلةٍ تنكرية.
يبدو أكثرَ من كلِّ ما بدَا
أنّ الحبَّ
أيُّ حب
أهواءٌ نخلقُها شظايا
أمامَ مرآةٍ مكسورةٍ.

أنس عبدالله

في هذه البلاد

نندب الأحلام..
بأثر الجراح..
نراقب قوس الزمان..
بين الألوان المتلاطمة..
عند إنتشال بقايا الخيال..
بين حطام المدن..
صوت عالق في فناء الدار..
بين الشوك والشجر..
و كلمات عالقة..
بين السماء و الأرض..
ليس الأمل سوى مخدر..
نحقن به أنفسنا..
لتسكن ألامنا..
لراحة مؤقته..
و نستمر في حياة ندعي..
بأنها جديدة..
لتنهار القناعات القديمة..
وتحل مكانها..
علامات إستفهام و تعجب ؟.. !
لا جواب لها..
و لا رد عليها..
و من زوايا مستحيلة..
نرجع إلى الماضي..
لنحرر الأقلام..
و العقول..
لنطهر الكثير من المنابر..
لننير طريقاً معتماً..
لنقيم الصلاة حباً..
لا خوفاً..
لازالوا يقامرون على الدماء..

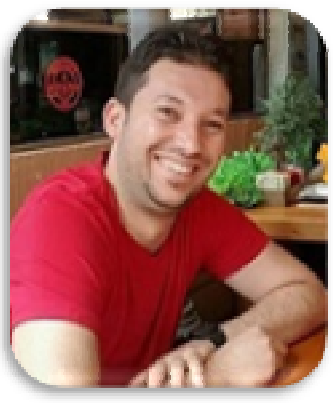

ونحن نغادر المستحيل..
ندخل في غيبوبة..
من ألم الحاضر..
فأول الغيث قطرة..
المعذرة..
فات الأوان..

من صباح إلى صباح
تدور بلادي كقلم رصاص
في مبراة شرهة لا ترحم
شرائح شرائح يخرج منها
لحم آدميّ مع الأرواح
أضلعُ مبانيها تتشابه مع الطحين
أشجار
ذكرياتها عميقة في الزمن
شوارع لم تعد تتعرف على نفسها
أعمدة بيوت تصلّي على الأنقاض
أطفال بملابس ملوّنة بالأحمر
والأعياد خائفة مراجيحها
تراقب حزينة من بعيد.

00

هذا ليس كلّ شيء
تعجز كاميرات متحرّكة
مفتوحة الأعين على اتساعها
وصف القليل ممّا جرى
فكيف لقصيدة بقلب مجروح.

00

هذه ليست صورة كاملة
قطعة صغيرة من تلال أرغفة
لا تكفي جائعاً يتضوّر
قشرة حبة
من بيدر مترامي
لا تكفي عائلة العصافير

لمى اللّحام

مدى اللانهائية

لقاءُ نسمةٍ نحن
ترقص بوجود طيفينا الأروقة
بلا أجراس رعود
آهةُ وترٍ شجِنٍ محفلُنا

و أنا
طفلةُ ملكوت هذا العالم
أصغُر
والكون خاتمٌ طوع إصبعي
دون خطوطِ أفق.

شفتاك شلالات ياقوت
حينما تسرح الهمسات في
نشوة الخيال و طبقة العين
و تتوالى اللوحات..
ما دمت صديقي
جلاء أيام ورديةٍ مرصوفة
لأتطاير عليها، دون أن تتعبني هذه الدنيا
و دون حبكةِ نهاية..
الأيام كلها غاياتٌ و بدايات.

هذا ليس كلّ شيء

ثقب صغير في عتمة الأعمى
لاتدعوه يتخلّى عن العكاز.
هذا ليس كلّ شيء
أدلّاء يفتشون رحم مدينتي المكلوم
يفتشون دمعة الفرات وأصحابها:
قذيفة على قرنة ابن قنبر
قذيفة على السوق المقبي
قذيفة على مئذنة الجامع
قذائف لا تعرف المُزاح
تنهال على الدير وأخواتها
قذائف من غيظها
تطقّ في الفراغ.
يا الله يكفينا كرماً
حصلنا على أكثر من حصتنا بكثير
من نعمة القذائف.

00

هذا ليس كلّ شيء
مازالت تُمطر أملاً خفيفاً لا يُرى
حتى يزهر خشب التوابيت
ويخلع تراب متسخ بالدخان
سرواله الوحيد ويغتسل
تمطر عينا الرجل الشمسيتان

فواز قادري

أقواس قزح القدر
هذا ليس كلّ شيء
ناقصة حكاية الراوي العتيق
طلّاب حريّة مجتهدون
يكتبون لأطفال البلاد الخاتمة

ضَفَائر مَقصُوصَة

1

دَقّ المَحمُول
أضاءت الشاشة
كَأنه البرق
الرسالة كَأنَها كَوكَبٌ دُرّي
سكَبتَ الكَلِمَات الأنيقَة في الكَأسِ
والمُبررات السافِلة
حَزَمتَهَا بشريط مِن الساتَان
تحدثتَ عن مَا كَان ومَا يَجِب أن يَكون
رَبَتّ على يَديَّ
يَدُك مَا زَالت حَارَةَ
انصرفَنا ونَسينَا أحبُكَ
جُثَةً مَذبوحَةً تَحت الطَاولة

2

الحَمْلُ مِنكَ
هو محاولَة لتَحبِسك في رَحِمَهَا
لكن هي البَحرُ
وأنتَ الحُوت
والشاطِئ يَلفُظَكَ مِرَاراً

3

للفَتَاة ذات الصوت الرَخِيم
التي تُحادِثني طَويلاً
عُوَاوُكَ يُومض
عبر أسلاك الهَاتِف
كَخُطوط البرق المُتَكَسرة
في ليلةٍ شتويةٍ

4

للسيدة التي تُبَدِل جِلدَهَا كُل صبَاح
وتَسكُب في أكوابِها الكُلفَة
حِكَايَاتِك مِن جَليد
لايَذوب
في كَأس المَحَبَة
وأسنَاني لم تَعُد تَحتَمِل
كُل تِلكَ البرودَة!

5

الفَتَاة ذات الضفيرَتَين
التي تَبدَأ كلامها بـ "لا"،
تَعرِف الآن أن "لا" لهَا
حَلاوُة قَضمَة التُفَاح،
ووَجَع الأسنَان المَغرُوسة
في اللحم..
أضعُ شعراً مُستَعَاراً
تَنسدِل الخُلاصات الشقراء عَلى وَجهي
لكن للألم في المَنَابِت

أماني خليل

وجَعٌ لا يُحتَمَل
أمي اترُكِيني
حِلّي شعرِي للهَواء
أغلَقتُ الباب..
قَصصت الضفِيرَتَين

6

كُل شتَاء يَصنَع المطر
تلكَ البُحَيرَات بِجَانِب الرَصيف
على صفحَتَها يَرتَسم وَجَه أبي
كُلمَا هَمَمتُ بِطَبع قُبلَة
مَرّ أحَدَهُم بحِذاءٍ ثَقيل
أو عَبَرت سيارَة مُسرِعَة!
أفضل أن تَكُون سريّ الخَفي
رَغَم أني
أسير..
في ظِل ضوضائِك

7

لأن هذه الليلة مُرَاوُغَة جداً
كَحِربَاءٍ عَجُوز
أطبَع قُبلَتي على جَبِينَك

ثُم أتَظَاهَر بالنَوم
بَينَمَا تَبقَى عَينَاي
مَفتُوحَتَان في الظَلام

8

أحُملِق في الساعة
أبحَث عَن مَوعِدنَا في الوَقت
الساعَة على الجِدَار
والمَاء تَحتَ أقدَامي
التي تَرزَح تَحتَ ثِقَل الدَقَات
لاأعرف الرَاحة
هَكَذَا حُبكَ يَجعَل
الآن..
للأبَد!

9

نَفَضتُ السرير جَيدًا
وَضعتُ العفَاريت في الخِزَانَة
والشيَاطين في حَقَائِب السفَر

شعر: مؤيد طيب

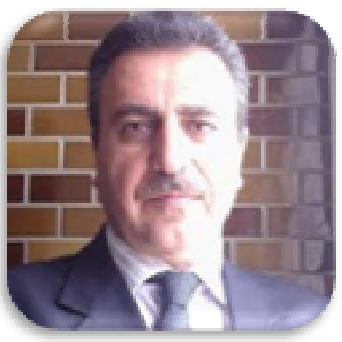

ترجم من الكردية: ماجد الحيدر

سنونو

لم أكن غيرَ طفلٍ صغيرٍ
ولم تكوني غيرَ طفلةٍ أصغرَ.
كلما أبصرْتُك
تتحولُ عيناياَ
من بُرعمينِ لوردتين
وجسدي برمّ تِهِ
يستحيلُ قلباً
يمتطي صهوةَ الريح
كطيرِ سنونو
يحلِّقُ صاعداً نازلاً
في السماء.
...
كبرتُ
واستحالت أعيني
مراتٍ ومرات ورواداً،
وأنا قلبا أستحيلُ.
لكنني أبداً
لم أعُدْ من جديد
سنونواً
يحلقُ في السماء!

أربعة مشاهد

أربعةُ مشاهدٍ
تغرقُ عينيَّ بالدموع:
طفلٌ بائسٌ
عجوزٌ منبوذٌ
أغنيةٌ حزينةٌ
وامرأةٌ فائقةُ الحُسن!

منير محمّد خلف

قبل فوات القرنفل

من أين أبدأ بالقرنفل؟
كيف أتقنُ وصفَ وجهك
كيف أمسحُ دمعَ قلبك؟
كيف أركضُ نحوَ صوتِكِ ؟
كيف أجلسُ قربَ صمتك ؟
كيف أبني عند ظِلّكِ
شامخَ الكلمات؟
كيف أجرّ نحوك
سندسَ الأشواق؟
أحملُ نبضَ ليلك
خصرَ طيفكِ
هل تركتِ طريقَ حلمي
واضحاً ؟
أم نمتِ
في نصف الطريق
إلى دمي ؟

هل زرتِ ما تركتُـهُ
قمصانُ الحليب
على يديك ؟
وخفتِ من ألق الصباح
على شفاهك ؟
هل قطفتِ الخوخ
والكرزَ المعبّأَ بانتظاري؟
وهي تلعب بانشطاري
والوقوفَ
أمامَ قبّرتين
من صفو الحرير
أمام كفَّي اللتينِ
تجمّد العنبُ المعانِقُ فيهما

قمرَ الكلامِ،
.. اختارَتِ الأضواءُ
في نهرِ الشّوارعِ
سِرْبَكِ المحفوفَ بي
من كلِّ ذاكرةٍ
على غُصْنٍ عَم
في الليلِ
أقرأُ صوتَكِ الضوئيَّ
أعرفُ أنّ هذا الوقتَ
ليس بلائقٍ
كي أستردّ بساطة الكلمات،
أدركُ أنّني سطرٌ بكفّك،
لا يجيد قراءةَ الأسرارِ
في زهرَيهما
غيرُ الذين تآكلَتْ
أحلامُهم وسطَ الغيابِ
وضاعَ شمعُكِ
عند خارطة النجاة،
فكيف أسلكُ دربَكِ
المملوءَ
بالنكرات ؟
حولي فضةٌ ..
ذَهَبٌ ..
مدائنُ من زمرُّدِ جسمِكِ الورديّ
أحلامٌ يزيّنُها
سريرُ الوجدِ،
بعدَكِ ..
لن أرى أحداً
يلمّ شتاتَ عمري
لن أكونَ

كما وجدتُ
صباحَ يومٍ ماطرٍ
غيري
ولن يبقى سوايَ
على الطريق،
ليسفَحَ النهيُ الجديدُ
بدايةَ النفيِ البعيدِ لمَقْدمي.

وأنا المعبّأُ بالخسارةِ
كم سأُترَكُ حافياً
من كلّ دربٍ
أسقطَ النجماتِ
في ليل المسافاتِ البعيدة ؟
هل سأقدرُ أن أسيرَ ؟
وأنتِ لم تجدي بديلاً واضحاً
لأمرَّ منكِ إليَّ
كي أجدَ الحديقةَ
في نداءِ الوردِ
كي تلدَ الحقيقةُ
غيرَ ما تتوقّعُ الأيدي،
وكي أصطادَ نبضَكِ
وهو يرسمُ صورةً ليدَيَّ
والنارَ القريبةَ منهما
إذ أستفيقُ من الكـــــلامْ.

قد أستفيقُ من اللغاتِ
محاولاً إيجاد لونٍ آخرٍ
يحمي مسافةَ ما تضيّعُهُ الطيورُ

إزاءَ محنتها الطويلة
في غروبٍ لا يهاجرُ
نحو حدْسي،
أدركُ الخيباتِ
قبلَ مرورها
قربَ الرياحين
التي عمّرتُ حلميَ بينها
ونسيتُ أن أضعَ القصيدةَ
في أصيصِ الوقت
أن أدع النوافذَ مشرعاتٍ
كي تعيدَ أنوثةَ الذكرى
وأبنيَ حولها صوتي
وقاموسَ انتمائيَ
والغدَ الآتي
ومرحلةَ انتظاري كلَّها
وحنينَ ذاكرتي
وطفلَ خسارتي
وشحوبَ أيامي الثّقالِ،
أمرُّ من يدِكِ الحنونِ
إلى تواريخي الجديدةِ
كي أفسّرَ فيَّ معناكِ المزمّلِ
بالتحية والسّـــلامْ

نيسان 2012

عماد يوسف

حكاية صورة

بعدستي: غيمة تربعت كبد السماء والخلفية سماء صافية زرقاء زرقاء !!

غيمة مسافرة

تلك السماء الزرقاء

والغيوم على محياها وشيّ

بل حقل قطن

وقصيدة تأمّلتْهَا عين الكاميرا

لوحة شاعرة

وألوان تسبي

وسحابة تفردت بكل هذا البهاء

غردي أيها الغيمة

وافردي جناحيك

ومن ثم ابسطي هشاشتك

على جيد الفضاء

حلّقي وتيهي

ف لك الهواء

ولك الشمس

ولك أحرفي

وكل هذا الحب

ومقلتي لك ضياء

قصائدٌ تعشقُ الشمسَ

قصائد كوردية من ترجمة/الشاعر حسن سليفاني

مؤيد طيب

- ولد عام 1957 دهوك
- كتب الشعر منذ عام 1975
- عضو اتحاد الأدباء الكورد-دهوك
- كان عضوا في الأكاديمية الكردية ، اربيل
- ترأس دار سبيريز للطباعة والنشر وتولى رئاسة تحرير مجلة "كَبر" للأطفال الصادرة عنها.
- انتخب عضواً في البرلمان الاتحادي العراقي 2010

من أعماله المنشورة:

- الأغنية والثلج والنار – مجموعة شعرية-1992 دهوك
- عندما تجوع النمور -مجموعة شعرية-2012-دهوك
- حقيبة الأشعار والحكايات-كتاب للأطفال
- علاوة على العديد من المؤلفات الموجهة للأطفال.

العشق و النار

حبيبتي

من وجهك قد علمت

كم هو مشرق موطني

ومن شعرك قد علمت

كم هو حالك الليل الذي يقبل على موطني

لكن عشقك

في قلبي نار

ويطلب النار

والقلب المدجج بالنار

وإن انفجر

أي ليل سيصمد أمامه ؟

أو أي شبح اسود

سيقطع الطريق أمام هذه النار ؟

الحب

حبيبتي !

منذُ أن أحببتك

أحببت النار والمطر

أحببت البندقية والساتر

أحببت المناضلين والكادحين

أحببت الجبال الشاهقة

أحببت كل المدن والقرى

لكن منذ أن أحنيت قامتي لك

وقرأت صفحة الآمال

لم أنحنِ لأحد

وليس بمقدور أحد

أن يجبرني على الانحناء

1979

تلك الرسالة التي لا تدخل صندوق البريد

مثل أم تعود من الحلب

أو تترك غسيلها قبل أن ينتهي

وتفتح مهد طفلها

هكذا بشوق

آتي وأفتح بريدي

لكن بريدي

مثل جعبة بيشمركة في الفجر

فارغ

ليس فيه شيء

يا حبيبتي

أنا في انتظار رسالتك

ورسالتك أيضا بلبل شارد

يعزف ألحانه في الجبال

وليس في قفص بريدي

رسالتك

ملحمة عشق زين

ترسلها الى ممي آلان

والبوستجي ايضا "بكروك"

1983 ستوكهولم

عيناك

حبيبتي

عيناك خندقان

رموشك بنادق مستعرة الفوهات

دعيني اعش

في خندق عينيك

أيتها الحسناء

مثل "عه مى كوزى"[1]

لا من اجل البطولة وحدها

وإنما من اجل حياة أرقى .

ثلجنا أيضاً اسوداً هطل

"مهداة الى البارزاني الخالد"

البارحة

اهتز كل وطني

كل الجبال

انحنت ثلاث مرات وقامت

تدفقت ينابيع الأحزان.

لا الأقباج شدت

ولا ندى قبّل زهور ربيعنا

كم تجول أطفالنا

لا الزهور رأوا

ولا نعشك المقدس

أيها الجبل

جثتك في الغربة

بقيت بلا أهل

بلا هدايا

لذلك حتى ثلجنا أيضا

ارتدى السواد

ثم هطل

الصباغ الصغير

لا يا ولدي.. لا

لا تفعل ..لا تفعل

لا ترفع فرشاتك عن الأرض

فالبسطال الذي في حضنك

ملطخ بمخ أبيك

إياك أن تصبغه

إياك..إياك !!!

عبدالرحيم الماسخ

قرية معزولة

فجرٌ ضبابيٌّ على أهدابه
صدحتْ طيورُ الليلِ، غطّتْ
همهماتِ النخل
إذ يبكي على الكتفين نجمٌ راحلٌ
خلف احتمالاتِ الضياء
يُمَشّطُ الشجرَ المرفرفَ
فوقَ أعناق الهواء
النسْمةُ الرحالةُ اعترفت برائحةٍ تلوّنُ
في حقول الصحو فصلا للبيوتِ
عمائمُ البوص ارتختْ فوق العيون
الفجرُ أم لغةُ السماء تفتّرتْ بمراوحٍ تُتلى؟
الطيورُ تفورُ ألوانا
وأطفالٌ إذ انسلُّوا من الأكمام،
فرَّ الغيمُ من سجّادة الأحلام
يلتفُّ الدخانُ على مسام الشمس:
سِربَ عجائز
ويظلُّ سِربٌ في البيوت
ينامُ في دمهِ انتظارٌ أو يهُبُّ،
على تدفّقهِ يعومُ اللهَبُ
الآهاتُ تتركُ منبعَ الأشجان،
يشربُها المَصَبُّ
ولا يزالُ النحتُ منصوبا،
على قدميه تنسدلُ الحقول
يعيدُ ما بدأ الكلامُ به، فيرتبكُ القبول
يُجيزهُ نجمُ الأقوال
وبوْحهُ لا ينتهي !

إدراك

أقلعتْ طائرهْ
وفؤادٌ هبطْ
حملَ الجُرح،
أثقله سمكٌ مُرْبِكٌ في العروق
بكي تاركا صيده في الطريق،
وعاد ليصطادَ، لاقى بلادا تفرُّ من البحر
والغيمُ مغتسلٌ بالشروق
تناديه أغنيةٌ: عاشقا
موجةٌ: غارقا
يتكسَّرُ بين المحطاتِ:
ظِلا على شجر الضوء
طارتْ طيورُ تلفُّتهِ ثم عادتْ
ولم يرتخ فوق صُرَّتهِ الليلُ
سيلٌ يُفخِّخُ غَفوتَهُ
نبأٌ أم طنينٌ
إلى جسدٍ/ بحرٍ الفجرُ يسري
وطاولةٌ بين كونين: نافذةُ السجن
والملكوتُ تفكّكُ ذاكراةَ في حقولٍ ودُور
تُنيرُ عيون الصغار مع الفجر بالوعد
هذا طريقُ التحدّي
فكسِّرْ يدَ القيد
وارصُدْ شذي رنَّةٍ عبرتْ
وانفلتْ سَربا!
في النهاية طائرةٌ لا تجيءُ
فيبقى البياضُ الخبِيءُ
يعانقُ في صدره المَشرقُ المغربا!

سيامند شيخي

إصرار

انتظارها
أسفل المنحدر
من الخاصرة
تقرُّ
لا محالة
انتمائي إلى ذوي الاحتياجات الخاصة.
-.....-
أيها المحكوم بالانتظار
كم نقضاً
سيرغمك على التظاهر؟!
أيها المولع بالربيع
كم شتاءً
يفصلك عن ألوانه؟!
-.....-
أوراقُك المتساقطة من جسدي
توهمني
بمجيء خريف عمري
لا محالة.
-.....-
كم بحر ماءٍ يلزم
لإزالة كل هذا الرماد
من سمائنا المولعة بفسيفسائه؟!
-.....-
حضورك
وانطفاؤك
سيّان
كلاهما يَرْمِدان
في ذاكرتي المكتنزة بالياسمين.

وطـن

سماؤك
مكتنزة بألوان الربيع
في الوقت الذي يهم بالرحيل من جسدي
غابات الصنوبر
أبوابك
مصروعة على مفاتيحها فقط
فقط
سقوط أبنائك
في بدن القيامة
سيرغم نيوتن
على إعادة النظر في قانون الجاذبية.
-.....-
كم يبدو مقلقاً
اختراق اللحى
جدارَ الوجوه!
كم يبدو محزناً
نداؤهم ببلوغ الشعاع
وهم لا يزالون بلا أجنحة.

رغبة

ليتني أعلم
زمن هطولك
المفاجئ
لأنشر بقاياي القابلةَ للحياة
لتغمري دون خجل
مساحات جسدي
التي توشك على الجفاف.

نصر محمد

ذات يــوم

حملت قصائدي المبعثرة
صورة جميلة
وما إن قطعت
راح يشمشمها

تحت ابطي
لا يهم ما تكون
مسافة ليست بطويلة
قليلا

مضيت قاصدا
إمرأة شبه عارية
هاجمني كلب شارد
عندها أدرك أنني

دار نشر
فوق سرير
وكي يكون فراري
مشرد اكثر منه

تلملمها لي
أو ربما رغيف خبز
سريعا
انزوى جانبا

في كتاب صغير
بيد طفلة
تخلصت من حمولتي
واخذ يراقب

عليه اسمي الثلاثي
تشبه كثيرا
فأنشغل الكلب
الطريق من جديد

وتزين غلافه
بائعة الكبريت
بأوراقي المتطايرة
وانا عدت إلى بيتي

بدرية دورسن

ما بين الغياب والحضور

ازدواجية الروح تكون مؤلمة حقا
لتبدأ بكتابة أول ديوان
لتجده يشتكي الفراغ مجددا

عندما ترقص مع حورية أنت شكلتها من الأزهار
فيخذلك الشعر حيننا
فتخفي دمعتك كي لايحزن النورس

لتليق بموجة أحاسيسك
حينها يكون مؤلم حقا
كي لاتلتقطها الأسماك فتتسمم

وزينت ضفائرها بتنهيدة الرياح المتوجعة
فتتمسك بيديها وأنت ترتعش خوفا
تبتسم كي لا يحزن الليل

عندما تجلسها على الكرسي الذي بقي لسنين فارغا
و يتملكك صمت الصخور
كي لا يبكي الناي مجددا

ترسم شفتيها من قطرات دمائك المتبقية
فتستيقظ وأنت مازلت بخوفك هذا
كي تجتمع قطعان المشاعر

وتنظر إلى عينيها لساعات
لتجد الكرسي مبللاً من دموعك
وترجع لتعيش الغياب والحضور من جديد

بارين أحمد

فيضــان

أمتلئ بكَ حتى أفيض،
سقط رمشكَ يومها،
كنت أقول لك إني أفيض،

كيف لروحي الصّغيرة ألا تفيض،
وضاع،
وها قد أثبتُّ لك أنني فعلًا أفيض،

وهي تتبع نبرات صوتك،
وها أنا اليوم لا زلت أبحث عنه وعنك،
بل وغرقت في فيضاني،

خطوط يديك،
ليتك تمنّيت على الأقل أن تبقى أمنيتك بين يديك!
في بحر الأبجدية أبحث عن رمش النجاة،

شامتك السّابعة القابعة تحت لحيتك،
إلى أين أخذني الحديث!
ولم أجده حتى اللحظة

رمشكَ الذي سقط ذات ليلة على خدّك،
إني لا أكفّ عن الثرثرة
هل هناك أنثى عاقلة

فطلبت منك أن تتمنى،
حين يكون الحديث معك
تبحث عن رمش في كومة مسافات

همست في أذني:
عنك حتى لو لم تكن موجودًا!
لا بداية لها ولا نهاية!!

"كل ما أتمنى بين يدي لا أمنيات لديّ"،

إيمان غطاس

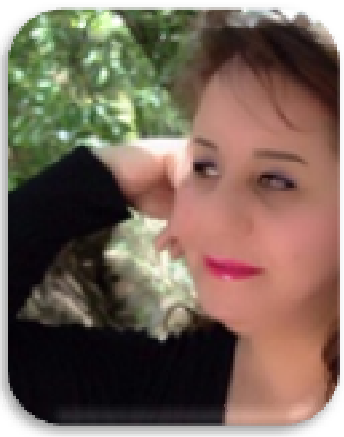

حين استبحت الفؤاد بحبك

وحين استبحت الفؤاد بحبك
عذرت سيدي قلبي في هواك
كيف أنجو من حبك

عذرت لك كل تجاهلك
وكيف أنجو من رياح عشقك
وهو يسري في عروقي

عذرت غربة انفاسك
تهب على سنيني
كيف أشفى من ادمانك

عن روحي وشقاوة شغافك
فجرا وصبحا ومساءا
وانا عاشقة ادمانك!! ...

في هجرك

نفثاتُ الصّمت

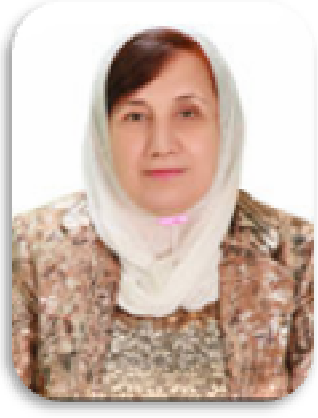

نارين عمر

أهوى السّكونَ
لأنّه اقتنصَ وحيه
من نفثاتِ صمتك
صمتٌ...
يخفي في شغافه
كلّ أبجديات النّطق
فهاتِ ما عندكَ
من نخبِ الصّفاء
علّني.. لعلّني أنظمُ من
أصداءِ سكونك
بقايا هسيسِ السّكينة
لعلّني أروّضُ ضجيجاً
كادَ يسدلُ ستاره
ما تبقّى من همساتِ هسيسي
هاتِ ما تتذّخره
من غلواءِ الحشا
بين رفوف الدّفين
لأغزلَ من أجيج هيجانها
خاتمة بعثرتي على تخوم الحيرة
هزهزْ...
هزهز ما تبقى في
ضلوعي من رسيسٍ
ملّ يأسي الهدهدة
في مهدٍ فرشه شوك الزّمن
لعلّ الهزهزة تكونُ بلسماً لصدأ
رسيسي
هلستني هفواتُ البحثِ
في قاموس اللّسان
عن صمتٍ يشبه صمتك
أردغ به عراكاً مثيراً للشّغب
فهلا تهبني مفرداتٍ
من فيضِ اتزانك ألجُ بها
محراب سكونك؟

آفاق الرحيل

زهرة قاسم

ألملم صباحاتي المتناثرة
وبقايا الأمل المرقعة
بقصيدة حالمة
تقبل إشراقة الروح
في مذكراتي
وتغازل أنين القمر
في ضباب الحلم
وعلى عاصفة السواد
سطور تترنح في الغياب
قصيدة تتهاوى إلى
أنفاق الهزيمة
تفترش الأفق سطوراً
وتغرق في دوامة الرحيل
خطوات مترنحة باليأس
في تقدمها المتآكل من الألم
معارك فاصلة بالدموع
غارقة في شجن الروح
تعود إلى دائرة الحزن
بدون أحلام
عزلة الصباح
وألوانها الباهتة لا تزال غافلة
عن الإشراق
العائدون من الغياب
لن يرسموا قصيدة
تتراقص على أوتار الربيع
ولن يفوح عبق عنوانها
من الفصول

الحنين

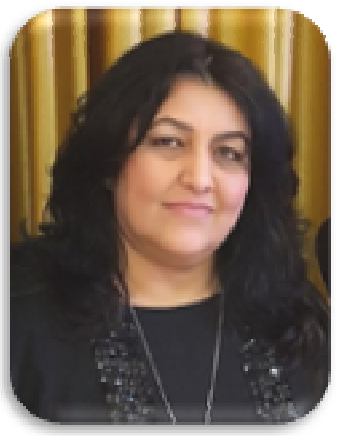

فدوى حسن

أسرفتُ في الحنين
حتى تهاوت سرايا قلبي
أسرني الوله
تسللَ لودج قلبي
أضرمَ وجدَ القوافي
لظىً باتت كل أحرفي
تنكأها الذكرى
تضطرمُ كنارٍ غاضية
تقتاتُ من جراحي
ثم تغدو هموداً
السنينُ تحاصرني
وأحلامي تبعثرني
كشررٍ
أشقاني العجز
هذا الفؤادُ زادَ عصياني
مانضبت لهفتي
هَانت قواي
كتائهٍ ظمآنٍ
أغواه السرابُ بواحةٍ
خارت عَزائمه.
أنزفُ حنيناً
جَفت مزنةٌ
وائمت ظمأ روحي
سَقُمَ كل مافيني قهراً
راحلةً لوحت الأحلام
مَرت بمحاذاتك ولم تعبأ
سكتت وشوشات الهمس
وهسيسُ الكلمات .
لن يجدي البكاءُ قط
سننسى كمصرعِ طائرين
في زحمةِ السنين
بينَ حطامِ الخيبات
وتراكمِ تلالِ الأنات.

تحرري

علي عبد الله كولو

سأسافر بعيداً كي أتركك تنجين من الحب
ولكي تتوهي بعيداً في السراب حيث الضياع
والأمل بالحب حيث لا أمل
سافري وابحثي فلن تجدي مجنوناً مثلي
يقول ألف حسرة في عينيك
فعينيك لا تسافران إلا إلى ممالكي
ومماليكي تضيع إن لم تسافري إليها
اتركي الحب يقرر الحب
فكل ماعدا الحب عبث
واتركيني أسافر بعيداً عن العقل
لا تنامي
فهناك جرحى
وهناك عطشى
لا تنامي
فتتحملي ذنوب المساكين
اعشقيني بقدر عشق الطفل للثدي
توهي في بساتيني وقولي
أحـــــــــبك
2012/11/22

كتبت عن الحبيبة

محمد ملا

كتبت عن الحبيبة ..
حتى نزف اليراع دما..
ليكتب عن الآلام ..
وأطيافا تتلاشى..
وطاردني الصمت برهة..
لاستظل بالهمس الخفي ..
ولاقول ..للحبيبة..
لقد ..سلبوك في المهد..
و اضحوكة بيد المنجمين..
وسلعة تباع وتشترى..
متى شاؤوا في المزاد العلني..
فاتتك فرصة ذهبية وبرونزية..
لانشاء خيالك الخصب..
لكنك ..ترجلت عن الجواد..
ليرسموا على جسدك الطاهر
احقادهم ..الدفينة ..
واوهامهم ..المريضة ..
فتخيلي ..من جديد ...
لتكتبي عن الحلم المنشود..
واسطر بقلمي كلمات ..
عن الحسرة واللوعة ..
والشوق الى لقياك..

ريبر هبون و بنار كوباني

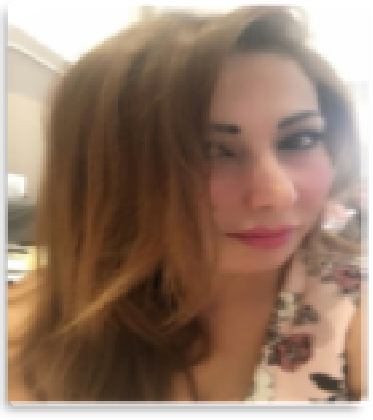

<<< جوقات كوبانية >>>

من وحي الوداع (2)

ريبر هبون:

في محراب الألم
نقتنص من رهبة الفقد .حباً
لا يكاد يفرقنا.
اذ كلما توغلنا داخله
فاحت روائح الجلنار في روابيه الفتية .
ولطالما أردنا مباغتته
برحيل أسود .بيد أنه متيقظ أبداً..
وجاهز لتلقي ضرباتنا الخاسرة
إلى معبده اليوم نتجه .
نتوسل فيه أن يعطينا قوة الحكمة في الحب.
لا بؤس الضعف وجزالة ملامحه العاقرة ..
ولا نتوسم منه سوى أن يهبنا
للأرض غرساً أخضراً يانعاً...
حيث الوجع في طريقه للتهالك
على وقع خطا لا أعلم فيم تتعجل الرحيل .
وها نحن نرحل كل يوم ...
ولايرثينا أحد .
اذ الموت أقرب المنتظرين
وأكثرهم توقاً لرؤية أجسادنا تتآكل بين يديه ..
فيما نستعجل رحيلاً لاريب قادم .
ليوسعنا عفونة في قاع
لا نعلم مكانه .
اذ ما من خريطة في الغيب
ترشدنا إليه
بئساً لذلك الانتفاخ .
وذلك التهاتر .
فيما يغزل خيوطه الواهية أمام حقيقتنا .
نحن الراحلون إلى الوهم .
ذرات من أكياس الطحين نحن.
رواسب من شقوق السقف نحن ...
آثار أرجل الديدان
وهي تزحف من حلوق صدعتها مخالب الكوليرا
إننا لا نجني من هذا الدهر.
سوى الغبن...فإلى العدم ..
حيث ستصحبنا الشهقات
من ثم سترمينا
لأخاديد السبات الأبدي.
فلتنعم حينها يا حب بالخلود.
ذاك القلب الذي أدركته سكاكين الخواء
فتمنى لو يصيب بعضاً
من ثمل العاشقين حتى الموت
وهو في زنازن الحنين
لاجتياح العشق المتين
يستغرق تأملاً لمحطات من الوله
ارجميني عشقاً لأوقن داخلي
.اني مسكون فيك .
ومترع بمياه مشاعرك
فأطلقيها عل بسمتي تعود ...
حيث لم أعد أبصرني

بنار كوباني:

لمرة أخرى
تصيبني جائحة التباب
الأشبه بصريم المجزرة
غداة أفول طفق يناور مثولاً أحدب الوجه
،عذوق العطاء ، عقيم المسرة
انت: تلف الهوين،
لتسرف في الرحيل من أهازيج الربيع إلى خريف المقبرة
انت : رجل يغدق بشآبيبه الكهلة
على هباط أغبر يوشي إلي بالنهاية المقفرة
رجل يعاني ليله ..ليل عنين يضاجع ومضة نيازك عابرة،
ليست تثمر سوى السراب وبضع سراديق مغبرة
باهت كم تأبطت به
ليمتص الأحراش عن سرة عوالمك الطافحة
بأماني منتظرة
..فما أبصرت حبل طفولتي يوماً ،
ولا اعتصمت به من السقوط في الأوهية المزمجرة
لا ولا أسبرت عن سري بأغوار الغمام او السماء أو الثرى
لو ....شئت ،لقصمت ظهر الغياب،
بأغراس الحنين على روابي الوقت
زهرة زهرة ...بذرة ..شجرة
لأبقيتني دهراً
أهيم بالتشظي
فأنصب لك بعضي على بعضي،
لبنة من حب وأخرى من سؤدد،
مخرجاً الى الضحكات ومباهج الغد
لتجليت لك في نغم الأناشيد ، ألوان القراطيس
و ألعابك الطفولية
في عبرة محتقنة بين أهداب أمك المرهقة
كأمهات بلادنا الخائرات
من التقشف والتهكمات الرجولية
لرأيتني أربت على صدر شقيقتك الصغرى
كي تخلد لأحلامها السرمدية
في عجوز معمرة كانت تجاورك يوماً،
لملأت أخاديد وجهها الحنطي ،
من فيض مابي ..
وصوتها الخافت الممزوج بأنين يكابد ليالي
لرأيتني حتى في قطة واثبة من حائط
لحائط تبحث عن رشفة بياض في الأزقة الدلهمية ..
لكنه وهمك المرصف جدرانا لا براقية ،
أحجب الأنوار عن الأفق المخملية ..
ليقبع الوداع فتياً ..
يشيع الوصال بقناطير جهنمية ..
ويبقى الحب وحده سيد عرشه ،
يختلج بين تلافيف الصدر أبياً أبيا

ريبر هبون:

تسكرني غمرة الفاجعة فيك .
وتجعل أصابعي ترتج ككؤوس السهر القصير .
وكأن ارتداد صوتك من جعل الصدى يئن منحسراً
كأنه البحر ضاج من مبسمنا فارتفع ليبتلع السفين.
انني كطائر اللقلق .
أتأمل زاوية الغروب علني أحظى بشفقة الوداع علي
وحدي المعتق حزناً ...
أنسل من الفرح رويدا رويدا لأبلغ كنه حزنك

بنار كوباني:

على مقربة من الرعب الأخير،
وعلى تخوم مصير لابد آت ،
ليعقر جذور أبانوس أمتد يوماً في صميم الحياة
أجر ورائي ظلي وأظل جاثمة في أمكنة
أُسرت بنا لشمم منتفضة بمواثيق السحر
وملأى بأماني العذارى
واحتفاءات السنا مع الأكاسيا والسنابل
لن اتعثر هنيهات ، بهوامش أعياد الأفك ،
ولن أجهش على مجازر فوضوية التوغل ..
بل سأحتد على القيامة المبعثة فيي
أنا الجثة التي سقطت عنها كل المقابر ..
سأراود ردحي الأخير على لحظة
نبتعد فيها خطوتين عن مآذن الموت ..
لنتواشج باحثين بين أذرعنا
عن حبل خلاص يهرع بنا لمسارات نشوة قد أفلت ..
نتراشق فيها القبل
ونعاكس الزمن العصي على احتواء دمدمات
لم تلبي رغبة توق نديف الحداد
..فلنخلع عنا ضجيج الفرا غ
ونتسامر مع همس البدايات :
تتوه الحروف في طريقها إليك ,
يامن ترتج بذكرك جنبات الروح ,
ويعتلي بك جبيني وانت تنثال عليه
هالات من نور الأبدية وهوس الجنون ,
تفتح ممرات اعجازية لمسلكي الى ماوراء السماوات
فأدرك ماهية الرب المتجلية في صورة الحب.
.أنت يا أنت ،
ياظل الإله الممتد على زخرف الوجود ،
تعانقك قامتي المرقطة بالهذيان،
وتستعير الروح من نشور عطرك نضوج الحياة ،
لتدلق على مآلات حتفي الموشى بالرحيل،
لذة البقاء السرمدي،
ومزمزة نكهة النشوة المتدلية من عرائش سماواتك.

ريبر هبون:.....

انني كالمستغيث من الشوق
أنادي ميعادنا القريب البعيد.
أنزف من تلقاء استجدائي بطيفك .و
أتثنى كالبرعم الندي لاستقبال شعاعك .
ما أنا إلا من ابتسامتك ان شعت أشع وإن غابت أغيب...
لك كل مالم أكتبه بعد .
ولك عنفوان النسر في وصوله للأعالي .
ولك قلبي وقت يحاول اعتلاء قمم قلبك الشماء .
يا عروسة الكبرياء

د/ صلاح فاروق العايدي

يوميّات الحب والضجر

(1)

أجل !!
أخطائي وفيرةٌ
لكنها ممتعة
أخطائي حبٌّ
بلا أقنعة

(2)

حين رأيتُ عينيكِ
تأكّدت أني هالكٌ في بحرها
ويائسٌ تماماً في حبي

(3)

مادمتِ هنا
فلن أكون وحدي
وحين يكون عليكِ أن ترحلي
تأكّدي ..
فلن يكون هذا مكاني

(4)

ذات مرّةٍ قلتِ:
إذا كنتَ لا ترى فيَ غير التفاهةِ
فمن أجل أيّ شيئٍ تحبُّني ؟!
ومتى أرى وجهكَ المخفيْ ؟!

(5)

في الكتْب كما في الحياةِ
قلتُ:
اتفق الناس أنّ الحبّ واحد
برأْةً أو شهوة
وحين يجتمعانِ
إمّا تكون خطيئةٌ
أو يكون بيتٌ وأطفال
وليس هذا ما أفكّر فيه !!

(6)

بيننا سرٌّ هاجعُ
وبين قلبينا انعقد رباطٌ مُقَدّس
فمتى تنحلّ الأسرار ؟!!
أخطائي وفيرةٌ
أجل
وحبيَ حاضرٌ
تأكّدي
فأنا هنا من أجلكْ

بيار روباري

أعداء الزيتون

يا أعداء الزيتون
سنقاوم حتى لو بعنا ثيابنا ونمنا في المقابر
وتحت الأشجار وبين السنابل
فجذورنا راسيةٌ هنا قبل أي غاز ومغامر

**

يا أعداء الزيتون
أجل نحن هنا منذ الأزلِ
جذورنا مرتبطةٌ بجذور الأولِ
بالميدين والكوتيين والهوريين الأهل
نعانق أشواك هذه الأرض الطاهرة بالمقَلِ
أبداً لن نقبل وبتدنيسها

**

يا أعداء الزيتون
لن نبرح هذه الأرض الطيبة
حتى لو هدمتم البيوت فوق رؤوسنا وقتلتم الف عائلة
سنظل نحيا ونموت هنا لألاف السنين الباقية
وريح جبل ليلون يصدح بمواله منذ الأزل كأغنية

**

يا أعداء الزيتون
أنا مزروعٌ في أرضي كالزيتون والتين
سأدافع عنها ولو بالسكين
وأفديها بالدم الذي يجري في الشرايين
سأواجهكم في كل الميادين
أنا حفيد النبي هوري فلن أحني الجبين
وسيفي مسلولٌ وإسألوا عنه الدواعش والقاعديين

**

يا أعداء الزيتون
اليوم موعدكم مع البركان
مع مقاومين لا توقفهم الطوفان
كل خوفي أن تهربوا من أمامهم كالفئران
فالأرض من تحتكم والمقاومين من أمامكم كالفرسان
لن تجنوا سوى عار الهزيمة يا صعاليك أردوغان
وستشرق شمس كردستان عن قريب من بين الأحزان.

2018- 02 - 08

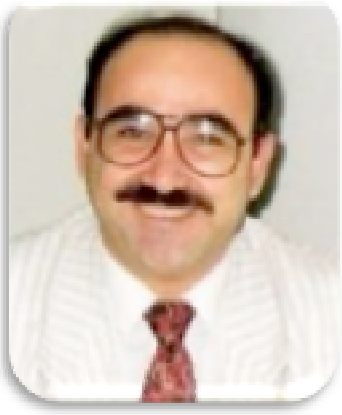

هل ترحل الجبال؟

هل ترحل الجبال؟
سؤال أطرحه على الأجيال
من الشباب الكرد الذين ينظرون إلى الغد بأمال
ولديهم توقٌ للتحرر من الأقفال
وحكم الأباء والأبناء والأخوال
وهلوسات البعض التي لا معنى لها في أي قاموس وفال
وفوق هذا وذاك حكم المستعمرين الأنزال ... الأنزال

**

أيتها الأجيال!
أحفاد خاني، شيخ حفيد وشيخ سعيد كال[1]
قاضي، صبري، مظلوم، وبدرخان أباء النضال
لا ... لا ترحل الجبال
إلا إذا ماتت الأمال
وهذا دربٌ محال
فقمم الجبال لا تتخلى عن مواجهة الريح بأي حال
فذاكَ جزءٌ من تكوينها وفلسفتها في النضال .. النضال.

2018- 04 - 28

كال: كلمة كردية تعني المسن. هكذا يعرف الراحل وشهيد كردستان الشيخ سعيد بيران، الذي قادة ثورة ضد السلطات التركية عام 1925.

وداعاً دانـــا

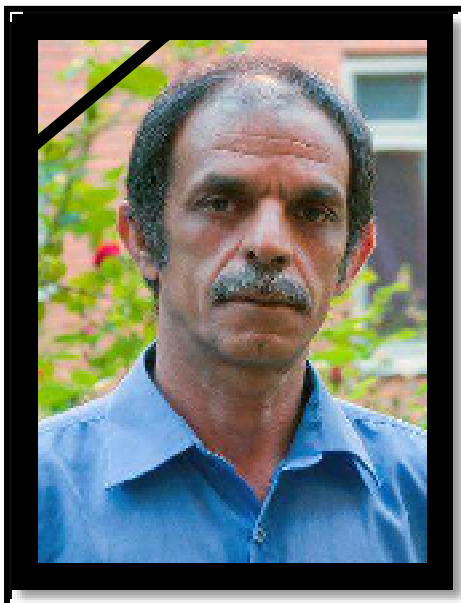

بيار روباري

وداعاً يا دانا وإن كنت لا أحب الوداع، وكنتُ أفضل اللقاء تلو اللقاء. حقاً أحتار ماذا أقول عند سماعي برحيل مبدع من بيننا. الذي أعرفه أنني أحس بحزن شديد، وينتابني شعور بأن كوكباً هائلاً قد هوى على الأرض. هذا حدث معي عندما رحل محمد مهدي الجواهري، شيركو بيكس، فلك الدين كاكائي، نزار قباني، وفؤد نجم، محمود درويش، وسميح القاسم، والعم اوصمان صبري، موسى عنتر، والراحلة عيششان، والسيد تيريز وغيرهم الكثيرين.

إن المبدع الأصيل، هو الذي يخدم بقلمه، وريشته، وزميله، وصوته، شعبه والإنسانية بشكل عام، عملة نادرة ومن الصعوبة، إيجاد مثل هذه المواهب الحقة وصاحب الأخلاق الرفيعة. لأن الإبداع من دون الأخلاق، لا قيمة له في قاموسي على الإطلاق.

شكراً يا جلال على ما قدمته للشعب الكردي والإنسانية من خلال قلمكَ، وشكراً على تواضعك وقلبك الكبير. ولا أدري من أين أتيت بكل ذاك الصّبر والجَلَد؟؟ وإستطعت تحمل كل تلك المعاناة، التي تعرضت لها خلال مسيرتك النضالية.

دانا جلال في أسطر:

دانا جلال كاتب كردي معروف، حامل شهادة بكالوريوس في العلوم الاقتصادية، وهو من مواليد عام 1957، وينحدر من مدينة خانقين بجنوب كوردستان. عمل لسنوات طويلة في منظمات الحزب الشيوعي العراقي، كاتحاد الطلبة العام، واتحاد الشبيبة الديمقراطية التابع للحزب. إنضم في شبابه للحزب الشيوعي العراقي، وترك العمل ضمن تنظيماته بعد قيام ما عرف آنذاك بالجبهة الوطنية مع حزب البعث. بعدها عمل في تنظيمات الحزب الشيوعي العراقي (القيادة المركزية ووحدة القاعدة) لحين التحاق الحزب الشيوعي العراقي بالمعارضة العراقية، ورفعه شعار إسقط الفاشية. لقد عمل في تنظيمات الحزب ضمن المدن العراقية والكردستانية المختلفة، لحين انتفاضة آذار المبارك في عام 1991 وشارك فيها.

لقد تعرض دانا للإعتقال، بسبب انتمائه للحزب الشيوعي العراقي، وتعرض للفصل من الجامعة لعدة مرات لأسباب سياسية وفكرية والملاحقة بتهمة المشاركة بقيادة الإضراب وحملة مقاطعة الحرب ضد إيران. كان عضو البرلمان الثقافي العراقي في المهجر وعضو في اتحاد الكتاب العراقيين بالسويد. وكان عضواً في نقابة صحفيي كردستان لحين الاستقالة منها، إثر موقفها من الحصار الإعلامي الذي فرض على قنديل.

أطلق مشروع الاتحاد الكردستاني للإعلام الالكتروني، وأصبح رئيسها، وعضواً في منظمة جاك، وترأس تحرير عدد من الصحف الالكترونية. وكان عضواً في الهيئة القيادية للتيار الديمقراطي العراقي في استوكهولم. كما كان عضواً في الهيئة المؤسسة لتجمع الأمازيغي الكردستاني للصداقة والسلام، وعضو الهيئة الإدارية لمركز البحوث والدراسات الكردية في هولندا توفي الراحل يوم الثلاثاء المصادف 24- 4- 2018، بإحدى مشافي السويد، أثر ازمة قلبية تعرض لها، ودخل على اثرها المشفى، ورغم محاولات الأطباء لإنقاذ حياته لكنهم لم يتمكنوا من ذلك.

الوداع

وداعاً يا جلال

يا مَن كنتَ جليلاً في كل مجال

لم تخدم نفسك يوماً بقدر ما خدمت الأجيال

وقدمت لهم المعرفة وعلمتهم معنى النضال

محالٌ أن يُمسح اسمك من ذاكرة الكبار والأشبال

وفي الختام على روحك الف سلام .. الف سلام ..

صدور مجموعتي الشعرية "ضحكة شانيا - Kenê Şanya"

عن اتحاد كتّاب كردستان سوريا صدرت مجموعتي الشعرية للأطفال والصغار "ضحكة شانيا - Kenê Şanya" منشورات 2018.

المجموعة مؤلفة من 82 صفحة، وتضمن مواضيع مختلفة تخص الأطفال والصغار وبعض القصائد تتضمن قصص فلكلورية تخص أطفالنا وصغارنا.

الغلاف من تصميم شيروان طالاس، والصور الداخلية من إعداد فلك علي.

المجموعة مهداة أيضاً إلى شانيا وإلى كلّ أطفال الكرد والعالم وإلى عائلتي التي تظلّ تنعشني بعطر حبّهم ودفء حنانهم.

صدور كتاب "صورة الآخر في قصص سناء الشعلان" للباحثة العراقيّة سناء جبّار العبودي

عن دار أمل الجديدة السورية صدرت الطبعة الأولى للعام 2018 من الكتاب النّقدي المتخصّص " صورة الآخر في قصص سناء الشعلان " للباحثة العراقيّة سناء جبّار العبودي.ويقع الكتاب في 319 صفحة من القطع المتوسط.

وفي مقدّمة الكتاب كتبت الباحثة قائلة عنه :" ...لكن فيما يخص الإبداع القصصي للشعلان فإنّ دراستنا تُعد التجربة الأولى التي يتم فيها البحث عن صورة الآخر في قصصها , وما سبق البحث من دراسات يشمل كلاً من التالي: النزوع الأسطوري في قصص الشعلان (دراسة نقدية أسطورية), وناسة كحلي , رسالة ماجستير جامعة سكيكدة 2009م, والشخصية في قصص سناء الشعلان, ميزر علي مهدي صالح الجبوري, رسالة ماجستير, جامعة تكريت 2013م, والرؤية السردية ومكوناتها في تجربة سناء الشعلان القصصية, محمد صالح المشاعلة, رسالة ماجستير, جامعة الشرق الأوسط 2014م, ومجموعة بحوث جمعت في كتاب نقدي تحت عنوان: فضاء التخيل في التشكيل والدلالة في إبداع سناء الشعلان القصصي, إعداد وتقديم ومشاركة: د. محمد غانم محمد خضير 2012م ... ولأنّ العالم القصصي هو الأقرب إلى الإحاطة ببنيات المجتمع المعاصر اشتملت عينة الدراسة على مجموعات سناء الشعلان القصصية دون تجاوز لأي واحدة منها لشمولية الصورة واتساعها وحاولنا قدر الإمكان الابتعاد عن المكرر منها ...". وقد اختارت الباحثة المنهج التحليلي في التعامل مع هذا الكتب وتأليفه مشيرة إلى ذلك بقولها: " ولعلّ من المناسب لهذا الكتاب، أو الملائم له أن نختار المنهج التحليلي في التعامل مع موضوع البحث من دون أن نفرّط بالإفادة من بعض المناهج النقدية الأخرى التي يستدعيها النص ليستوي الكتاب أخيراً في حلته النهائية على ثلاثة فصول يسبقها تمهيد وتليها خاتمة عن أبرز النتائج التي توصلنا إليها،فضلاً عن قائمة بالمصادر والمراجع التي استعان الكتاب بها" .

وقد توزعت محاور الكتاب على ما يأتي: الصورة والآخر عنواناً لتمهيدها، والذات والتواصل عنواناً للفصل الأوّل،وثنائية الذكورة والأنوثة عنواناً للفصل الثاني، أمّا الفصل الثالث والأخير فقد جسد التنوع الصوري لنماذج الآخر.

فقد بحث التمهيد(الصورة والآخر) ثلاثة محاور، وقف الأول على مفهوم الصورة وظهور المصطلح قديماً وحديثاً ومدى الاهتمام به ، ودور الوعي التخييلي في نسج أطره، وانزياحاته ، وطرق استحضاره، مع المرور بالآخر مفهوماً متحركاً وتتبع نشوء المصطلح وانتقاله من حيز الوصف إلى الاسم المطلق لكل ما هو مغاير أو مؤتلف في الطبيعة وما حضي به من دراسات في الحقول المعرفية المختلفة، أمّا الأخير فقد اشتمل على دراسة تطبيقية عن حياة الشعلان ، ووعيها في تهجين النص, واستدعاء تقنيات الحقول المختلفة تحت عنوان: سناء الشعلان بين الوعي الكتابي والتداخل الأجناسي.

وقد خصص الفصل الأوّل (للذات والتواصل)، فبحث في تجليات الذات وما تتعرض له من صراع داخلي نفسي اجتماعي سياسي، ومدى وعيها بذاتها وأهمية وجودها، ومدى استيعاب الذات القاصة للتواصل بين بنية النص والقارئ، فجاء الفصل بمبحثين وسم الأوّل: (بوعي الذات وتجلياتها)، واشتمل على أربعة محاور، خُصص الأول للذات المغتربة، والثاني للذات الساخرة, أمّا الثالث فتمحور حول الذات الثورية، وبحث الأخير عن الذات واستلاب الهوية، وثمة محاور فرعية أخرى نتجاوز نتجاوز ذكرها هنا؛ لضرورات الإيجاز والاختصار .

أمّا المبحث الثاني فكان بعنوان (التواصل), تناول المطلب الأوّل فيه: الذات والتواصل الديني بفرعيه التواصل مع القرآن،والتواصل مع الشخصيات الدينية، وشمل المطلب الثاني: الذات والتواصل الإنساني والوجداني، أمّا المطلب الثالث: فقد اشتمل على الذات والتواصل الحضاري والثقافي.

وجاء عنوان الفصل الثاني (ثنائية الذكورة والانوثة), تحدثنا فيه عن الثنائية وانعكاس الصورة في سرد الاخر وما يحيط بهما من فوارق وقضايا فقُسِّم الفصل على مبحثين الأول : جدلية (العقل, التشكيل, الجسد), تناولنا فيه أربعة مطالب، عُنون الأوّل بصورة الذكورة حين يروي الذكر، والثاني بصورة الذكورة حين تروي الأنثى، أمّا الثالث فكان البحث فيه بعنوان العقل الذكوري وتشكيل صورة الأنثى، وفي المطلب الأخير تحدثنا عن العلاقة مع الآخر، أمّا المبحث الثاني: فقد وسم بـ (قضايا اجتماعية ووطنية) تحدثنا فيه عن خمسة محاور عُنون الأوّل بقضية الزواج المبكر وتعدد الزوجات وآثارها النفسية والجسدية على الأسرة ، وفي الثاني ناقشنا فيه قضية الخيانة ،أمّا في الثالث فقد وقفت الدراسة فيه على قضايا الشرف.أمّا المحور الرابع فقد عنون بقضايا العمل، و في المحور الأخير فقد تناولنا القضية الوطنية .

فيما خصص الفصل الثالث للحديث عن تنوع الصورة وواقعيتها وانزياحاتها السلبية والإيجابية،فكان بعنوان (التنوع الصوري لنماذج الآخر)، تناولنا فيه خمسة مباحث، حمل الأول عنوان صورة الآخر العربي، فيما تناول الثاني صورة الآخر الصّهيونيّ، أمّا المبحث الثالث فقد كان بعنوان صورة الآخر الإرهابي, وفي المبحث الرابع حاولت الدراسة الضوء على صورة الآخر السلطوي، أمّا المبحث الخامس فقد وسمناه بعنوان صورة الآخر الطبقي (الشعب).

صحيفة أدبية ثقافية شاملة باللغتين الكوردية والعربية
تصدر عن رابطة الكتاب والصحفيين الكورد في سوريا

رئيس التحرير:

خورشيد شوزي

نائب رئيس التحرير:

د.محمود عباس

القسم الفني والكاريكاتير:

عنايت ديكو

يحيى سلو

أكرم سيتي

الإخراج:

خورشيد شوزي

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

مؤسسة ثقافية أدبية فكرية مستقلة

تضم الكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

تسعى إلى إعلاء الكلمة الكردية وتطوير الأدب والثقافة الكرديين

كما تهدف إلى تطوير الإعلام الكردي

تأسست في 22 نيسان 2004

البريد العام للاتحاد:

REWSENBIRINKURD1001@GMAIL.COM

البريد العام للجريدة:

R.PENUSANU@GMAIL.COM

شروط النشر في الجريدة

- أبواب الجريدة مفتوحة امام الجميع وهي ترحب بأي مساهمة أدبية أو فكرية.
- الجريدة ترحب بمساهمات أصدقاء الكرد من الكتاب والأدباء السوريين .
- ليست بالضرورة أن تعبر المواد والآراء المنشورة عن رأي وتوجهات الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا.
- تخضع المواد المرسلة إلى تقييم من جانب هيئة التحرير في الجريدة.
- الجريدة تعتذر عن نشر المواد المرسلة في حال تم نشرها مسبقاً أو تم إرسالها الى أي جهة إعلامية أخرى.
- الجريدة ترفض نشر المواد الخارجة عن قواعد الآداب العامة.